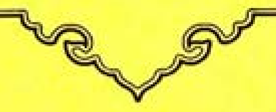
# الإمام زين العابدين، عليّ بن الحسين عليه السلام؛

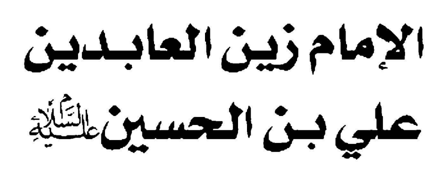
## صفحة من دوره الثقافي و جهاده السياسي

آية الله محمدمهدي الآصفي

بمناسبة إقامة المؤتمر العالمي للإمام السجاد عليه السلام







# الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام

## صفحة من دوره الثّقافيّ وجهاده السياسيّ

محمّد مهديّ الآصفيّ

**سرشناسه:** آصفی، محمدمهدی، ۱۳۱۶ -
**عنوان و نام‌پدیدآورنده:** الامام زین العابدین علی بن الحسین علیه السلام؛ صفحة من دوره الثقافی و جهاده السیاسی / مولف محمدمهدی الآصفی
**مشخصات نشر:** قم : مجمع جهانی اهل بیت علیهم السلام ، ۱۴۳۶ق = ۱۳۹۴.
**مشخصات ظاهری:** ۲۲۳ص.
**شابک:** ۹۷۸-۹۶٤-٥۲۹-۸۳٤-۸
**وضعیت فهرست نویسی:** فیپا
**یادداشت:** این اثر به مناسبت برگزاری همایش بین المللی امام سجاد علیه السلام منتشر شده است.
**موضوع:** علی‌بن حسین (ع)، امام چهارم، ۳۸ - ۹۴ق. -- سرگذشت نامه
**شناسه افزوده:** همایش بین المللی امام سجاد علیه السلام (۱۳۹۴، تهران)
**شناسه افزوده:** مجمع جهانی اهل بیت علیهم السلام
**رده بندی کنگره:** ۱۳۹۴ ۸الف ۶آ/ ۴۳ BP
**رده‌بندی دیویی:** ۲۹۷/۹۵۲

**اسم الكتاب : الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام**
**صفحة من دوره الثقافيّ وجهاده السياسيّ**

**المؤلّف:** الشيخ محمّد مهدي الآصفي
**الموضوع:** التاريخ والحديث
**التصحيح والاخراج الفني:** قاسم البغدادي
**الناشر:** المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام
**الطبعة:** الأولى
**المطبعة:** مجاب
**الكمّية:** ۱۰۰۰
**تاريخ النشر:** ١٤٣٦ هـ. ش

ردمك: ISBN : ۹۸۷_۹٦٤_٥۲۹_۸۳٤_۸



العنوان: قم، شارع جمهوري اسلامي، رأس الفرع ٦، الهاتف: ۳۲۱۳۱۲۲۱ _ ۰۲۵
طهران ، شارع كشاورز، مقابل منتزه لاله، رقم ۲۲۸، تلفن: ۸۸۹۷۰۱۷۱ _ ۰۲۱
www. ahl-ul-bayt.org    www.abwacd.com
info@ahl-ul-bayt.org    www.abna.ir




إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيرا

سورة الأحزاب / آية : ٣٣

# أهل البيت عليهم السلام
# في السنة النبوية

إني تارك فيكم الثقلين
أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود
من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما
لن يفترقا حتى يردا علي الحوض

مسند أحمد ٣: ١٤ و ١٨ (ما أسنده عن أبي سعيد)
سنن الترمذي ٥: ٣٢٩ / ح ٣٨٧٦
المستدرك للحاكم ٣: ١٠٩ و ١٤٨.
فضائل الصحابة للنسائي: ١٥ (باب فضائل علي عليه السلام)
المعجم الأوسط للطبراني ٣: ٣٧٤

## مقدمة المجمع

إنّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي تجسّد الإسلام المحمّدي الأصيل، وتستند إلى مصدر الوحي، ذات معارف كبرى تتصف بأعلى درجات الإتقان، والإستدلال، والمنطق الجزل، وتتطابق مع الفطرة الإنسانية السليمة. «فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا». إنّ هذه المدرسة الثرّة والوضّاءة، قد اعتنت وتسامت وانتشرت بفضل الرعاية الربّانية وبإرشادات الأئمة الأطهار عليهم السلام، وبجهاد وجهود الآلاف من العلماء والفقهاء.

لقد أدّى انتصار الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني قدس سره إلى إقامة نظام الجمهورية الإسلامية وفقاً لمبدأ ولاية الفقيه، ما أدّى إلى استقطاب أنظار الكثير من أحرار العالم إلى هذه المدرسة وخاصة المسلمين منهم.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام وليد هذا التغيير المبارك في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وجاء انطلاقاً من فكرة ابتكرها المرشد الأعلى للثورة الإسلامية سماحة آية الله العظمى الخامنئي ( مُدّ ظلّه الوارف) في عام ١٩٩٠م. واضطلع حتى الآن بتقديم خدمات جليلة في مجال الدعوة وترويج معارف القرآن وأهل البيت عليهم السلام والذود عن حياض القرآن الكريم وأتباع أهل البيت عليهم السلام.

إن المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام وفي سياق نهوضها برسالتها من أجل الإرتقاء بمستوى الوعي والمعرفة لدى أتباع أهل البيت عليهم السلام وترصين دعائم البيت الشيعي، قامت بتأليف الكتب واصدار المجلات بعدة لغات حيّة، وبكافّة الوسائل الثقافية المعاصرة المتاحة، بمختلف المواضيع على مستوى المخاطبين وفي شتى المجالات والميادين، قامت بعقد المؤتمر الدولي للإمام علي بن الحسين السجّاد عليه السلام.

وهنا أرى لزاماً عليَّ أن أقدّم شكري للجهود المتواصلة التي بذلها الأمين العام

للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام سماحة الشيخ محمّدحسن الاختري(دام عزّه)، وسماحة آية الله الشيخ قربان علي دري نجف آبادي، نائب رئيس المجلس الأعلى للمجمع ورئيس اللجنة العلمية لمؤتمر العالمي للإمام السجاد عليه السلام. وسماحة الشيخ محمّد سالار معاون الشؤون الدولية، والمهندس مجد حكمت معاون الشؤون التنفيذية، وأعضاء اللجنة العلمية للمؤتمر أصحاب السماحة: الشيخ محمّدهادي اليوسفي الغروي، السيّد محمّدرضا الحسيني الجلالي، السيّد محسن الحسيني الأميني، السيّد منذر الحكيم، الشيخ حميدرضا المطهّري، الشيخ رمضان المحمّدي، السيد محمّدرضا آل أيوب، والشيخ عبّاس الجعفري مدير لجنة الدراسات الاستراتيجية وسكرتير اللجنة العلمية لإقامة المؤتمر العالمي للإمام السجاد عليه السلام.

وكذلك نشكرُ الكتّاب والمترجمين والمقيّمين: سماحة آية الله الشيخ محمّدمهدي الآصفي، الشيخ قيس بهجت العطّار، السيّد راضي الحسيني، السيّد عبدالأمير المؤمن، السيّد أمين السعيدي، السيّد محمّد المروّج، عبدالكريم الكرماني، محمدعلي معينيان، محمّدجواد الخرسندي، حسين الصمدي، حسين الصالحي، قاسم البغدادي، جواد الجعفري، وبرويز الكاظمي، وجميع الإخوة الذين عاضدونا بشكل أو بآخر على صياغة واعداد وطباعة هذه المقالات.

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لخدمة الإسلام والمسلمين بنشر فكر وتراث أهل البيت عليهم السلام.

**نجف لك زايي**

**معاون الشؤون الثقافية**

المقدمة:

## الأبعاد الثقافيَة والسياسيَة والاجتماعيَة

## لحياة الإمام زين العابدينعليه السلام

يتلخّص منهج السياسة الأمويّة في تمكين آل أميّة من فرض سلطانها على العالم الإسلاميّ، ومكافحة كلّ حالات الإعتراض المسلّحة والسياسيّة... في كلمتين: الإرهاب والإفساد.

وواضع هذه السياسة هو معاويّة بن أبي سفيان مؤسّس هذه السلسلة، وورث يزيد بن معاويّة هذه السياسة المزدوجة في تمكين بني أميّة من الحكم من أبيه، وبالغ في إستخدام العنف والإفساد، وكان من أبرز حالات العنف والإرهاب في فترة ولايته ـ رغم قصرها ـ فاجعة كربلاء، ثمّ مأساة الحرّة، ثمّ إحراق الكعبة المشرّفة في ثلاث سنوات متواليات، تولّى فيها الحكم من بعد أبيه.

وأمعن في الإفساد والفساد، وممارسة المجون والخلاعة، والشرب، وانتهاك حرمات الله حتى ضجّ منه الوفد الذي قصده من أبناء الصحابة من المدينة إلى قصره في الشام.

ورغم بشاعة الجرائم التي ارتكبها يزيد بن معاويّة بعد أبيه من العنف والإرهاب والفساد والإفساد في الشام والعراق والحجاز... حتى آل الأمر إلى شهادة الإمام الحسينعليه السلام وأهل بيته وأنصاره بتلك الصورة المفجعة، وانتهاك حرمة مدينة رسول اللهصلى الله عليه وآله، ومصرع الصحابة وأبناء الصحابة والتابعين بجوار الحرم النبويّ، ورغم تظاهر الخبيث بانتهاكه حدود الله وحرماته في قصره أمام

المسلمين، ولمّا يمرّ على وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله صاحب الرسالة، غير خمسين عاماً فقط.

أقول: رغم ذلك كلّه لم يحدّثنا التاريخ بثورات وانتفاضات شعبيّة واسعة تجاه السياسة الأمويّة في الإرهاب والإفساد اللّذين تمّا تم على عهد معاويّة وابنه يزيد.. لم يحدث شيء من هذا القبيل يومئذ في الحجاز والعراق والشام، غير حركة الإعتراض المسلّحة التي قادها المختار الثقفيّ رحمه الله بعد هلاك يزيد في الكوفة، والثورة المسلّحة المحدودة التي قادها التوّابون في العراق. . وأمّا فاجعة الحرّة وما ارتكب يزيد بن معاويّة فيها من الجرائم، فلا نعرف لها صدى وردود فعل واسعة في الأوساط الإسلاميّة يومئذ في العراق والشام والحجاز ومصر وغير ذلك من الأقاليم الإسلاميّة، غير اعتراضات محدودة جداً في العراق والحجاز.

ويحار الإنسان في تفسير هذا السكوت المطلق من قبل المسلمين عن جرائم بني أميّة يومئذ. .

ولا تشير المدوّنات التاريخيّة التي أرّخت هذه الفترة إلى تفسير هذا السكوت والقعود عن الإعتراض تجاه سياسة بني أميّة.

كما لا نجد في المؤرّخين المحدّثين الذين يؤرخون هذه الفترة المعتمّة من التاريخ الإسلاميّ من يحاول أن يفسّر هذا السكوت المطلق للمسلمين عن الإعتراض على بني أميّة والقعود عن مقاومتهم. . رغم أنّ التحليل والتفسير والنقد العلمي تُعدُّ جزءاً أساسياً من مسؤوليّات المؤرِّخ اليوم، رغم ذلك لم نقرأ في الأبحاث التاريخيّة المعاصرة تفسيراً لهذه الظاهرة الملفتة للنظر في تلك الفترة من تاريخ المسلمين.

نحن نعتقد ـ في تحليل هذه الظاهرة ـ أنّ السياسة الأمويّة في الإرهاب والإفساد حقّقت نجاحاً واضحاً منذ ولايّة معاوية، في ترويض العالم الإسلاميّ

يومئذ على السكوت عن الإعتراض على سياسات بني أميّة، وإيثار العافيّة على مواجهة عمّال بني أميّة.

ولقد كان بنو أميّة يتوقّعون الإعتراضات المسلّحة والسياسيّة من الحرمين الشريفين في الحجاز، حيث يعيش أبناء الصحابة والتابعون، كما حدث ذلك في المدينة المنوّرة، بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره (رضوان الله عليهم).

ويَعْجَبُ الإنسان عندما يقرأ منهج بني أميّة في تطويع الحرمين الشريفين في مكّة والمدينة للسياسة الأمويّة بالعنف والإفساد، فلقد بلغ العنف والقمع والإرهاب والذبح في الصحابة وأبنائهم والتابعين في المدينة على يد مسلم (مسرف) بن عقبة حدّاً لم يكن يتصوّره أحد.

وبلغ الأمر في القضاء على حركة عبد الله بن الزبير الذي أراد أن ينتزع السلطة من آل أميّة وينقلها إلى آل الزبير، أنّ الجيش الذي كان يحاصر الحرم المكّيّ الشريف أحرق الكعبة الشريفة بالمنجنيق.

وبلغت سياسة الإفساد في الحرمين الشريفين أنّ آل أميّة أدخلوا الغناء والطرب إلى الحرمين الشريفين وأشاعوا اللهو والفساد والطرب والغناء فيهما بشكل واسع، وطلبوا لهما المغنّين والمغنّيات والمطربين والمطربات من شتى أقاليم العالم الإسلاميّ بمبالغ باهظة من بيت المال، وكانت ليالي البيض في (منى) حيث يجتمع الحجّاج من أطراف العالم الإسلاميّ، ليشهدوا منافع لهم.. ندوات ساهرة عامرة بالغناء واللهو.. وتكفي قراءة بعض ما ذكره أبو الفرج الأصبهانيّ في (الأغاني) وغيره من الذين أرّخوا هذه الفترة، لنعرف عمق المأساة التي حلّت بالمسلمين يومئذٍ على يد آل أميّة في إشاعة اللهو والفساد في الحرمين الشريفين، ليأمنوا جانبهما في الإعتراض على سلطان بني أميّة وولايتهم على المسلمين.

يقول ابو الفرج الأصبهانيّ في الأغاني (إنّ الغناء في المدينة، لا ينكره عالمهم، ولا يدفعه عابدهم)[١].

ونقرأ في (الأغاني) أيضاً: أنّ فقهاء كباراً في المدينة كانوا يغنون ولهم أصوات يذكرها أبو الفرج في الأغاني لا نسمّيهم إكراماً لهم، لكن بوسعك أن تقرأ أخبارهم في (الأغاني لأبي الفرج)[٢].

وبلغ الأمر أنّ أهل الحجاز عامّة كانوا يجيزون الغناء[٣].

واتّخذ عروة بن الزبير قصراً بالعقيق (وادي على مقربة من المدينة) فقال له الناس قد جفرت عن مسجد رسول الله ﷺ. قال إنّي رأيت مساجدهم لاهيّة وأسواقهم لاغيّة والفاحشة في فجاجهم عالية[٤].

وقال أبو يوسف لبعض أهل المدينة ما اعجب أمركم يا أهل المدينة في هذه الأغاني: ما منكم شريف ولا دنيء يتحاشى عنها[٥].

وكان إذا سال العقيق لا يبقى في المدينة مخبأة (مخدّرة) ولا شابّ ولا شابّة ولا كهل إلا خرج إلى العقيق ليسمع الغناء[٦].

وأصبحت المدينة المنوّرة مركزاً متميزاً لتعليم الجواري الغناء[٧].

ولم يحدث هذا التركيز على إشاعة الغناء والطرب في الحرمين الشريفين إلا بتخطيط وسعي من بني أميّة لإفساد الناس في الحرمين الشريفين وإسقاطهما في نظر عامّة المسلمين.

---

(١) الأغاني لأبي الفرج الأصبهانيّ: ٢٢٤/٨(دار الكتب).

(٢) الأغاني: ١٨٦/١ و٤١٩/١ و٤٢٠/١ (ترقيم المكتبة الشاملة).

(٣) عقد الفريد: ٣٩٠/٢ (ترقيم المكتبة الشاملة).

(٤) تاريخ دمشق: ٢٨٠/٤٠.

(٥) العقد الفريد: ٢٣٣/٣.

(٦) العقد الفريد: ٢٤٥/٣.

(٧) اعلام الهداية: ١٠٧/٦ عن الأغاني: ٢٢٦/٢، ٣٠٧/٣، ٢٢٢/٤، ٢١/٦، ٣١٦/٧ و٣٣٢، ٢٢٧/٨، ١٠، ٥٧ وكتاب الشعر والغناء في مكة والمدينة: ٢٥٠.

وإذا كان الحرمان الشريفان بهذه المثابة فما بالك بسائر أقطار العالم الإسلاميّ من مصر والعراق وإيران والشام؟

هذه السياسة المزدوجة من (الإرهاب) و(الإفساد) آتت ثمارها التي كان يسعى إليها آل أميّة في تمكينهم من السلطان في العالم الإسلاميّ الواسع يومئذ.

## المعارضة الشيعيّة:

وكانت المعارضة الوحيدة التي صمدت بوجه بني أميّة في هذه الفترة هي المعارضة الشيعيّة.. فلم يتمكّن بنو أميّة أن يروّضوا هذه المعارضة لسياساتهم.

ورغم كلّ الوسائل التي استخدمها بنو أميّة في تذليل هذه العقبة وتطويع شيعة أهل البيت عليهم السلام من خلال الإرهاب والإفساد، لم يتمكنوا من القضاء على هذه المعارضة.

أمّا المعارضة الخارجيّة (الخوارج)، فلم تقاوم الإرهاب الأمويّ طويلاً، فقد كانت حركة الخوارج حركة انتحاريّة انفعاليّة، شعاريّة، غير عقلانيّة، ولا تملك خطّة مدروسة لمواجهة بطش بني أميّة، وسلطانهم، وإفسادهم.

ولذلك لم يتمكّن الخوارج من أن يقاوموا بني أميّة طويلاً، وسرعان ما انتهت هذه الحركة، ويكاد أنْ يختفي دورهم في التاريخ الإسلاميّ، بعد البطش الذي مارسه الحجّاج ضدّهم.

أمّا حركة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم فكانت حركة متميّزة بالعقلانيّة والحزم والسريّة والكتمان الشديد والتقيّد وتجنّب الانفعال والطيش.

وقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام يطلب من شيعته أن يتجنّبوا حالة الطيش والنزق وقلّة الكتمان، التي كان يعرفها عند بعض الناشئين من شيعته، فيقول عليه السلام:

**«وددت والله أنّي افتديت خصلتين في الشيعة ببعض لحم ساعدي: النزق، وقلّة الكتمان»**[1].

---

(١) أصول الكافي: ٢ / ٢٢١.

لقد كان أهل البيت عليهم السلام، يؤكّدون لشيعتهم دائماً ضرورة ضبط النفس، والكتمان والتقية، والتعقل، والتروي، والتخطيط المرحلي لمواجهة طيش بني أمية. في الوقت الذي كانوا يحرصون على إعلان المقاطعة لهم، ورفض التعاون مع الظلمة، والبراءة منهم وتحريم دعمهم والتعاون معهم بأي شكل من الأشكال.

هذه السياسة الحازمة العقلانيّة في معارضة الحكم الأموي حفظت شيعة أهل البيت على خط المعارضة. وإن لم نقل أنّها كانت هي المعارضة الوحيدة في الساحة السياسيّة يومذاك، فقد كانت هي المعارضة الأقوى والأشد على النظام الأموي. منذ أيّام الإمام الحسن عليه السلام في عهد معاويّة إلى نهايّة العهد الأموي.

ولهذا السبب فقد أمعن بنو أميّة في محاربة شيعة أهل البيت عليهم السلام، وملاحقتهم، واستئصالهم، والتضييق عليهم، وسجنهم، وقتلهم، وقطع أرزاقهم.

وكانت هذه الفترة من حكم بني أميّة من أشق فترات التاريخ على أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم.

يقول ابن أبي الحديد، وهو ممن أرّخ هذه الفترة:

(ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام، وولي عبد الملك بن مروان، فاشتدّ على الشيعة، وولّى عليهم الحجّاج بن يوسف، فتقرّب إليه حتى المتظاهرين بالنسك والصلاح والدين ببغض عليّ وموالاة أعدائه وموالاة من يدّعي من الناس أنهم أيضاً أعداؤه، فأكثروا من الروايّة في فضيلتهم (أي بني أمية) وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من البغض من علي عليه السلام وعيبه والطعن فيه، والشنآن له)[١].

لقد بالغ بنو أميّة في ملاحقة شيعة أهل البيت عليهم السلام وتصفيتهم ونشر الرعب فيهم، وبشكل خاص في العراق، فقد كان العراق معروفاً بكثرة الشيعة.

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١١/ ٤٦، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم.

وقد عاش الإمام الباقر عليه السلام هذه الفترة الصعبة من اضطهاد شيعته، والتضييق عليهم واستئصالهم. . يقول عليه السلام، كما يروي ذلك عنه ابن أبي الحديد، في شرح النهج :

**(ثمّ لم نزل أهل البيت، نُستذل ونستضام، ونُنقَص ونُمتَهن، ونُحْرَم، ونُقتل، ولا نأمن على دمائنا ودماء موالينا، ووَجد الكاذبون الجاحدون، لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم، وقضاة السوء، وعمّال السوء، في كلّ بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنّا ما لم نقله، وما لم نفعله ليبغضونا إلى الناس. وكان عظم ذلك وكبره زمن معاويّة بعد موت الحسن عليه السلام، فقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنّة، وكان من يُذكَر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره، ثمّ لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام، ثمّ جاء الحجّاج فقتلهم كلّ قتلة، وأخذهم بكل ظنة وتهمة، حتى أنّ الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال له شيعة عليّ)**[1].

يقول ابن الأعثم (المتوفّى سنة ٣١٤هـ) في كتابه الفتوح، فيما ارتكبه زياد بن أبيه أيّام معاويّة من قتل الشيعة وملاحقتهم واستئصالهم:

(وجعل زياد يتتبع شيعة عليّ بن أبي طالب، فيقتلهم تحت كلّ حجر ومدر، حتى قتل منهم خلقاً كثيراً، وجعل يقطع أيديهم وأرجلهم، ويسمل أعينهم، وجعل أيضاً يغري بهم معاوية، فقتل منهم معاويّة جماعة، وفيمن قتل حجر بن عدي الكنديّ وأصحابه، وبلغ ذلك الحسن بن علي عليه السلام فقال: **«اللهم خُذْ لنا ولشيعتنا من زياد بن أبيه، وأرنا فيه نكالاً عاجلاً»**[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١/ ٤٤. وروى المجلسي هذا النص عن ابن أبي الحديد في البحار: ٦٨ - ٦٩.

(٢) الفتوح لابن الأعثم: ٤/ ٢٠٣، ط حيدر آباد.

ويقول المدائني في هذه الفترة وعن ولايّة زياد بن أبيه عامل معاويّة على الكوفة:

(وكان أشد الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل معاويّة عليهم زياد بن سمية، وضم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة، وهو بهم عارف، لأنه كان منهم أيّام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كلّ حجر).

ويروي الطبريّ القصة التاليّة عن أسلوب زياد في استئصال الشيعة في الكوفة.

وخلاصة هذه القصة: (إن زياداً لما مات المغيرة وأنيطت به ولايّة الكوفة جاء إلى الكوفة، وصعد المنبر، وخطب في الناس، فَحُصِبَ وهو على المنبر.. يقول الطبري: فجلس حتى أمسكوا، ثمّ دعا قوماً من خاصته، وأمرهم فأخذ أبواب المسجد، ثمّ قال ليأخذ كلّ رجل منكم جليسه، ولا يقولن لا أدري من جليسي.

ثم أمر بكرسي فوضع له باب المسجد فدعاهم أربعة أربعة يحلفون بالله ما منا من حصبك، فمن حلف خلاّه، ومن لم يحلف حبسه وعزله، حتى صار إلى ثلاثين، ويقال بل كانوا ثمانين، فقطع أيديهم على المكان)[1].

## المحور السياسيّ والثقافيّ في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام:

بعد أن استعرضنا على نحو الإجمال الحالة الاجتماعيّة والسياسيّة للفترة الزمنيّة التي عاشها الإمام زين العابدين عليه السلام، نتحدث عن الدور الذي نهض به الإمام السجّاد عليه السلام في مواجهة هذا الواقع السياسيّ والاجتماعيّ.

---

(١) تاريخ الطبري، حوادث سنة ٥٠، ج ٧، ١١/ ٨٨ ط ليدن.

وتنتظم سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام بعد عودته إلى المدينة من رحلة الشهادة والتضحيّة في كربلاء... بمجموعة محاور، أهمّها بقدر ما يتعلّق بموضوع بحثنا:

١- المحور السياسيّ في طريقة تعامله عليه السلام مع حكومة بني أميّة وعمّالهم وأعوانهم.

٢- المحور التربويّ في بناء الجماعة الصالحة.

وهذان المحوران هما أهمّ النقاط التي نريد أن نتحدّث عنها في هذه الرسالة إن شاء الله.

-١-

# المحور السياسيّ
# في منهج تعامل الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام
# مع حُكّام بني أميّة

حول هذا المحور نتحدّث عن نقطتين مهمّتين في موقف الإمام زين العابدين عليه السلام من حكومة بني أميّة وعمّالهم وأعوانهم في البلاد:

أ ـ موقف الإمام من الخروج والثورة المسلّحة ضدّ حكّام بني أميّة وعمّالهم في البلاد.

ب ـ إعلان المقاطعة السياسيّة والمعارضة لحكّام بني أميّة، ونفي شرعيّة حكومة بني أميّة، والنهي عن التعاون معهم. وسوف نتحدّث عن هاتين النقطتين بإيجاز إن شاء الله.

## أ ـ موقف الإمام عليه السلام من الثورة المسلّحة

لقد علم بنو أميّة أنّ شيعة علي عليه السلام هم المعارضون السياسيّون الصلبون ضدّ حكمهم. . وبإمكان هذه المعارضة أن تستقطب ثقة الناس ودعمهم ومشاركتهم ما لا تستطيعه أيّة جماعة معارضة أخرى.

وكان الخوارج يومذاك يحسبون في عداد المعارضات السياسيّة القويّة لحكّام بني أميّة، إلا أنّ المعارضة الخارجيّة كانت حركة انتحارية، انفعاليـة، في التعامل مع الساحة السياسيّة والأحداث كما قلنا، وهذه الحالة الانفعاليّة وغير العقلانيّة في تكفير المسلمين وقتلهم بصورة عشوائية، أدّت إلى تصفيتها من قبل حكّام بني أميّة، وعمّالهم كالحجّاج بن يوسف الثقفي، وغابت هذه الحركة عن الساحة السياسيّة في أواسط العصر الأمويّ تقريباً، ولم تعد هذه الحركة تقلق حكّام بني أميّة.

ولم يكن أمر المعارضة الشيعيّة كذلك، فقد كانت هذه المعارضة تمتلك جماعة عريضة، وخطّة سياسيّة، وقابليّة على ترحيل العمل السياسيّ ، والثورات المسلّحة، وقدرة كبيرة على الاختفاء والكتمان والعمل في السرّ.

لقد اهتزّت دولة بني أميّة من أقصاها إلى أقصاها بسبب خروج الحسين عليه السلام ومصرعه، ولم يعد لهذه الدولة الموقع الشرعيّ الذي كان يدّعيه بعنوان خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله ، بعد مصرع الحسين عليه السلام وأنصاره، في نظر عامّة المسلمين، وكانوا يتعاملون معها، كما يتعاملون مع أيّ حكومة زمنيّة ظالمة ذات قوّة وبطش. . ورغم كلّ الإعلام الأمويّ الواسع فقد دفع آل أميّة ضريبة باهظة بسبب مصرع الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره على أيديهم، ولم يعد بإمكانهم جبر الكسر الذي حدث في سلطانهم في حادث الطفّ.

ومع كلّ هذا الإرهاب والتصفيات الواسعة التي مارسها بنو أميّة تجاه شيعة أهل البيت عليهم السلام... بقي شيعة أهل البيت معارضة سياسيّة قويّة، ومسلّحة أحياناً في وجه بني أمية، يهدّدون سلطانهم وملكهم في كلّ حين، رغم كلّ القتل والسجن والمطاردة التي مارسها بنو أميّة بحقّ آل عليّ وشيعتهم.

ولذلك كان بنو أميّة يخطّطون للقيام بتصفيّة واسعة لشيعة أهل البيت عليهم السلام في العراق والحجاز، والتضييق عليهم في أرزاقهم ومطاردتهم وحبسهم وقتلهم، ومن يقرأ ما حدث لشيعة الإمام علي عليه السلام في العراق في عهد معاوية، وبعد ذلك، وفي عهد عبد الملك وهشام، وفي ولايّة الحجّاج في العراق، لا يتردد في هذه الحقيقة، وقد قرأنا من قبل كلمة الإمام الباقر عليه السلام في سياسة بني أميّة في استئصال شيعة أهل البيت عليهم السلام، وملاحقتهم، ومطاردتهم، والتضييق عليهم.

لقد عاش الإمام زين العابدين عليه السلام هذه الفترة الصعبة بعد مصرع أبيه عليه السلام وأنصاره (رضوان الله عليهم) بكربلاء.

فكان الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام يعمل ما في وسعه لئلا يعطي ذريعة لبني أميّة وعمّالهم ليمارسوا هذه التصفيّة السياسيّة الواسعة التي كان يخطّط لها بنو أميّة لشيعته.

وكان الإمام عليه السلام هو رأس هذا الاستهداف.. وكان بنو أميّة يعلمون جيّداً أنّ الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام وارث عاشوراء، حضر كربلاء يوم عاشوراء، وحفظه الله تعالى من بطش الظالمين يوم عاشوراء، ليحمل ميراث الحسين عليه السلام سيّد الشهداء، وأنصاره الشهداء من بعدهم للمسلمين، فكان زين العابدين عليه السلام يحمل خطاب الشهداء في كربلاء وخطاب سيد الشهداء إلى المسلمين، وكان يشعر بثقل هذه المسؤوليّة، وكان يسعى لأداء هذا الخطاب أوسع أداء إلى الأجيال، وكان بنو أميّة يعرفون ذلك كلّه.. وقد لمسوا تأثير هذا الخطاب في مسيرة أهل البيت عليهم السلام، على هيئة أسرى من كربلاء إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى الشام.

## الإمام زين العابدين يقيم أوّل مجلس عزاء للحسين عليه السلام عند مدخل المدينة:

روى بشير بن حذلم وقال: (لمّا قربنا من المدينة حطّ عليّ بن الحسين رحله وضرب فسطاطه وأنزل نساءه وقال: يا بشير رحم الله أباك لقد كان شاعراً فهل تقدر على شيء منه؟ فقلت: بلى يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله إنّي شاعر، فقال عليه السلام: ادخل المدينة وانع أبا عبد الله. قال بشير: فركبت فرسي وركضت حتى دخلت المدينة، فلمّا بلغت مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت أقول:

يا أهلَ يثربَ لا مُقامَ لكم بها

قُتِلَ الحسينُ فأدمعي مِدْرارُ

الجسمُ منهُ بكربلاءَ مضرَّجٌ

والرأسُ منهُ على القناة يدارُ

قال: ثمّ قلت: هذا عليّ بن الحسين عليه السلام مع عمّاته وأخواته قد حلّوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم أعرّفكم مكانه.

قال: فلم يبق في المدينة مخدّرة ولا محجّبة إلا برزن من خدورهن، وهنّ بين باكيّة ونائحة ولاطمة، فلم ير يومٍ أمرّ على أهل المدينة منه، وسألوه: من أنت؟ قال: فقلت: أنا بشير بن حذلم، وجّهني عليّ بن الحسين، وهو نازل في موضع كذا وكذا مع عيال أبي عبد الله ونسائه.

قال: فتركوني مكاني وبادروني، فضربت فرسي حتى رجعت إليهم، فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع، فنزلت عن فرسي، وتخطّيت رقاب الناس حتى قربت من باب الفسطاط، وكان عليّ بن الحسين داخلاً فخرج وبيده

خرقة يمسح بها دموعه وخادم معه كرسيّ، فوضعه وجلس وهو مغلوب على لوعته، فعزّاه الناس، فأوما إليهم أن اسكتوا، فسكنت فورتهم فقال:

الحمد لله ربّ العالمين مالك يوم الدين بارء الخلائق أجمعين، الذي بَعُدَ فارتفع في السماوات العلى، وقرب فشهد النجوى، نحمده على عظائم الأمور وفجائع الدهور وجليل الرزء وعظيم المصائب.

أيّها القوم إنّ الله وله الحمد ابتلانا بمصيبة جليلة وثلمة في الإسلام عظيمة، قُتل أبو عبد الله وعترته، وسبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عالي السنان، أيّها الناس فأيّ رجالات يسرّون بعد قتله؟ أيّة عين تحبس دمعها وتضنّ عن إنهمالها، فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار والسماوات والأرض والأشجار والحيتان والملائكة المقرّبون وأهل السماوات أجمعون.

أيّها الناس أيّ قلب لا ينصدع لقتله؟ أم أيّ فؤاد لا يحنّ إليه؟ أم أيّ سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلم في الإسلام؟

أيّها الناس أصبحنا مطرودين، مشرّدين، مذودين، شاسعين، كأنّا أولاد ترك أو كابل من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه. ما سمعنا بهذا في آبائنا الأوّلين. إن هذا إلا اختلاق، والله لو أنّ النبيّ تقدّم إليهم في قتالنا كما تقدّم إليهم في الوصاة بنا، لما زادوا على ما فعلوه، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون)[١].

## إضطهاد وارث كربلاء

لقد كان عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام وارث عاشوراء حقّاً، وكان يحمل تراث عاشوراء، وينشره أينما يحلّ... فقد كان شاهد عاشوراء ووارثه وحامل خطابه.

---

(١) معالم المدرستين للسيّد مرتضى العسكري: ١٦٩/٣-١٧٠ عن مثير الأحزان: ٩٠-٩١، اللهوف: ٧٦-٧٧. ٢ تاريخ الطبريّ: ٣٧٩/٢ ط، اروبا.

ولذلك كان يخافه بنو أميّة على ملكهم وسلطانهم ويرصدونه، ويتحيّنون الفرص به للقضاء عليه وأهل بيته وشيعته، لتخلو الساحة لبني أميّة من المعارضة الشيعيّة العلويّة.

وكان عليّ بن الحسين عليه السلام يعي كلّ ذلك، ويحرص ألا يعطي لبني أميّة هذه الفرصة في السنوات الثلاث الأولى، على الأقلّ، من عودته إلى المدينة.

فآثر عليه السلام في أوّل وهلة من عودته من الشام إلى المدينة أن يغيب عنها، ويسكن البادية، ويبتعد عن الناس، ليأمن بنو أميّة جانبه، وليرسخ في نفوسهم أنّ الإمام قد اعتزل (الحَضَر) و(السياسة) و(المعارضة) ولم يعدّ الإمام تهديداً فعلياً لحكومة بني أميّة.

يروي ابن أبي قرّة في (المزار) عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: كان أبي عليّ بن الحسين عليه السلام قد اتخذ منزله بعد مقتل أبيه الحسين عليه السلام بيتاً من شعر، خارج المدينة، كراهيّة لمخالطة الناس.

وكان يسير في مقامه من الباديّة إلى العراق، زائراً لأبيه وجدّه عليهما السلام، ولا يُشعر بذلك من فعله [١].

لقد أبعدت هذه السياسة أنظار بني أميّة فعلاً عن الإمام زين العابدين، وأمنوا جانبه، وحفظ الإمام عليه السلام بذلك نفسه وأهله وشيعته من بطش بني أميّة برهة من الزمان.

---

(١) راجع فرحة الغري لابن طاووس: ٤٣. الإمام زين العابدين للسيّد عبد الرزاق المقرّم: ٤٢. جهاد الإمام السجّاد زين العابدين عليه السلام للسيّد محمّد رضا الجلالي: ٦٧.

ولقد كانت تلك البرهة، بعد مصرع الحسين عليه السلام فترة صعبة من أصعب ما مرّ على أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، وأيّ موقف انفعاليّ في هذه الفترة كان كافياً لاستئصال أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم على يد جلاوزة بني أمية.

ولم يكن لأهل البيت عليهم السلام أنصار في تلك الفترة الصعبة في الحرمين الشريفين، يقفون معهم وينصرونهم... وعن هذه الغربة والانفراد في الحجاز، يقول زين العابدين عليه السلام، كما في رواية ابن أبي الحديد (ما بمكّة والمدينة عشرون رجلاً يحبّنا)[1].

## موقف الإمام عليه السلام من ثورة أهل المدينة (الحرّة):

ونقطة أخرى تلفت النظر في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام في هذه الفترة، فهي أنّ الإمام عليه السلام لم يشترك في ثورة أهل المدينة المسلّحة على بني أميّة، لأنّ الإمام كان يعلم مآل هذه الثورة من انتهاك حرمة حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، والمذابح الواسعة التي جرت على يد مسلم (مسرف) بن عقبة (لعنه الله) للصحابة وأبناء الصحابة والتابعين، وانتهاك حرمات النساء في مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولأنّ هذه الثورة كان ينقصها التخطيط، ولم يكن قادة الثورة قد خططوا لهذه الثورة وأعدّوا لها عدّتها بصورة عقلانيّة.

ولسبب آخر يعادل كلّ الأسباب المتقدّمة، وهو أنّ الإمام كان لا يريد أنْ يعطي لبني أميّة ذريعة لقتله وتصفيّة من تبقّى من شيعته وأهله بعد كربلاء... ولا يمنحهم الفرصة التي كانوا يطلبونها للانقضاض على المعارضة الشيعيّة وإمامهم عليّ بن الحسين عليه السلام.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة: ١٤٠/٤.

## ملاحظات على ثورة المدينة:

نحن عندما نقرأ في التاريخ ثورة أهل المدينة على يزيد بن معاويّة تستوقفنا ملاحظات جديرة بالتوقّف. لا يسعنا دراستها في هذا الموضع من البحث وانّما نشير إليها ونتجاوزها.

لم يكن يخفى على الثائرين في المدينة أنّ يزيد بن معاويّة لا يقف موقف المتفرّج عن إعلان أهل المدينة للانفصال عن حكومة الشام، بعد أن طردوا عامله على المدينة، وأنّه سوف يبعث إليهم بجيش من الشام، لا يطيقون مقاومته.

وكان من المعقول جداً أن يفكّر الثائرون في المدينة بالاتصال بالأقطار الإسلاميّة الأخرى ليزودوهم بالرجال والمقاتلين والمال كما فعل الحسين عليه السلام في خروجه على يزيد، ولكنّهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك. وكان واضحاً لمن يتابع سير الأحداث يومئذ في المدينة... أنّ الثائرين سوف يعرضون مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وحرمه وقبره وأهل المدينة ومن بقي من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وأبناء الصحابة التابعين لفتك ذريع واسع من قبل جيش الشام الذي يقوده (مسرف) بن عقبة، وكان الأمر كذلك.

ونحن نحتمل أنّ عبد الله بن الزبير كان وراء هذه الواقعة فقد بعث أخاه منذر بن الزبير إلى المدينة ليحرِّض أهل المدينة على خلع يزيد وطرد عامله[1].

يقول المسعوديّ في مروج الذهب: (إنّ حركة أهل المدينة واخراجهم بني أميّة وعامل يزيد من المدينة كان عن إذن ابن الزبير)[2].

ويقول ابن الأعثم في الفتوح: (... إنّ أهل المدينة لمّا بلغهم مبايعة الناس لابن الزبير في مكّة والطائف وسائر مدن الحجاز، أخرجوا عامل يزيد من

---

(١) راجع الكامل لابن الأثير: ٤٥٠/٣.

(٢) مروج الذهب: ٧٨/٣.

المدينة وبايعوا عبد الله بن الزبير، وبلغ ذلك ابن الزبير، فأرسل إلى «عبد الله بن حنظلة الغسيل» فولاه المدينة)[١].

ومهما يكن من أمر فلم يصب عبد الله بن الزبير في اشعال نار الحرب في مكّة وتعريض الحرمِ المكي الشريف لانتهاكات جيش الشام، كما حدث، ولم يصب الثائرون في المدينة في تعريض مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله للانتهاك الواسع الذي قام به جيش الشامِ بقيادة (مسرف) بن عقبة في الحرمِ النبويّ الشريف في المدينة.

كما لم يصيبوا في إعلان الخروج على يزيد من غير الإعداد الكامل لهذه المعركة غير متكافئة بين الثائرين من أهل المدينة وجيش الشامِ، وبين ابن الزبير وأصحابه في مكّة وجيش الشامِ.

ولا نعلم كيف خفي هذه المدّة الطويلة فجور يزيد وفسقه وإعلانه على أهل المدينة، حتى رجع وفدهم من الشامِ من عند يزيد، فقالوا: (قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويضرب بالطنابير، ويعزف عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسمر عنده الخرابّ، فخلعوه من الخلافة)[٢].

وكان عبد الله بن حنظلة الغسيل يقول: (جئتكم من عند رجل لو لم أجد إلا بَنيَّ هؤلاء لجاهدته بهم)[٣].

ويقول: (ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نُرمى بالحجارة من السماء، إنّه رجل ينكح أُمّهات الأولاد والبنات، والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة)[٤].

---

(١) الفتوح لابن الاعثم: ١٥٦/٥-١٥٧.

(٢) الكامل لابن الأثير: ١٠٣/٤.

(٣) الكامل في التاريخ: ١٠٣/٤.

(٤) تاريخ الخلفاء: ٢٠٩.

وكان الإمام الحسين عليه السلام قد كشف للمسلمين يزيد بن معاويّة وفساده وفجوره منذ حياة أبيه معاويّة عندما كان يسعى معاويّة ليأخذ البيعة من المسلمين ليزيد في حياته[١].

روى ابن قتيبة الدينوريّ وغيره: لمّا قدم معاويّة المدينة حاجّاً، وأخذ البيعة ليزيد، وخطب ومدح يزيد، ووصفه بالعلم بالسنّة وقراءة القرآن والحلم الذي يرجح بالصم الصلاب. قام الحسين فحمد الله وصلى على الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ قال: أما بعد: فلن يؤدّي القائل -وإن أطنب -في صفة الرسول صلى الله عليه وآله من الجميع جزءا، هيهات هيهات يا معاوية! فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضلت حتى أفرطت، واستأثرت حتى أجحفت، ومنعت حتى بخلت، وجزت حتى جاوزت، ما بذلت لذي حقّ من أتم حقه بنصيب، حتى أخذ الشيطان حظّه الأوفر، ونصيبه الأكمل. فهمت ما ذكرته عن يزيد من إكتماله وسياسته لأمّة محمّد صلى الله عليه وآله، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً أو تنعت غائباً، أو تخبر عمّا كان مما احتويته بعلم خاص، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المتهارشة عند التحارش، والحمام السبق لأترابهنّ، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده باصراً، ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق أكثر مما أنت لاقيه، فوالله ما برحت تقدّم باطلاً في جور، وحنقاً في ظلم، حتى ملأت الأسقية، وما بينك وبين الموت إلا غمضة، فتقدّم على عمل محفوظ في يوم مشهود، ولات حين مناص)[٢].

وقد كان حريّاً بأهل الحرمين الشريفين أن يقفوا مع ابن رسول الله صلى الله عليه وآله حين أعلن الخروج على يزيد، ولكنّهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك حتى استشهد

---

(١) راجع الاحتجاج للطبرسي في رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى معاويّة في التسقيط بيزيد.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١٥٣/١ (١٦٠) (٢٠٨). جمهرة الخطب: ٢٤٢/٢. الغدير: ١٦١/١٠-١٦٣ تاريخ اليعقوبي: ٢٢٨/٢ وأعيان الشيعة: ٥٨٣/١ والنصائح الكافية: ٦٩.

الحسين عليه السلام بكربلاء بتلك الصورة المفجعة... ولا نجد في خطاب الثائرين يومئذ في المدينة ذكراً للحسين عليه السلام، ومصرعه ومصرع أهل بيته وأنصاره الذين سبقوهم للخروج على يزيد.

وهذه وغيرها نقاط غامضة في ثورة أهل المدينة تحتاج إلى إجابة وبيان.

ومهما يكن من أمر، فقد كان من رأي الإمام زين العابدين عليه السلام ألا يدخل في هذه المواجهة المسلّحة لجيش الشام، وأن ينأى بنفسه وأهل بيته وشيعته عن هذه القضيّة، فهو يعلم أنّ بني أميّة كانوا يبحثون عن ذريعة يتمسّكون بها للقضاء على بقيّة السيف من آل محمّد صلى الله عليه وآله وشيعتهم، ليتاح لهم القضاء الكامل على المعارضة العلويّة بعد وقعة الطف.

وكان عليّ بن الحسين عليه السلام يحرص ألا يعطي هو وأهل بيته وشيعته هذه الفرصة ليزيد، حتى تأتي الفرصة المناسبة للحركة الثقافيّة والسياسيّة الواسعة لأهل البيت بين المسلمين.

يقول الشيخ المفيد رحمه الله قدم (مسرف) بن عقبة المدينة، وكان يقال: (إنّه لا يريد غير عليّ بن الحسين) [(١)].

ويقول المسعوديّ: نظر الناس إلى عليّ بن الحسين السجّاد، وقد لاذ بالقبر وهو يدعو، فأتي به إلى مسرف، وهو مغتاظ عليه، فتبرأ منه ومن آبائه، فلمّا رآه وقد أشرف عليه ارتعد، وقام له، وأقعده إلى جانبه، وقال له: سلني حوائجك، فلم يسأله في أحد ممن قدم إلى السيف إلا شفّعه فيه، ثمّ انصرف عنه. فقيل لعلي: رأيناك تحرك شفتيك، فما الذي قلت؟ قال: قلت: اللهم ربّ السماوات السبع وما أظللن، والأرضين وما أقللن، ربّ العرش العظيم، ربّ محمّد وآله

---

(١) مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني: ٣٦٩/٤ جامع أحاديث الشيعة: ٢٠٦/١٥ والإرشاد للمفيد: ٢٩٢.

الطاهرين، أعوذ بك من شرّه، وأدرأ بك في نحره، أسألك أن تؤتيني خيره، وتكفيني شرّه. وقيل لمسلم: رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه، فلمّا أتى به إليك رفعت منزلته!؟ فقال: ما كان ذلك لرأي مني، لقد مُلئ قلبي منه رعبا)[١].

## الإمام السجّاد عليه السلام في ظروف الاضطهاد الأموي:

واستمر بنو أميّة وعمّالهم يبثّون عيونهم حول عليّ بن الحسين عليه السلام ليجدوا فرصة مناسبة وذريعة للقضاء عليه بعد واقعة الطفّ حتى سنتين أو ثلاث بعد هلاك يزيد، ولكن الإمام عليه السلام، كان يعي حساسيّة الظروف السياسيّة يومئذ بعد مصرع الإمام الحسين عليه السلام ويفوت عليهم الفرصة التي كانوا يتمنّونها حتى تغيّرت الظروف السياسيّة ووجد الإمام عليه السلام أنّ الظرف مواتٍ للعمل والحركة السياسيّة والثقافيّة، فتغيّرت سياسة الإمام عليه السلام عندئذ.

يقول إسماعيل بن عليّ أبو سهل النونجتيّ عن فترة الاضطهاد السياسيّ هذه: (وقتل الحسين عليه السلام وخلف عليّ بن الحسين ثمّ انقبض عنه الناس فلم يلق أحداً، ولا كان يلقاه إلا خواصّ أصحابه. وكان في نهايّة العبادة، ولم يخرج عنه من العلم إلا يسير، لصعوبة الزمان وجور بني أميّة)[٢].

أجل كان الإمام عليه السلام يعتزل الناس وينأى بنفسه عن عيون بني أميّة، ولذلك لم يكن يتصل به أحد خلال هذه الفترة، إلا القليل من خواصّه، ولهذا السبب لم يخرج عنه من العلم إلا اليسير، حتى إذا تجاوز ظروف الفتنة أخذ منه الناس علماً كثيراً جمّاً، وكان له مجلس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله يعظ الناس معه فيه[٣].

---

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٧٠/٣.

(٢) جهاد الإمام السجّاد عليه السلام للجلالي: ٦٤ عن إكمال الدين للصدوق: ٩١.

(٣) الكافي للكليني: ٧٢/٨ وتحف العقول: ٢٤٩ وجهاد الإمام السجّاد للجلالي: ١٦٠.

ورغم كلّ هذه الحيطة والحذر من جانب الإمام زين العابدين عليه السلام كان بنو أميّة وعمّالهم يسعون ويعملون للقضاء على زين العابدين عليه السلام بأيّة ذريعة ممكنة. وقد قرأنا قريباً كيف همَّ (مسرف) بن عقبة أن يقتل الإمام عليه السلام لولا أنّ الله حفظه من بطش هذا المسرف.

روى الراونديّ في كتابه (الخرائج والجرائح): أنّ الحجّاج بن يوسف كتب إلى عبد الملك بن مروان: (إن أردت أن يثبت ملكك فاقتل عليّ بن الحسين عليه السلام)[1].

وأمر عبد الملك عامله على المدينة بإحضار الإمام عليه السلام إليه في الشام، فأُثقل الإمام بالحديد، ووكل به حُفّاظاً يحفظونه ليدخلوه على عبد الملك في الشام.

لقد كان الإمام يعلم بهذا الاستهداف، ويعرف نيّة بني أميّة تجاهه وتجاه شيعته علم اليقين، ويسعى بكلّ جهده لتفويت هذه الفرصة على بني أميّة.

أجل لم يشترك الإمام عليه السلام في ثورة أهل المدينة، ولكنه بذل ما في وسعه لحمايّة من تمكّن من حمايتهم من النساء والأطفال والرواة أيّام ثورة أهل المدينة على يزيد.. وقد ذكر المؤرّخون: أنّ الإمام عليه السلام آوى زهاء أربعمائة من النساء والأطفال والرجال وحماهم من فتك بني أمية.

وفي هذه الظروف أرسل المختار الثقفي رحمه الله إليه عليه السلام برؤوس قتلة الحسين عليه السلام وأولاده وأصحابه، فَسُرَّ الإمام عليه السلام بذلك وخرّ ساجداً لله ودعا له، وجزّاه خيراً[2].

واحتفل أهل البيت عليهم السلام بهذا الانتقام الإلهيّ العاجل من قتلة الحسين عليه السلام وأنصاره.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٦/ ٢٨، ح ١٩ . والخرائج والجرائح: ٢٥٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٥٩، دار صادر- بيروت.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (ما اختضبت هاشميّة، ولا إدّهنت، ولا دخل مرود في عين هاشميّة حتى بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد)[1].

ومع أنّ الإمام عليه السلام دعا للمختار وجزّاه الخير، لم يقبل منه ما أرسله إليه من الهدايا.

وكان يقول عليه السلام لمحمّد بن الحنفيّة: (يا عمّ، لو أنّ عبداً تعصّب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته، وقد وليتك هذا الأمر، فاصنع)[2].

---

(١) بحار الأنوار ٤٥/ ٣٨٠.

(٢) جهاد الإمام السجّاد: ص ٢٨٥، نقلاً عن المختار الثقفي للشيخ أحمد الدجيلي: ٥٩.

## ب ـ سياسة المقاطعة والمعارضة لحُكّام بني أميّة

سياسة المقاطعة والمعارضة لحُكّام بني أميّة وعمّالهم كانت من الثوابت السياسيّة لعلي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، ولا نعرف في حياته وسيرته أنه عدل عن هذه السياسة في وقت من الأوقات، حتى في الأيّام الأوائل من عودته من الشام إلى المدينة، حيث كان يسعى للتغيّب عن مجتمع المدينة لم يتخلّ عن هذه السياسة.

ولم يكن من رأي الإمام عليه السلام أنّ المبرِّرات التي تبرّر عدم التصدّي للمقاومة المسلّحة تبرّر السكوت عن المعارضة والمقاطعة لحكومة بني أمية.

### مع عبد الملك بن مروان:

وكان يعلن هذه المعارضة إعلاناً للناس، ويريد أن يظهر للناس أنّه لا يعترف لهذا النظام بشرعيّة واحترام.

روى المجلسيّ عن الخرائج والجرائح عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: (كان عبد الملك يطوف بالبيت، وعليّ بن الحسين يطوف بين يديه ولا يلتفت إليه، ولم يكن عبد الملك يعرفه بوجهه. فقال: من هذا الذي يطوف بين أيدينا، ولا يلتفت إلينا؟ فقيل: هذا عليّ بن الحسين عليه السلام ، فجلس مكانه، وقال ردّوه إليّ. فقال له: يا عليّ بن الحسين! إنّي لست قاتل أبيك، فما يمنعك من المصير إليّ؟ فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: (إنّ قاتل أبي أفسد بما فعله دنياه عليه، وأفسد أبي عليه بذلك آخرته، فإن أحببت أن تكون هو، فكن!

وكأنّما استشعر الإمام من كلمة عبد الملك تهديداً له، فأجابه بهذا الجواب فإن أحببت أن تكون هو فكن)[١].

وروى المجلسيّ في البحار عن البرقيّ في (المحاسن) قال: (بلغ عبد الملك أنّ سيف رسول الله صلى الله عليه وآله عنده - زين العابدين عليه السلام -، فبعث يستوهبه منه ويسأله الحاجة، فأبى عليه.

فكتب إليه عبد الملك يهدّده وأنّه يقطع رزقه من بيت المال، فأجابه عليه السلام: **(أمّا بعد فإنّ الله ضمن للمتقين المخرج من حيث يكرهون، والرزق من حيث لا يحتسبون. وقال جلّ ذكره: ﴿إنّ اللّهَ لا يُحبُّ كلّ خَوّان كَفُور﴾ [الحج: ٣٨]. فانظر أيّنا أولى بهذه الآية)**[٢].

يقول شهاب الزهريّ: (شهدت عليّ بن الحسين يوم حمله عبد الملك بن مروان من المدينة إلى الشام، فأثقله حديداً ووكل به حفاظا في عدّة وجمع، فاستأذنتهم في التسليم عليه والتوديع له، فأذنوا لي فدخلت عليه، وهو في قبّة والأقياد في رجليه والغلّ في يديه، فبكيت وقلت وددت أنّي مكانك وأنت سالم.

فقال يا زهريّ! أتظنّ أنّ هذا مما ترى عليّ وفي عنقي يكربني؟ أما لو شئتُ ما كان، فإنّه وإن بلغ منك وبأمثالك، ليذكرني عذاب الله، ثمّ أخرج يديه من الغل ورجليه من القيد، ثمّ قال يا زهريّ لا جزت معهم على ذا منزلتين من المدينة.

قال فما لبثنا إلا أربع ليال حتى قدم الموكّلون به يطلبونه بالمدينة فما وجدوه فكنت فيمن سألهم عنه، فقال لي بعضهم: إنّا لنراه متبوعاً إنّه لنازل ونحن حوله لا ننام نرصده إذ أصبحنا فما وجدنا بين محمله إلا حديدة.

قال الزهريّ: فقدمت بعد ذلك على عبد الملك بن مروان فسألني عن عليّ ابن الحسين فأخبرته.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٦/ ١٢٠ - ١٢١.

(٢) بحار الأنوار: ٤٦/ ٩٥.والمناقب لابن شهر آشوب: ٣٠٢/٣.

فقال لي: إنّه قد جاءني في يوم فَقَده الأعوان فدخل عليّ فقال ما أنا وأنت؟

فقلت: أقم عندي.

فقال: لا أحبّ.

ثمّ خرج، فوالله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة.

قال الزهريّ: فقلت يا أمير المؤمنين! ليس عليّ بن الحسين حيث تظنّ، إنّه مشغول بنفسه. فقال: حبّذا شغل مثله، فنعم ما شغل به)[(١)].

قال وكان الزهريّ إذا ذكر عليّ بن الحسين يبكي ويقول زين العابدين[(٢)].

ثمّ يقول ابن حجر: (ومن ثمّ كتب عبد الملك للحجّاج أن يجتنب دماء بني عبد المطلب وأمره بكتم ذلك، فكوشف به زين العابدين، فكتب: إليه إنّك كتبت للحجّاج، يوم كذا، سرّاً به إليه، فلمّا وقف عليه وجد تاريخه موافقاً لتاريخ كتابه للحجّاج، ووجد مخرج الغلام موافقا لمخرج رسوله للحجّاج، فعلم أنّ زين العابدين كوشف بأمره، فسر به وأرسل إليه مع غلامه بوقر راحلته دراهم وكسوة، وسأله ألا يخليه من صالح دعائه)[(٣)].

## الدعاء على الظالمين:

وكان عليه السلام يصوغ نقمته على الظالمين، وإعلانه لرفضهم على هيئة الدعاء.

---

(١) حليّة الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني: ٥٨٣/٢ ط دار الكتاب العربي بيروت. وتاريخ دمشق لابن عساكر: ٣٧٢/٤١ بحواشي المحقّق على شيري، وابن منظور في مختصر تاريخ دمشق: ٢٣٤/١٧. والصواعق المحرقة لابن حجر: ٥٨٣/٢ ط ١٩٧٧ ، بيروت. ومناقب ابن شهر آشوب: ١٣٢/٤ وكشف الغمّة: ٢٨٨/٢ ومدينة المعاجز: ٣٠٨ والثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي: ٣٥٣-٣٥٤.

(٢) المصادر المتقدّمة.

(٣) الصواعق المحرقة لابن حجر: ٥٨٣/٢ ط ١٩٩٧ بيروت.

ومنه هذا الدعاء الذي يرويه السيّد عليّ بن طاووس في الإقبال، وهو من أدعيّة الصحيفة السجّاديّة الخامسة:

(اللهم إنّ الظلمة جحدوا حقّك، وكفروا بكتابك، وكذّبوا رسلك، واستنكفوا عن عبادتك، ورغبوا عن ملّة خليلك، وبدّلوا ما جاء به رسولك، وشرعوا غير دينك، واقتدوا بغير هداك، واستنّوا بغير سنّتك، وتعدّوا حدودك، وسعوا معاجزين في آياتك، وتعاونوا على إطفاء نورك...) إلى أخر الدعاء.

## التحذير عن التعاون مع الظالمين:

كان عليه السلام يحذّر علماء عصره من التعاون مع الظالمين والدخول في أعمالهم وولاياتهم، ويقول:

**(العامل بالظلم، والمعين له، والراضي به، شركاء ثلاثة)**[١].

هؤلاء الثلاثة شركاء للظالم في كلّ ما يتحمّل الظالم من مسؤوليّات الظلم... وقد ورد هذا المعنى في زيارة الحسين عليه السلام المعروفة بـ (وارث): (لعن الله أمة قتلتك، ولعن الله أمّة ظلمتك، ولعن أمّة سَمعت بذلك فرضيت به).

لقد استحقّت الأمّة الأولى اللعن بقتل سيّد الشهداء عليه السلام.

ولم تمارس الأمّة الثانيّة والثالثة (قتلاً ولا ظلماً) وإنّما استحقّت اللعن بالسكوت عن الظلم والرضا بالظلم.

خَطب الإمام الحسين عليه السلام بمنزل البيضة في طريقه إلى كربلاء، فقال: (**أيّها الناس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرام الله ناكثاً**

---

(١) بلاغة عليّ بن الحسين عليه السلام للحائري، ص ٢٢٤.

**لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، ثُمّ لم يغيّر بقول ولا فعل، كان حقيقاً على الله أن يدخله مدخله»**[١].

ومما روي عنه عليه السلام في صحبة الظالمين والفاسقين:

**(لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم، إلا أوشك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم، ولا اصطحب اثنان على غير طاعة الله، إلا أوشك أن يتفرّقا على غير طاعة الله)**[٢].

وهي كلمة ذات شعبتين:

في الشطر الأوّل منها يشير الإمام إلى الذين يمدحون أرباب المال والسلطة من غير علم، وبما لا يعلمون تزلفاً إليهم، فيذكّرهم الإمام عليه السلام بأنّ هذا التزلّف سرعان ما يتحوّل إلى تباعد وتنافر، فيقولون فيهم يومئذٍ من الشرّ ما لا يعلمون، كما كانوا يقولون فيهم من قبل من الخير ما لا يعلمون.

وفي الشطر الثاني من الكلمة، ينذر الإمام الذين يصاحبون الظلمة والفاسقين بأنّهم كما اجتمعوا على معصيّة الله، فسوف يفترقون على معصيّة الله.

وكان عليه السلام يقول: **(وإيّاكم وصحبة العاصين، ومعونة الظالمين، ومجاورة الفاسقين، احذروا فتنتهم، وتباعدوا من ساحتهم، واعلموا أنّه من خالف أولياء الله، ودان بغير دين الله، واستبدّ بأمره دون وليّ الله، كان في نار تلتهب)**[٣].

(١) بحار الأنوار: ٣٨٢/٤٤ والعوالم مجلد الإمام الحسين: ٢٣٣ ط ١٤٠٧ مدرسة الإمام المهدي والفتوح لابن أعثم الكوفي: ٨١/٥

(٢) تهذيب الكمال للمزي: ٢٩٨/٢٠ وعيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري: ٣٨٨/١.

(٣) روضة الكافي: ١٣٨ وتحف العقول: ٦٧.

## مع الزهريّ:

كان محمّد بن مسلم الزهريّ من أبرز علماء البلاط الأمويّ في وقته، خدم بني أميّة طويلاً، وكان من أعوانهم، والذين يوطئون لهم الحكم.

قال ابن خلكان في ترجمته من وفيات الأعيان: (ولم يزل مع عبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك، واستقضاه يزيد بن عبد الملك)[1].

وقال ابن حجر: (أمره هشام أن يملي على أولاده أحاديث، فأملى لهم أربعمائة حديث)[2].

وقال ابن الحديد: (كان الزهريّ من المنحرفين عن عليّ عليه السلام).

وروى جرير بن عبد الحميد عن محمّد بن شيبة، قال: (شهدت مسجد المدينة، فإذا الزهريّ، وعروة بن الزبير جالسان يذكران عليّاً عليه السلام، فنالا منه، فبلغ ذلك عليّ بن الحسين عليه السلام، فجاء حتى وقف عليهما، فقال: أمّا أنت يا عروة فإنّ أبي حاكم أباك إلى الله، فحكم لأبي على أبيك. وأنت يا زهريّ، فلو كنت بمكّة لأريتك كير أبيك)[3].

وروى الذهبيّ في ترجمة خارجة بن مصعب، قال: (قدمت على الزهريّ، وهو صاحب شرطة بني أمية، فرأيته يركب، وفي يده حربة، وبين يديه الناس.. فقلت: قبح الله ذا من عالم، فلم أسمع منه)[4].

يقول ابن خلكان: (ولم يزل مع عبد الملك واولاده هشام وسليمان ويزيد. وقد استقضاه الأخير)[5].

---

(١) الإمام زين العابدين للسيد عبد الرزاق المقرّم: ١٥٥، نقلاً عن وفيات الأعيان لابن خلكان.

(٢) تهذيب التهذيب: ٩ / ٤٤٥.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٤/ ١٠٢.

(٤) ميزان الاعتدال للذهبي: ١ / ٦٢٥.

(٥) وفيات الأعيان: ٣٧١/٣.

وقيل ليحيى بن معين: (الأعمش خير أم الزهريّ؟ فقال: برئت منه ان كان مثل الزهريّ، إنّه كان يعمل لبني أميّة، والأعمش مجانب للسلطان ورع)[١].

## رسالة الإمام عليه السلام إلى محمّد بن مسلم الزهريّ[٢]:

روى ابن شعبة الحرّاني في تحف العقول: إنّ الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام كتب إلى محمّد بن مسلم الزهريّ:

(كفانا الله وإيّاك من الفتن، ورحمك من النار، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك، فقد أثقلتك نعم الله بما أصحّ من بدنك، وأطال من عمرك، وقامت عليك حجج الله بما حمّلك من كتابه، وفقّهك من دينه، وعرّفك من سنّة نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله، فرضي لك ـ في كلّ نعمة أنعم بها عليك، وفي كلّ حجة احتج بها عليك ـ الفرض بما قضى، فما قضى إلا ابتلى شكرك في ذلك،

---

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم: ٤٥.

(٢) الزهري هو محمّد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري من الفقهاء والحفّاظ التابعين، عمل في بلاط بني أميّة. وكان منحرفاً عن أمير المؤمنين عليه السلام ويداري بني أميّة في إخفاء فضائل أمير المؤمنين عليه السلام.

قال ابن الأثير في (أسد الغابة) ٣٠٨/١:

روى أبو أحمد العسكري باسناده عن عمّار بن يزيد عن عبد الله بن العلاء عن الزهري، قال: سمعت سعيد بن جناب يحدّث عن أبي عنفوانة المازني، قال سمعت أبا جنيدة جندع بن عمرو بن مازن، قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار». وسمعته، وإلا صمّتاً يقول، وقد انصرف من حجّة الوداع، فلمّا نزل غدير خم قام في الناس خطيباً وأخذ بيد عليّ وقال: «من كنت وليّه فهذا وليّه، اللّهم والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه». قال عبيد الله: فقلت للزهري: إلا تحدّث بهذا بالشام وأنت تسمع ملء أذنيك سب عليّ فقال: والله إنّ عندي من فضائل عليّ ما لو تحدّثت بها لقتلت).

وأبدى فيه فضله عليك، فقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾. [إبراهيم:٧].

فانظر: أيّ رجل تكون غداً إذا وقفت بين يدي الله! فيسألك عن نعمه عليك، كيف رعيتها؟ وعن حججه عليك، كيف قضيتها؟

ولا تحسبنّ الله قابلاً منك بالتعذير، ولا راضياً منك بالتقصير! هيهات هيهات، ليس كذلك أخذ على العلماء في كتابه إذ قال: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾. [آل عمران/ ١٨٧].

واعلم أنّ أدنى ما كتمت، وأخفّ ما احتملت أن آنست وحشة الظالم، وسهّلت له طريق الغيّ بدنوّك منه حين دنوت، وإجابتك له حين دُعيت. فما أخوفني أن تبوء بإثمك غداً مع الخونة، وأن تُسأل عمّا أخذت بإعانتك على ظلم الظلمة.

إنّك أخذت ما ليس لك ممّن أعطاك، ودنوت ممن لم يردّ على أحد حقّاً، ولم ترد باطلاً حين أدناك، وأحببت من حادّ الله.

أوليس بدعائه إيّاك، حين دعاك، جعلوك قطباً أداروا بك رحى مظالمهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم، وسلّماً إلى ضلالتهم. داعياً إلى غيّهم، سالكاً سبيلهم، يُدخلون بك الشكّ على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهّال إليهم؟

فلم يبلغ أخصّ وزرائهم، ولا أقوى أعوانهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم، واختلاف الخاصّة والعامّة إليهم. فما أقلّ ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك، وما أيسر ما عمّروا لك في جنب ما خرّبوا عليك. فانظر لنفسك، فإنّه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسؤول.

وانظر كيف شكرك لمن غذّاك بنعمه صغيراً وكبيراً؟ فما أخوفني أن تكون كما قال الله في كتابه: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف:١٦٩].

إنك لست في دار مقام، أنت في دار آذنت برحيل، فما بقاء المرء بعد قرنائه؟

طوبى لمن كان في الدنيا على وجل. يا بؤس من يموت وتبقى ذنوبه من بعده. إحذر فقد نُبِّئت، وبادر فقد أُجّلت.

إنّك تعامل من لا يجهل، وإنّ الذي يحفظ عليك لا يغفل. تجهّز فقد دنا منك سفر بعيد، وداوِ دينك فقد دخله سقم شديد. ولا تحسب أنّي أردت توبيخك وتعنيفك وتعييرك، لكنّي أردت أن ينعش الله ما فات من رأيك، ويردّ إليك ما عزب من دينك، وذكرت قول الله تعالى في كتابه: ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الذاريات: ٥٥].

أغفلتَ ذكر من مضى من أسنانك وأقرانك، وبقيت بعدهم كقرن أعضب.

انظر: هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به؟ أم هل وقعوا في مثل ما وقعت فيه؟ أم هل تراهم ذكرت خيراً أهملوه، وعلمت شيئاً جهلوه؟ بل حظيت بما حلّ من حالك في صدور العامّة، وكَلَفَهم بك، إذ صاروا يقتدون برأيك، ويعملون بأمرك، إن أحللت أحلّوا، وإن حرّمت حرّموا، وليس ذلك عندك، ولكن أظهرهم عليك رغبتهم فيما لديك ذهاب علمائهم، وغلبة الجهل عليك وعليهم، وحبّ الرئاسة، وطلب الدنيا منك ومنهم.

أما ترى ما أنت فيه من الجهل والغرّة؟ وما الناس فيه من البلاء والفتنة؟ قد ابتليتهم، وفتنتهم بالشغل عن مكاسبهم مما رأوا، فتاقت نفوسهم إلى أن يبلغوا من العلم ما بلغت، أو يدركوا به مثل الذي أدركت، فوقعوا منك في بحر لا يدرك عمقه، وفي بلاء لا يقدّر قدره. فالله لنا ولك، وهو المستعان.

أمّا بعد: فأعرض عن كلّ ما أنت فيه حتى تلحق بالصالحين الذين دفنوا في أسمالهم، لاصقةً بطونهم بظهورهم، ليس بينهم وبين الله حجاب، ولا تفتنهم الدنيا، ولا يفتنون بها.

رغبوا فطلبوا، فما لبثوا أن لحقوا. فإن كانت الدنيا تبلغ من مثلك هـذا المبلغ، مع كبر سنّك، ورسوخ علمك، وحضور أجلك، فكيف يسلم الحدث في سنّه، الجاهل في علمه، المأفون في رأيه، المدخول في عقله؟ إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

على من المعوّل؟ وعند من المستعتب؟ نشكو إلى الله بثّنا، وما نرى فيك، ونحتسب عند الله مصيبتنا بك.

فانظر: كيف شكرك لمن غذّاك بنعمه صغيراً وكبيراً، وكيف إعظامك لمن جعلك بدينه في الناس جميلاً، وكيف صيانتك لكسوة من جعلك بكسوته في الناس ستيراً، وكيف قربك أو بعدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً ذليلاً؟

ما لك لا تنتبه من نعستك؟ وتستقيل من عثرتك؟ فتقول: والله ما قمتُ لله مقاماً واحداً أحييتُ به له ديناً، أو أمَتُّ له فيه باطلاً، فهذا شكرك من استحملك؟! ما أخوفني أن تكون كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿**أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً**﴾ [مريم: ٥٩].

استحملك كتابه، واستودعك علمه، فأضعتهما! فنحمد الله الذي عافانا مما ابتلاك به. والسلام)[١].

## حوار مع الزهريّ:

وروي أنّ الزهري قال لعليّ بن الحسين عليه السلام: (كان معاويّة يسكته الحلم، وينطقه العلم. فقال عليه السلام: كذبت يا زهريّ، كان يسكته الحصر، وينطقه البطر)[٢].

---

(١) تحف العقول: ٢٧٤ - ٢٧٧.

(٢) الاعتصام للقاسم بن محمّد بن عليّ الزيدي، ط عمان، ١٤٠٣.

## حوار الإمام مع عباد البصريّ:

وفي طريق الحجّ يلقى عباد البصريّ الإمام زين العابدين عليه السلام وهو مقبل على الحجّ على طريق مكّة، فيقول للإمام: تركت الجهاد وصعوبته، وأقبلت على الحجّ ولينه؟ ثمّ قرأ عبّاد قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم...﴾.

فقال له الإمام عليه السلام: اقرأ بعدها: فقرأ: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢].

فقال زين العابدين عليه السلام: إذا ظهر هؤلاء لم نؤثر على الجهاد شيئاً[١].

والإمام عليه السلام يُعرِّض بالقيادة الأمويّة الظالمة التي كانت تتصدى يومئذ للقيادة والخلافة في العالم الإسلاميّ... ويقول لعباد البصري: إنّ القيادة الحاضرة المتصدّية لا تصلح للإمامة والقيادة، ولا يجوز الركون إليها، لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود:١١٣].

وكيف يصلح لإمامة المسلمين (رجل، فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمه، معلن الفسق)[٢].

(رجل ينكح أمّهات الأولاد والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة)[٣].

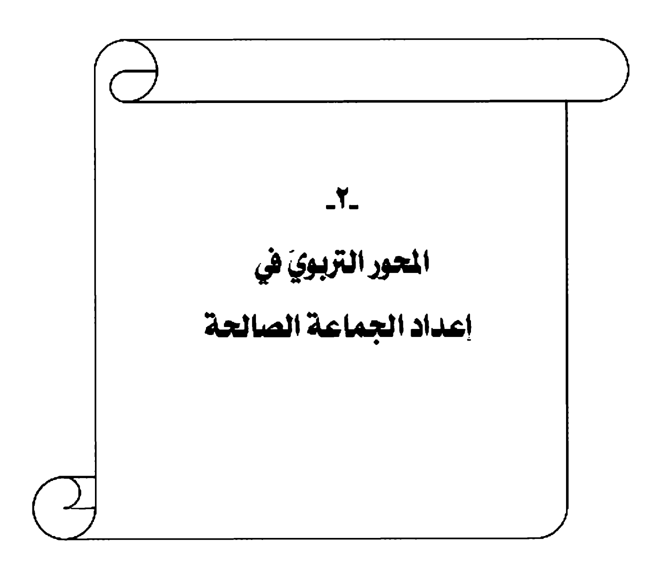
---

(١) من لايحضره الفقيه: ١٤١/٢ ومناقب آل أبي طالب: ١٧٣/٤.

(٢) مقتبس من كلمة الإمام الحسين عليه السلام في التعريف بيزيد. (إحقاق الحقّ) بشرح السيّد المرعشي: ٦١٥/٣٣ ولوائع الأشجان: ٢٥.

(٣) مقتبس من كلمة عبد الله بن حنظلة الغسيل في التعريف بيزيد. تاريخ الخلفاء: ص٢٠٩.

وعلى هذا النهج كان عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام يُعرِّضُ بخلفاء بني أميّة الفاسدين ويطعن فيهم، وينفي صلاحيتهم لإمامة أمّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وينكر على المتعاونين معهم تعاونهم معهم وركونهم إليهم.



-٢-

# المحور التربويّ في إعداد الجماعة الصالحة

## الحالة السياسيّة والاجتماعيّة في عهد بني أميّة

كانت خلافة بني أميّة انتكاسة شديدة للمشروع الإسلاميّ في ثلاثة مواقع:

١- في المواقع القياديّة للمجتمع الإسلاميّ الناشئ.

٢- في القيم والأحكام التي جاء بها رسول الله ﷺ من عند الله لهذه الأمّـة ، وأحلّها محلّ القيم والأعراف والأنظمة الجاهليّة.

٣- في بناء الأمّة التي وضع رسول الله ﷺ أسسها على هدى الوحي.

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار فأنّ الفترة الزمنيّة التي تفصل بين وفاة رسول الله ﷺ وقيام الحكومة الأمويّة أقل من نصف قرن، نعرف مدى فداحة الخسارة التي أصابت الكيان الربّاني الذي أقامه رسول الله ﷺ في دنيا الناس. . وإليك تفصيل هذا الإيجاز.

### المواريث النبويّة الثلاثة:

لقد تُوفّي رسول الله ﷺ وخلّف من بعده ثلاثة مواريث.. وكانت هذه المواريث الثلاثة كافيّة لإنقاذ البشريّة كلّها من ظلمات الجاهليّة. . وهذه الثلاثة هي:

١- ميراث المواقع القياديّة الجديدة التي أحلّها رسول الله ﷺ محلّ المواقع القياديّة الجاهليّة. . فقد جاء الإسلام بانقلاب شامل في المواقع القياديّة، حيث وضع الإسلام أناساً كانوا في قمّة الهرم الاجتماعيّ في الجاهلية، ورفع أناساً كانوا في حضيض المجتمع الجاهليّ من قبل.

وقد ثقل هذا التغيير في المواقع القياديّة على الناس، وكانوا يعاتبون في ذلك رسول الله ﷺ. . ولكن رسول الله لم يكن يعبأ بهذا العتاب والنقد، ويعلم جيداً

أنّ الطبقة التي كانت تمارس الدور القيادي في المجتمع الجاهلي، لا تصلح أن تتولى نفس الدور في هذا المجتمع الناشئ الجديد الذي أقامه الله موضع المجتمع الجاهلي، وأن العقول التي أشربت بالأفكار والأعراف الجاهلية، وتكونت فيها، لا تستطيع أن تمارس دور القيادة في هذا المجتمع الناشئ الذي قام على أنقاض الحياة الجاهليّة...

وهناك علاقة وثيقة بين سلامة المواقع القياديّة وسلامة الأمّة، وسلامة القيم والأفكار والحدود التي تنظّم حياة الأمّة.

وينعكس أي فساد وانحراف في المواقع القياديّة على الأمّة مباشرة في ثقافتها، واستقامتها، ومقاومتها، وحصانتها، ورفضها للظلم والفساد، وكذلك ينعكس على التراث التشريعي والحضارة للأمّة.

٢- ميراث القيم والحدود والأحكام الإلهيّة، وهو ميراث إلهيّ عظيم، جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله من عند الله وأحلّه محل التقاليد والأفكار والأعراف والأنظمة الجاهليّة والقبلية...

إنّ الحضارات تختلف وتتعدّد باختلاف القيم والأعراف والأنظمة والأحكام... فكان للمجتمع الجاهليّ العربيّ أفكاره وأعرافه وأحكامه التي تخصّه، وللحضارات اليونانيّة، والفارسيّة، والرومانيّة، والهنديّة، والمصريّة يومذاك أحكامها وأعرافها ونظمها وقيمها الخاصّة بها، إلا أنّ هذه الحضارات جميعاً عربيّة وغير عربيّة كانت تجمعها المقاييس والأصول الجاهليّة في التفكير والتنظيم والتقييم.

وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله إلى البشريّة بالإسلام، وهو نظام إلهيّ جديد على الناس، وقيمهم، ومعاييرهم في الحكم، وأنظمة حياتهم يومذاك، صادر من مصدر الوحي الإلهيّ، يتطابق مع فطرة الناس التي فطر الناس عليها، ويقع في امتداد الرسالات الإلهيّة السابقة عليه في خطّ تكامليّ، يلغي في حياة الناس كلّ

القيم والتنظيمات والأحكام الجاهلية، ويبني الفرد والمجتمع بناءً جديداً على أسس ومقاييس جديدة تماماً على أفكار الناس... وهذا ميراث (تشريعيّ) و(قيمي) و(عقائدي) عظيم، خلّفه رسول الله ﷺ من بعده في هذه الأمّة.

ولحمايّة هذا الميراث الحضاريّ والتشريعيّ العظيم لابدّ من وجود قيادة أمينة، مستوعبة لشريعة الله وأحكامه وقيم هذه الشريعة ومعاييرها في التنظيم والتقييم. .. وفي غير هذه الصورة إذا حدثت انتكاسة في المواقع القياديّة في المجتمع، وتولّى قيادة الأمّة الناشئة أناس من نفس الطبقة التي كانت تحكم المجتمع الجاهلي من قبل، فقد تكوّنت عقولهم ونفوسهم في الحضارة الجاهلية... فسوف يكون لهذه الانتكاسة تأثير كبير في تحريف دين الله وأحكامه وقيمه، ولعلّ اهتمام الإسلام بسلامة المواقع القياديّة (الإمامة) في المجتمع لهذا السبب.

وقد طلب إبراهيم عليه السلام بعد أن امتحنه الله بالكلمات الصعبة، ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٢٤)، ورزقه الإمامة العامّة في حياة الناس ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ [البقرة: ١٢٤].. طلب إبراهيم عليه السلام من الله أن يجعل الإمامة في ذرّيته ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: ١٢٤].

فاستجاب الله تعالى لدعاء عبده وخليله إبراهيم، ولكن الله تعالى ذكره بأنّ عهده في الإمامة وقيادة الأمّة، لا ينال الظالمين ﴿قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، ولن يكون الظالمون أهلاً لاستلام موقع الإمامة والقيادة في المجتمع الإسلاميّ.

٣- الأمّة، وهي الكيان الحضاريّ المبارك الذي جعله الله أمّة وسطاً، وأمّة شاهدة على الناس، وحاملة للتوحيد، وقيّمة على البشريّة ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾، [البقرة: ١٤٣].

وبناء هذا الكيان هو كلّ عمل الأنبياء وجهدهم وجهادهم في التاريخ.

وهذه الأمّة هي التي حملت كلمة التوحيد إلى أرجاء المعمورة، وحملت عن رسول الله صلى الله عليه وآله تبليغ هذه الرسالة، وتحمّلت مسؤوليّة إزالة الاستكبار والشرك والكفر والفساد من وجه الأرض.

تلك هي المواريث الثلاثة الكبيرة التي أورثها رسول الله صلى الله عليه وآله أجيال المسلمين من أمّته من بعده.

**الانتكاسة:**

إلا أنّ هذه المواريث العظيمة تعرّضت لانتكاسة شديدة على يد بني أمية، منذ عهد معاوية، وتحوّلت القيادة الإسلاميّة إلى ملك عضوض، وفقدت مقوّماتها الدينية، وتحوّلت إلى سلطة زمنيّة ظالمة، استخدمت لتحقيق أهدافها السياسيّة في بسط سلطانها ونفوذها بكل الوسائل الممكنة، ما حظرها الله على أصحاب السلطان وما لم يحظر، وحكّم بنو أميّة أتباعهم وأزلامهم في مرافق الدولة ومصالح المسلمين والولايات الإسلاميّة، بشكل واسع.

وصدقت في ذلك نبوءة أبي سفيان وغايته التي كان يسعى إليها.

يقول ابن عبد البرّ في الاستيعاب:

إنّ أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه، فقال: (قد صارت إليك بعد تيم وعدي، فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أمية، فإنما هو الملك ولا أدري ما جنّة ولا نار.

فصاح به عثمان: قم عني فعل الله بك وفعل)[(١)].

ومرّ أبو سفيان بقبر حمزة (رض)، عندما صارت الخلافة إلى عثمان، فضربه برجله، وقال: (يا أبا عمارة، إنّ الأمر الذي تجالدنا عليه، أصبح بيد صبياننا)[(٢)].

... وهكذا كان، فقد تمكن بنو أميّة من بسط سلطانهم على كلّ أقاليم العالم الإسلاميّ، وتمكنوا من القضاء على أكثر خصومهم السياسيّين والفكريّين، وقضوا بما نشروا في الناس من الإفساد والإرهاب على حالات المقاومة والرفض والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأمّة.

فلا يحدّثنا التاريخ أنّ المجازر التي قام بها (مسرف) بن عقبة في حرم رسول الله ﷺ بالمدينة أحدثت ردود فعل بحجم الجريمة التي ارتكبها ابن معاويّة في الأوساط الإسلاميّة يومذاك. وهو أمر غريب، أن تحدث جريمة بهذه البشاعة والسعة في حرم رسول الله ﷺ فلا ينهض المسلمون للإنكار على بني أمية، ولم تحدث ثورات وانتفاضات رافضة ومستنكرة لهذه الجريمة!

ويدخل الغناء والطرب في صلب فريضة الحجّ، وفي منى، ويشغل حكّام بني أميّة المسلمين عن حجّهم وعبادتهم باللهو الذي حرّمه الله، ويتسابق المطربون والمطربات في ليالي البيض في منى إلى عرض كفاءاتهم ومهاراتهم الفنيّة في فنون الغناء، ثمّ لا تجد من يستنكر ويثور وينتفض لهذا الانحراف الشديد عن فريضة الحجّ، وللخواء الذي أصاب الحجّ أيّام بني أميّة!

وكان عمر بن ربيعة شاعرهم ينتهك أعراض المسلمين ويتغزّل بالنساء في طواف الحجّ، فلا يستطيع أحد أن يناله بسوء، لموقعه من بني أميّة وحمايتهم له!

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر، بهامش الإصابة، مصر ١٣٢٨، ج ٤/ ٨٧: ثمّ قال ابن عبد البر: (وله أخبار (من نحو هذا رويت لم أذكرها، وفي بعضها ما يدل على أنه لم يكن إسلامه إسلاماً.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٣٦/١٦.

ويشرب الخليفة، ويسكر، ويرتاد قصره أصحاب المجون والخلاعة، ويمارس ألواناً من المجون، والخلاعة، والاستهتار، والسكر، والشرب وغير ذلك ممّا حرّمه الله، فلا ينكر ذلك عليه أحد غير أصوات معترضة محدودة هنا وهناك. ويقوم بنو أميّة بتحريق الكعبة المشرّفة وهدمها، ثمّ لا تجد لهذه الجريمة أصداء استنكار ورفض في العالم الإسلاميّ[١].

لقد كان للانحراف الذي حدث في موقع القيادة في هذه الأمّة تأثير واسع على الأمّة، وإرادتها، ووعيها، ومقاومتها، وقدرتها على الرفض والاستنكار، والتزامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما كان له تأثير سلبيّ على القيم والأفكار والأحكام والحدود التي تعتبر المحتوى والإطار الحضاري لهذه الأمّة.

وهو أمر طبيعي، فإنّ الفساد الذي يجري في قمة الهرم الاجتماعي في أيّة أمة ينسحب بالضرورة على كلّ المؤسّسات والبُنى والكيانات التي يتضمّنها الهرم الاجتماعي، بقدر ما تفقد الأمّة في هذا الفساد القيادي من حصانتها ومقاومتها وإرادتها. وكلّما يكون تأثير هذا الإفساد أكثر في سلب حصانة الأمّة ومقاومتها، يكون مداه أوسع وحجمه أكبر...

وقد رأينا قريباً أنّ بني أميّة بسطوا نفوذهم السياسيّ في العالم الإسلاميّ عن طريق الإرهاب والإفساد، وقد بسطت الكلام في ذلك في كتاب (وراث الأنبياء) بشكل موثّق... وكان لأعمال الإرهاب والإفساد الذي مارسه بنو أميّة في وسط هذه الأمّة دور كبير في تجريد الأمّة عن المقاومة والمعارضة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. ورأينا فقهاء هذه الفترة يحمون البلاط الأمويّ من غضب الناس وثورتهم بالافتاء بحرمة الخروج على الظالم، مهما بلغ ظلمه

---

(١) ذكرنا مصادر هذه الأحداث في أوّل الكتاب، فراجع.

مثل عبد الله بن عمر بن الخطّاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، والزهري، وغيرهم.

هذه بالإجمال صورة مصغّرة عن عصر الإمام زين العابدين عليه السلام.

## الواقع السياسيّ والدينيّ الذي عاشه عليّ بن الحسين عليه السلام:

لقد عاد الإمام عليه السلام من الشام إلى الحجاز بتصوّر كامل عن المنهج السياسيّ والاجتماعي والتربوي والتثقيفي الذي يفرضه عليه الظرف الصعب الذي ابتلاه الله تعالى به، في موقع الإمامة بعد مأساة الطف المروّعة.

عاد الإمام عليه السلام إلى الحجاز ليواجه هذه الحقائق المؤسفة ماثلة أمامه في الحرمين الشريفين وفي الحجاز وعند عامة المسلمين.

لقد رأى عليّ بن الحسين عليهما السلام بغي بني أميّة في العراق والحجاز، وانتهاك حرمات الإسلام في كربلاء والمدينة ومكّة، وسكوت المسلمين عن جرائم بني أميّة وانتهاكاتهم، ورأى انتشار الفساد واللهو في بلاد المسلمين بدءاً بقصور الخليفة نفسه، مروراً بالحرمين الشريفين إلى سائر مناطق العالم الإسلاميّ دون أن تكون هناك مقاومة تذكر لهذا كلّه في المسلمين.

وكانت خيارات الإمام عليه السلام محدودة جداً في ظروف القهر والإرهاب الأمويّين لاستعادة الإسلام إلى مجاريه الطبيعيّة في وسط هذه الأمّة، وإعادة بناء الأمّة التي أفسدها بنو أميّة إلى الخطّ الإسلاميّ الصحيح الذي نزل به الروح الأمين على رسول الله صلى الله عليه وآله.

## بناء الجماعة الصالحة:

لقد توجّه الإمام يومئذٍ إلى بناء (الجماعة الصالحة) التي تحمّل قيم هذا الدين وثقافته وتجسّد اهتماماته، وتنهض برسالته، وتلتزم بالتزاماته وتعهداته،

وتسلك مسالك الأنبياء والصالحين في الحياة، لتكون هذه الجماعة هي الجماعة النموذجيّة الواقعيّة التي تتحرّك على الأرض، وهي الأساس ونقطة البدايّة لإعادة بناء الأمّة على الخطّ الإسلاميّ الصحيح النقيّ الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله من عند ربّ العالمين.

كانت هذه الخطوة هي الخطوة الأولى في عمل عليّ بن الحسين عليه السلام واللبنة الأساسيّة التي بنى عليها أهل البيت عليهم السلام بنيانهم الثقافيّ والسياسيّ.

وكذلك نجد أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام يواصلون هذه الرسالة في بناء الجماعة الصالحة منذ عهد عليّ بن الحسين عليه السلام حتى أيّام الغيبة الصغرى.

واتّسعت فيما بعد رقعة هذه الجماعة في أيّام عليّ الهادي وأبي محمّد العسكري عليهما السلام، وأصبح لها مراكز وتجمّعات في الحجاز وبشكل خاصّ في المدينة، وفي اليمن، والكوفة، والبصرة، وبغداد (الكرخ)، وجبل عامل، وخراسان، وقم، وري، وأهواز، وسجستان، وبُست، وواسط، وما وراء النهر، ومصر، والمغرب العربي . . وعلى العموم اتّسعت رقعة هذه الجماعة (شيعة أهل البيت عليهم السلام) في القرن الثالث الهجري إلى أغلب المناطق الإسلاميّة، وكان لهم فيها تجمّعات، ومراكز، وحوزات علمية، وعلماء، ومحدّثون، وشبكة منظمة وواسعة من الوكلاء، وجباة للأموال، والدعاة إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام، وكانت لهم ثقافة ومدارس، وكانوا يلتزمون بالتزامات أمنيّة متشدّدة، وبالسريّة والتقيّة في العمل.. وكان لهذه الضوابط دور كبير في حفظهم وإبقائهم، رغم كلّ الإرهاب الذي كان يمارسه بحقّهم بنو أمية، ومن بعدهم بنو العباس، حتى في أشدّ مراحل ضعفهم.

وكانت هذه الجماعة أساساً صالحاً لبناء ثقافيّ وسياسيّ وحركيّ داخل هذه الأمّة.

ونتوقف قليلاً عند هذه الكلمة (داخل هذه الأمّة). فلم تكن الغايّة من هذه الحركة التربويّة التي بدأها الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام، واستمرّت حتى حياة الإمام أبي محمّد العسكريّ عليه السلام، ومن بعده في فترة الغيبة الصغرى، ثمّ آتت ثمارها من بعد ذلك في الغيبة الكبرى، أقول: لم تكن الغايّة من هذه الحركة، بناء جماعة صالحة بمعزل عن الأمّة، وخارج هذه الأمّة، أو بناء أمة داخل الأمّة، وإنما كانت الغايّة ـ كما سوف نتحدّث عنها إن شاء الله ـ هي أن تكون هذه الجماعة الصالحة نموذجاً صالحاً للتكامل والصلاح في هذه الأمّة.

ففي جميع مراحل الصراع بين أئمّة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، وبين السلطة الأمويّة والعباسيّة كان أئمّة أهل البيت عليهم السلام يؤكّدون على أمور ثلاثة، نجدها واضحة في كلماتهم وتعليماتهم:

مقاطعة حكّام بني أميّة وبني العبّاس الظلمة المنحرفين عن الإسلام، والابتعاد عنهم، وعدم الدخول في أعمّالهم إلا بقدر ما تقتضيه المصلحة الإسلاميّة في تسيير الأمور... هذا أوّلاً.

وعلى حضور الجماعة الصالحة في وسط الأمّة، وعدم اعتزالهم لأوساط الجمهور من هذه الأمّة..ثانياً.

وبناء الجماعة الصالحة الملتزمة بحدود الله، وقيم هذا الدين وأخلاقه وبالتواصل والتكافل فيما بينهما، وبالصبر والالتزام بالسريّة (التقيّة) في حركتهم وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر ثقافة أهل البيت عليهم السلام في المجتمع الإسلاميّ الكبير... ثالثاً.

إنّ إعداد الجماعة الصالحة كان من أولويّات عمل أئمّة أهل البيت عليهم السلام، بدءاً من الإمام زين العابدين عليه السلام إلى فترة الغيبة الصغرى... وكان لهذه الجماعة تأثير واسع في حركة أهل البيت الثقافيّة والسياسيّة والاجتماعية. . . ولا نستطيع أن نفهم دور أهل البيت عليهم السلام وحركتهم بعد مصرع الحسين عليه السلام إلى الغيبة

الصغرى في مرحلة إمامة الإمام محمّد المهدي عجل الله فرجه ما لم نفهم قيمة هذه الجماعة في حركتها الثقافيّة والسياسية.

ولم تكن الغايّة من هذه الجماعة (شيعة أهل البيت عليهم السلام) أن تكون بديلة عن الأمّة، وإنما كانت الغايّة أن تكون سبيلاً إلى تغيير الأمّة سياسياً وثقافياً وحركياً... وهذه الجماعة ـ كما قلنا ـ هي الجماعة التي غلب عليها اسم (شيعة أهل البيت عليهم السلام) في تاريخ الإسلام، وتعرضت لاتهامات ظالمة وعدوان ومقاطعة ومطاردة من قبل الحكّام الظالمين وأزلامهم في التاريخ.

وهذه مسألة مهمّة جدّاً في فهم التخطيط السياسيّ والثقافي لحركة أهل البيت عليهم السلام، ومن دون أن نأخذ هذه النقطة الأخيرة بنظر الاعتبار لا نستطيع أن نفهم الأهداف التي كان يتوخّاها أهل البيت عليهم السلام بعد مصرع الحسين عليه السلام إلى الغيبة الصغرى.

وسوف نعود إلى هذه النقطة بصورة موثّقة ومشروحة إن شاء الله.

والآن نتحدّث عن منهج الإمام زين العابدين عليه السلام في إعداد الجماعة الصالحة.

## ثقافة الجماعة الصالحة في تراث زين العابدين عليه السلام :

فيما وصلنا من التراث الثقافيّ والدعائي من كلمات الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام نجد اهتماماً واسعاً بتثقيف الجماعة الصالحة.

وتتشعّب هذه الثقافة إلى أبواب عديدة أهمّها:

١- العلاقة بالله تعالى.

٢- الحقوق والمسؤوليّات المتبادلة داخل الجماعة وفي وسط الأمّة.

٣- الثقافة الحركيّة في كلمات الإمام زين العابدين.

٤- الثقافة الوعظيّة .

٥- التثقيف بمرجعيّة أهل البيت عليهم السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وثقافة الولاء والبراءة.

٦ ـ ثقافة التكافل والتواصل الاجتماعيّين.

## ثقافة الجماعة الصالحة

١ ـ ثقافة العلاقة بالله ـ الدعاء ـ .

٢ ـ الحقوق والمسؤوليات المتبادلة داخل الجماعة الصالحة وفي وسط الأمّة.

٣ـ الثقافة الحركيّة في كلمات الإمام زين العابدين عليه السلام

٤ ـ الثقافة الوعظية.

٥ـ التثقيف بمرجعيّة أهل البيت عليهم السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وثقافة الولاء والبراءة.

٦ ـ ثقافة التكافل والتواصل الاجتماعي .

## ١ـ ثقافة العلاقة بالله

وهـذا هـو أوسـع أبـواب ثقافـة الجماعـة الـصالحة، ويعطيهـا الإمـام زيـن العابدين عليه السلام الاهتمام الأكبر، ولا نعرف في تراث الإمـام علـيّ بـن الحـسين عليه السلام باباً أوسع وأغنى من هذا الباب.

والصحيفة المعروفة باسمه عليه السلام في الدعاء والمناجاة أعظمها أو كلّها من هذا الباب، وكذلك أكثر ما يوجد في الصحائف الأخرى المأثورة عنه عليه السلام.

وكلمات الإمام زين العابدين فـي الـدعاء والمناجـاة كلمـات رقيقـة شـفّافة، تصدر عن قلب شفّاف رقيق، مؤثرة في نفس الإنـسان ، مربّيـة، معبّـرة عـن عمـق حالة فقر العبد إلى الله، وسعة رجائه في الله تعالى، وثقة العبد برحمة الله، وخوفـه من غضب الله، واقتران الخوف بالرجـاء فـي مقـام الـدعاء والعبوديـة، فـلا يطغـى الخوف على الرجاء، ولا يطغى الرجاء علـى الخـوف، تتعـدّد فيهـا ألـوان العلاقـة بالله. فإن العلاقة الراشدة بالله حزمة من العلائق مـن الخـوف، والرجـاء، والـدعاء، والحـب، والولـه، والأنـس، والـشوق، والتـضرع، والإنابـة، والإخبـات، والطاعـة، والركون، والسكون إلـى الله، والاسـتغفار، والاسـتعاذة بـالله، والتوكّـل علـى الله... ونحن نجد كلّ هذه الألوان من العلاقة في أدعيّة الإمام زين العابدين..

إنّ أدعيّة الإمام زين العابدين لوحات فنيّـة مـن أروع مـا يعرفـه الإنـسان فـي أدب الخطاب مع الله تعالى. .

ولا أدري أيّ لوحة من هذه اللوحات أقدّم للقارئ شاهداً على ما أقول، فكلّ أدعيته غرر.

## باقة من دعاء الأسحار:

اقرأ تسلسل الحمد في دعائه الذي يرويه عنه أبو حمزة الثمالي(رضوان الله عليه)، وكان يتهجد به الإمام في أسحار شهر رمضان:

**(الحَمْدُ لله الذي أدْعُوهُ فَيُجيبُني، وَإن كُنتُ بَطيئاً حينَ يَدعوني، وَالحَمدُ لله الَذي أسألُهُ فَيُعطيني، وإن كُنتُ بَخيلاً حينَ يَستَقرضُني، والحمدُ لله الَذي أُناديه كلَما شئتُ لحاجَتي، وَأخلُو به حيثُ شئتُ لسرّي، بغيَر شَفيعٍ فَيَقضي لي حاجَتي. الحَمدُ لله الَذي لا أدعُو غَيرَهُ وَلَو دَعَوتُ غَيرَهُ لمَ يَستَجب لي دُعائي، وَالحَمدُ لله الَذي لا أرجُو غَيرَهُ، وَلَو رَجَوتُ غَيرَهُ لأَخلَفَ رَجائي، وَالحمدُ لله الَذي وَكَلَني إليه فَأكَرَمني، وَلَم يَكلني إلى النّاس فَيُهينُوني، وَالحمدُ لله الَذي تَحبّبَ إليَ، وهو غَنيٌ عَنّي، وَالحَمدُ لله الَذي يَحلُمُ عَنّي حتّى كأنّي لا ذَنّب لي، فَربّي أحمد شيءٍ عندي وأحقُّ بحمدي).**

ترى هذا المسلسل الجميل للحمد، يأتي تباعاً حمداً، بعد حمد، مقترناً بالتذكير بنعمه وإحسانه تعالى الذي يحبّب إلى العبد حمد ربّه.

فيحمد العبد ربّه الذي يدعوه فيجيبه، وإن كان العبد بطيئاً في الاستجابة لدعاء ربّه.

ويحمد الله الذي يسأله فيعطيه، وإن كان العبد بخيلاً عندما يستقرضه الله.

ويحمد ربّه الذي يناديه كلما شاء لحاجاته، ويخلو به حيث شاء لسرّه، فيفتح له العبد من سرّ نفسه ما لا يبيحه للآخرين، من دون شفيع، ولا إذن ولا حاجب، يناجي ربّه متى يحبّ، ويفتح مكنون قلبه له متى يريد، ويبثّه همومه وشكواه متى أحبّ، فيقضي الله له حاجته.

ويحمد ربّه الذي يكل عبده إليه وإلى رحمته وفضله، ويغنيه ويكفيه، ولا يكله إلى عباده فيهينوه، ويطردوه.

ويحمد الله الذي يتحبّب إلى عبده، وهو غنيّ عن حبّ عباده.

وفي نهايّة هذا المسلسل من الحمد تأتي هذه الفقرة الرائعة: (**فربّي أحمد شيء عندي، وأحقّ بحمدي**).

فليس شيء في هذا الكون أحقّ بحمد العبد، من الله، فهو تعالى (أحمد شيء لعباده).

❊ ❊ ❊

وفيما يلي ننظر في لوحة أخرى من أدب الدعاء والمناجاة للإمام عليّ بن الحسين عليه السلام في دعاء الأسحار: (**حجتي يالله في جرأتي على مسألتك، مع إتياني ما تكره جودك وكرمك. وعُدّتي في شدّتي مع قلة حيائي رأفتك ورحمتك، وقد رجوت ألا تخيّب بين ذين وذين منيتي**).

الحجّة: ما يحتجّ به العبد بين يدي الله تعالى.

والعُدّة ما يستعدّ به العبد من رحمة الله تعالى وفضله لمواجهة الشدائد والأزمات في الدنيا والآخرة، ولابدّ للعبد الخاطئ، وهو يستقبل الحساب والمساءلة من عند الله يوم الحساب العسير، ويستقبل الأزمات والعقبات الصعبة بعد الموت في الحياة البرزخيّة ويوم القيامة، يوم يقوم الأشهاد ... لابدّ له من (حُجّة) و(عُدّة).

حجّة يحتجّ بها في السؤال والطلب، ويقبلها الله.

وعُدّةُ يقابل بها الأزمات والشدائد في ذلك اليوم الصعب العسير.

وحجّة العبد بين يدي الله مع ما جاء به من المعاصي التي يكرهها الله ويمقتها، هي جوده وكرمه، فإنّ العبد يحتجّ عند الله بجوده وكرمه تعالى، فيما يطلب من العفو والمغفرة.

وعُدّة العبد فيما يواجهه من الأزمات والشدائد والعقبات، هي رافته ورحمته تعالى.

فهما حُجّتان وعُدّتان:

أما الحُجتان، فهما جوده وكرمه.

وأما العُدّتان في مواجهة الشدائد والأزمات، فهما رأفته ورحمته.

والإمام يسأل الله ألا يخيّب أمله بين هاتين الحجّتين، وهاتين العدّتين: (بين ذين وذين).

وكيف ييأس العبد من ربّه تعالى، ولديه حُجّتان (جوده وكرمه)، وعُدّتان، هما (رأفته وكرمه)؟

فاستمع إليه عليه السلام في هذه الرائعة من روائع المناجاة، يقول، معتذراً إلى الله، مسترحماً له، منيباً، مستغفراً الله:

**(حُجَّتي يالله، في جرأتي على مسألتك، مع إتياني ما تكره جودك وكرمك.**
**وعُدّتي في شدّتي، مع قلّة حيائي، رأفتك ورحمتك.**
**وقد رجوت ألا تُخيِّب بين ذين «الحجّتين» وذين«العدّتين» منيتي «رجائي وأمنيّتي»).**

* * *

وإليك نصاً آخر من هذا الدعاء الشريف:

## دعاء الاضطرار:

**(فبمن أستغيث إن لم تقلني عثرتي؟ وإلى من أفزع إن فقدت عنايتك في ضجعتي؟ وإلى من ألتجأ إن لم تنفّس كربتي؟ سيّدي مَن لي؟ ومَن يرحمني إن لم ترحمني؟ وفضل مَن أؤمل إن عدمت فضلك يوم فاقتي؟ وإلى مَن الفرار من الذنوب إذا انقضى أجلي؟).**

## منازل الاضطرار:

هذه منازل الاضطرار، حيث لا يجد الإنسان أمامه من يستغيث به، ويفزع إليه، غير الله.

وبمن يستغيث إذا انقطع عن الدنيا، ووري في التراب، وتجسّدت أمامه عثراته وسيّئاته، غير الله؟

وإلى من يفزع الإنسان، يومئذ، وهو في مضجعه الأخير، لا يجد من يفزع إليه من ذنوبه، غير الله؟

وإلى من يلتجأ في ذلك اليوم الرهيب، غير الله؟

وإلى من يفر بذنوبه إذا انقضى أمده في هذه الدنيا، غير الله؟

يومئذ يدرك الإنسان معنى الاضطرار حقّ الإدراك.

## معنى الاضطرار:

والاضطرار هو أن يفقد الإنسان، أمامه مسالك الخيارات، كلّها، إلا مسلكاً واحداً، يضطرّ إليه.

فلو أنّ إنساناً أراد أن يغادر محلّ عمله إلى داره، لوجد أسباباً كثيرة للوصول إلى داره من وسائل النقل، ولكن إذا حدث خلل في الطائرة التي يُقلّها على

ارتفاع خمسة وعشرين ألفَ قدمٍ من الأرض، وأخذت تهتز كالسعفة في أعماق الجوّ، فلا يبقى خيار للمسافرين إلا اللجوء إلى الله تعالى... فلو أنّ أهل الأرض جميعاً أرادوا أن ينقذوهم لم يستطيعوا إنقاذهم.

هذا هو معنى الاضطرار. يفقد الإنسان كلّ الخيارات إلا مسلكاً واحداً يضطر الإنسان إليه، ولا تبقى له مندوحة ولا سعة في الاختيار.

وهذه الحالة من الاضطرار عند اللجوء إلى الله تعالى في الدعاء هي التي تشير إليها آية سورة النمل في استجابة الدعاء ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢] .. فإنّ من يلجأ إلى الله، مضطراً، ولا يجد غير الله من يلجأ إليه، لا تفوته الإجابة البتة، إلا أن يكون في تأخير الإجابة أو تبديلها مصلحة يعرفها الله تعالى ولا يعرفها العبد[١].

وإذا أراد العبد أن يدعو الله تعالى في حاجة من حاجاته لدنياه أو آخرته، عليه أن يقبل على الله بالدعاء في حالة الاضطرار، ليشمله وعد الله تعالى بالاستجابة لدعائه في آية سورة النمل.

روي أنّ الله تعالى أوحى إلى عيسى ابن مريم عليه السلام:

**(أُدعني دعاء الحزين الغريق، الذي ليس له مغيث. يا عيسى! سلني، ولا تسل غيري، فيحسن منك الدعاء ومنّي الإجابة)**[٢].

وفي مناجاة لأمير المؤمنين عليه السلام: **(إلهي لا تشبه مسألتي مسألة السائلين، لأن السائل إذا يُمنع امتنع، وأنا لا غناء بي عمّا سألتك)**[٣].

---

(١) راجع كتاب الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام، للمؤلف.

(٢) وسائل الشيعة ٤/ ١١٧٤، ح ٨٩٥٨.

(٣) البلد الأمين: ٣١٦.

## الانقطاع والاضطرار:

ويتساءل المؤمنون: وأنّى لنا أن نحقّق حالة الاضطرار في نفوسنا وفي دعواتنا.. وهي حالة تكوينيّة واقعيّة، تحصل حيناً ولا تحصل أحياناً. . وليس في كلّ حين يشعر الإنسان بالاضطرار في الدعاء، كما يشعر ركّاب الطائرة التي تتعرّض في أعماق الجوّ للخلل الفني؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول:

إنّ كلّ الناس في كلّ حاجاتهم ـ بدون استثناء ـ في حالة الاضطرار إلى الله، غير أنّ وعي الاضطرار لا يتسنّى لكلّ أحد إلا نادراً.

فما من حاجة للإنسان إلا والإجابة فيها بيد الله تعالى، وحسب، والأسباب التي يسعى إليها الناس في قضاء حوائجهم كلّها من عند الله. . خاضعة لأمر الله، ولا تستجيب للإنسان إلا بإذن الله، فلو طلب الإنسان الرزق في السوق، ووجد أبواب الرزق أمامه مفتوحة في السوق، باباً باباً، فليس معنى ذلك أنّ أمامه مجموعة من الخيارات في ابتغاء الرزق.

فإنّ هذه الأبواب كلّها من خلق الله وخاضعة لسلطان الله، يملك الله تعالى أزمّتها ويحكمها ويتحكّم فيها، ويقبضها ويبسطها، وكم من نشيط ذكي يذهب إلى السوق فتنغلق عليه أبواب الرزق، فلا يجد سبيلاً إلى الرزق، في عرض السوق وطوله.

وكم من ضعيف بليد يرزقه الله تعالى ويبسط له أبواب الرزق، وهذا هو معنى التوحيد في الرزق. يقول تعالى:

﴿وَمَا من دَآبَّة في الأرض إلا عَلَى اللَه رزْقُهَا﴾. [هود: ٦].

﴿إنّ اللّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّة الْمَتينُ﴾. [الذاريات: ٨].

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَات وَالأرض قُل اللَّهُ﴾. [سبأ: ٢٤].

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾. [الرعد: ٢٦].

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾. [سبأ:٣٦].

وليس هذا بمعنى أنّ الإنسان لا يطلب الرزق من أبوابه، فإنّ الله تعالى يأمر الناس أن يطلبوا أرزاقهم من أبوابها.

﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾. [الملك: ١٥].

ولكن معنى ذلك أن يعرف الإنسان أنّ أبواب الرزق وأسبابه كلها بيد الله، وأنّ هذه الأسباب جميعاً خاضعة لأمر الله، تعمل بإذن الله وأمره، سخّرها الله تعالى للإنسان بإذنه، فلو شاء أن يمنعها لم تتيسّر لأحد.

فإذا وعى الإنسان هذه الحقيقة التوحيديّة الكبرى، عَلِمَ أنّ الرزق بيد الله وحسب، ولا يرزقه أحد غير الله، وعَلِمَ أن الشفاء بيد الله تعالى فقط، وأنّ الطبّ والدعاء أسباب سخرها تعالى لعلاجه.

وعَلِمَ أنّ النصر بيد الله تعالى فقط وأنّ السلاح والقيادة والعدّة والعدد والتخطيط أسباب سخّرها الله لنا. وإذا شاء الله عطّل هذه الأسباب ونقضها وحال بيننا وبين النصر.

فقد نصر الله تعالى المؤمنين ببدر وهم أذلّة ضعفاء ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾. [آل عمران: ١٢٣].

وهُزِموا في حنين، وهم كثرة، أقوياء، سادة الجزيرة، ثمّ فتح الله عليهم ورزقهم النصر ، ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً﴾. [التوبة:٢٥].

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾. [البقرة: ٢٤٩].

ذلك كلّه لنعلم أنّ النصر من عند الله. فقط.

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾. [آل عمران: ١٢٦]، [الأنفال:١٠]

وأنّ الشفاء من عند الله.

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾. [الشعراء: ٨٠].

وأنّ الرزق من عند الله.

﴿وَمَا من دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾. [هود: ٦].

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾. [الرعد: ٢٦].

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾. [الزمر:٥٢].

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾. [الشورى:١٢].

وإذا وعى الإنسان هذه الحقائق يعرف أنّه مضطرّ إلى الله في كلّ شأن من شؤونه.

فإذا سعى إلى الرزق، فإنّ الرزق بيد الله تعالى وحده، وهو مضطرّ إلى الله في تحصيل الرزق.

وإذا سعى إلى الشفاء عرف أنّ الشفاء بيد الله، وهو مضطرّ إلى الله في تحصيل الشفاء.

وإذا سعى إلى النصر عرف أنّ النصر كله بيد الله ولا سبيل له إلى تحقيق شيء من النصر إلا إذا أراد الله.

عندئذٍ يعي الإنسان معنى الاضطرار إلى الله تعالى في كلّ شأن من شؤونه وكل حاجة من حاجاته.

وكل دعاء له عندئذٍ يكون عن اضطرار، ويقترن بالاستجابة، كما وعدنا الله تعالى، إلا أن يكون في تأخير الإجابة أو تبديله مصلحة للعبد لا يعرفها العبد، ويعرفها الله.

وهذا هو وعي الاضطرار. وكل الناس في كلّ شؤونهم مضطرّون إلى الله تعالى.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥].

والفقر هو الاضطرار، ولا معنى للفقر غير الاضطرار.

وإنّ لوعي الاضطرار مفتاحاً إذا عرفه العبد شرح الله صدره للاضطرار إليه في حالات الرخاء، وأشعره الاضطرار في اليسر والسعة، وهذا المفتاح هو قوله صلى الله عليه وآله، كما في الرواية: (**إسألوا الله عزّ وجلّ مابدا لكم من حوائجكم حتى شسع النعل، فإنه إن لم ييسر لم يتيسّر**)[١].

إنّ الإنسان لا ينال شيئاً من أسباب الرزق والعافيّة والعلم والزواج والذريّة إلا بتوفيق وتيسير من الله. فإن لم ييسّر الله تعالى لعبده أبواب ذلك وأسبابه لا يتيسر له.

ولكن من يعي هذا الاضطرار من الناس قليل . إنّ الناس مضطرون إلى الله، ولكنهم لا يعون هذا الاضطرار.

والاضطرار في آية النمل هو وعي الاضطرار، وليس واقع الاضطرار.

ووعي الاضطرار هو الانقطاع إلى الله، حيث يقطع الإنسان أمله ورجاءه عن كلّ الأسباب، ويحصر أمله ورجاءه في الله تعالى، فإنّه مسبّب الأسباب.

فإنّ الانقطاع إلى الله ذو وجهين:

**الوجه الأوّل:** هو القطع عن كلّ سبب غير الله.

**والوجه الثاني:** هو حصر الطلب والسؤال والرجاء في الله تعالى.

والانقطاع عمل اختياري، يقطع فيه الإنسان باختيار ومعرفة، أمله وطلبه عن كلّ سبب غير الله، ويحصر كلّ أمله ورجائه وطلبه في الله تعالى، فيدعو الله تعالى في الرخاء دعاء المضطرّ.

وفي الدعاء عن عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام:

---

(١) مكارم الاخلاق للشيخ الطبرسي ص ٢٧٠ منشورات الشريف الرضي، وبحار الأنوار: ٢٩٥/٩٠.

**(واجعلني ممن يدعوك مخلصاً في الرخاء، دعاء المخلصين المضطرّين لك)**[١].

ويقول عليه السلام أيضاً: **(اللهم إنّي أخلصت بانقطاعي إليك، وأقبلت بكلّي عليك، وصرفت وجهي عمّن يحتاج إلى رفْدك، وقلبت مسألتي عمّن لا يستغني عن فضلك، ورأيت أنّ طلب المحتاج إلى المحتاج سفه في رأيه، وزلّة من عقله)**[٢].

## كيف يلجأ الإنسان إلى الله في أيّام اضطراره؟

إذا عرف الإنسان اضطراره إلى الله تعالى في منازل الآخرة، وعرف أن لا سبيل له إلى تجاوز ذلك اليوم، ولابدّ له من استقبال تلك المنازل، ولا خيار له في تلك المنازل الصعبة إلا اللجوء إلى الله.. فلابدّ له من أن يسعى في الحياة الدنيا، قبل أن يفارقها، إلى تحصيل مرضاة الله لتلك المنازل في الآخرة.

وسبيل الإنسان لتحصيل مرضاة الله في تلك المنازل الرهيبة هي طاعة الله تعالى والاستجابة لأمره في الدنيا.

تأمّلوا في هذه الآية الكريمة: ﴿**اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ**﴾. [الشورى:٤٧].

يدعو الله تعالى عباده للاستجابة لأمره في الحياة الدنيا، قبل أن يأتي اليوم الموعود الذي لا مردّ له، ولا يمكن تجاوزه... وعندئذ لا ملجأ لكم من الله إلا الله، ولا مجال للإنسان من الهروب عن الله، ﴿**مَا لَكُم مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ**﴾، ولا ينفعه إنكار ذنوبه وسيّئاته بين يدي الله، ﴿**وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ**﴾.

---

(١) الصحيفة السجّادية: دعاء ٢٢.

(٢) الصحيفة السجّادية: دعاء ٢٨.

## عودة إلى دعاء الاضطرار:

ثم يقول عليه السلام: **(سيّدي لا تعذّبني وأنا أرجوك)**.

إنّ الله تعالى كريم، وواهب الكرم للكرام. والكريم لا يعذّب من يرجو عفوه وتجاوزه.

وإنّ الله عند حسن ظن عبده، في الحديث القدسي: **(أنا عند ظنّ عبدي، فلا يظن بي إلا خيراً)**[١].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: **(ادعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة)**.

وأوحى الله إلى موسى بن عمران عليه السلام: **(ما دعوتني ورجوتني فإنّي سامع لك)**[٢].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: **(إذا دعوت فأقبل بقلبك وظنّ حاجتك بالباب)**[٣].

وفي دعاء كميل الذي علمه أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد النخعي رحمه الله:

**(يا مولاي فكيف يبقى في العذاب، وهو يرجو ما سلف من حلمك؟ أم كيف تؤلمه النار وهو يأمل فضلك ورحمتك؟ أم كيف يحرقه لهيبها، وأنت تسمع صوته وترى مكانه؟ أم كيف يشتمل عليه زفيرها، وأنت تعلم ضعفه؟ أم كيف يتقلقل بين أطباقها، وأنت تعلم صدقه؟ أم كيف تزجره زبانيتها، وهو يناديك يا ربه؟ أم كيف يرجو فضلك في عتقه منها فتتركه فيها؟... هيهات ما ذلك الظن بك، ولا المعروف من فضلك، ولا مُشْبِهٌ لما عاملت به الموحدين من برك وإحسانك)**.

---

(١) الميزان: ٢/ ٣٧.

(٢) وسائل الشيعة: ٤ / ١١٠٥.

(٣)أصول الكافي: ٥١٩. ووسائل الشيعة: ٤ /١١٠٥.

## ٢ ـ الحقوق والمسؤوليات المتبادلة داخل الجماعة الصالحة وفي وسط الأمّة

### رسالة الحقوق:

هذه الرسالة رسالة جليلة، جمّة الفوائد، غزيرة المنافع، كتبها الإمام زين العابدين عليه السلام في تبيان وتنظيم الحقوق الثابتة على الإنسان.

وقد روى هذه الرسالة عن زين العابدين عليه السلام جمع من المحدّثين منهم الشيخ الصدوق في (الخصال) وحسن بن عليّ بن شعبة بن الحسين الحرّاني في (تحف العقول)، وابن طاووس في (فلاح السائل).

ولا يسعنا الآن أن نتوقّف عند هذه الرسالة بالشرح، ولكنّنا نشير قبل أن نذكر نصّ الرسالة، إلى مجموعة من النقاط، هي التأمّلات الأوليّة المقتبسة من هذه الرسالة.

### ١- مبدأ الحقوق كلّها هو الله تعالى:

هذه مسألة محوريّة هامّة يفتتح بها الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام رسالته في الحقوق، فيقول:

**(اعلم أنّ لله عزّ وجلّ حقوقاً محيطة بك في كلّ حركة تحركتها أو سكنة سكنتها).**

ثمّ يفصّل الإمام الحقوق التي جعلها الله تعالى على عباده إلى مجموعة من الحقوق:

أعظمها حقّ الله على عباده

ثمّ الحقّ الذي جعله الله للإنسان على نفسه

ثمّ حقوق أفعاله عليه( مثل صلاته وصومه)

ثمّ حقوق الأئمّة على الرعايا

ثمّ حقوق الرعايا على الأئمّة

ثمّ حقوق الأرحام بعضها على بعض

ثمّ حقوق ذوي المعروف

ثمّ حقّ الإمام في الصلاة، وحق الجار، والشريك، والغريم، والخليط، والخصم الذي يدعي على الإنسان أو يدَّعى عليه، والمستشير، والناصح، والمستنصح، والسائل، والمسؤول، كانوا من المسلمين أم من أهل الذمّة. وهذه الحقوق كثيرة، وكلها تثبت على الإنسان بحكم الله وتشريعه وجعله .

وهذه مسالة مهمّة (أصوليّة) في الإسلام، وتترتب على هذه القضيّة قضايا كثيرة ولا يثبت في دين الله لأحد على أحد حقّ إلا بحكم وتشريع وجعل من الله، والله تعالى مبدأ كلّ حقّ وأصله في حياة الإنسان، تجاه أيّ شخص أو أيّ شيء.

من هذا المنطلق لا يثبت لأحد على أحد ولايّة وطاعة بغير إذن الله وأمره، وما لم يصلنا هذا الإذن والأمر من جانب الله، فلا تثبت ولايّة لإنسان على إنسان، بصورة شرعيّة، ما لم يكن ذلك بإذن وأمر من الله تعالى، سواءً كان الإذن والأمر عامّين أم كان خاصّين.

## ٢- موقع المسؤوليّة في حياة الناس:

ما هو مركز الإنسان في الحياة؟

هل هو الولاية والسيادة على نفسه وما يتعلّق به، والتحرّر من كلّ سلطان وولاية عليه، إلا ما يقرّره لنفسه من ولاية الأنظمة والقوانين؟

أم هو المسؤوليّة والطاعة تجاه الله تعالى؟

المذهب الديمقراطي، وهو المذهب السياسيّ الشائع اليوم بين الأنظمة في العالم يذهب إلى الاتجاه الأوّل، ويرى أنّ موقع الإنسان في الحياة موقع الولاية والسيادة المطلقة على نفسه، ولا تصحّ سيادة أحد على أحد إلا بقدر ما يتنازل الإنسان للنظام والهيئة الحاكمة والقانون من حرّيته بإرادته واختياره....

وهذه النظريّة في جذورها نظريّة ماديّة وإن كان الملتزمون بها مسلمين أو من أهل الكتاب ... فإنّ أصل النظريّة قائم على نفي سلطان الله تعالى التشريعي وحقه في تقرير مصير عباده ... وهذا هو معنى سلطان الإنسان على نفسه وتحريره من أيّ سلطان آخر إلا بقدر ما يتنازل له باختياره.

ونفي سلطان الله تعالى وحقّه على الإنسان بمعنى رفض الإيمان بالله تعالى رأساً، فإن الإيمان بالله تعالى الخالق المالك المهيمن المدبّر يعادل الاعتراف بسلطان الله وحقّه المطلق على الإنسان ومصيره في الحكم والتشريع.

ولذلك قلنا إنّ هذه النظريّة في أصولها وجذورها مادية، إذا أخذنا ملازماتها بنظر الاعتبار.

وهذا الذي شرحناه بلغة العقل من ولايّة الله تعالى المطلقة وحقّه المطلق على الإنسان ونفي أيّ سلطان آخر في حياته، غير سلطان الله ... هو ما يقرّره القرآن الكريم بلغة التشريع. يقول تعالى:

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠]، [الأنعام: ٥٧].

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الأعراف:٣].

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ [هود: ٢٠].

وهذه الآيات وغيرها في كتاب الله صريحة في نفي أيّة حاكميّة وسيادة في حياة الإنسان ، سواءً كانت هذه السيادة المنفيّة سيادة الآخرين عليه، أم ولايته هو على نفسه، فإن الآيات الكريمة صريحة في حصر الولايـة والسيادة في حياة الإنسان في الله تعالى ﴿إن الحكم إلا لله﴾، ويتضمّن الحصر السلب والإيجاب معاً، سلب ولايّة الإنسان على نفسه وولايـة الآخرين عليه، وإيجاب ولايـة الله تعالى عليه.

وهذا الحكم الثابت في القرآن بلغة التشريع تحدّثنا عنه قبل قليل بلغة العقل.

وعليه فلا يكون مركز الإنسان في الحياة الدنيا، بموجب حكم العقل والشرع، مركز الولايّة والسيادة وإنّما مركز المسؤوليّة والطاعة لله تعالى.

وكلّ الولايات والحقوق الثابتة للإنسان أو عليه في الحياة الدنيا، لا بدّ أن تأتي في امتداد ولايّة الله وسلطانه عليه، ومن دون ذلك فلا تصحّ ولايّة في حياة الإنسان له على الآخرين، أو للآخرين عليه.

وهذا الموقع الذي شرحناه بإيجاز هو ما يقرّره زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق.

يقول عليه السلام ما مضمونه: إنّ لله عزّ وجلّ حقوقاً تحيط بالإنسان في كلّ حركاته وسكناته.

ثم يفصّلُ الإمام أمّهات الحقوق الثابتة للإنسان وعلى الإنسان ، فيعد الإمام عليه السلام ذلك امتداد لحق الله عليه، وجعله وتشريعه في حقّه.

## ٣- الحقوق التي تنظّم شبكة العلاقات:

إنّ تنظيم هذه الشبكة الواسعة للعلاقة والارتباط والانتماء التي تربط الإنسان بالآخرين: وبأهله وقومه وأبنائه وآبائه وأمّهاته وأبناء وطنه وولاة الأمر وأهل ملّته ودينه وغيرهم من الناس على وجه الأرض... شيء أساسي في سلامة الفرد

والمجتمع ... فإذا كانت هذه الشبكة قائمة على أصول ونظام صحيح يسعد به الفرد والمجتمع، وإذا كانت هذه الشبكة قائمة على أساس الاستئثار، والاستثمار، والاستكبار، والاستعباد، والخداع، والتغرير، والتضليل، والظلم ... شَقِيَ به الفرد والمجتمع، وكانت هذه الشبكة مصدر حروب وخلافات وظلم وإرهاب في حياة الناس.

لذلك فإنّ تنظيم هذه الشبكة وتأسيسها على أسس صحيحة هو سبيل سعادة الإنسان وسلامته في الدنيا والآخرة.

والذي يقرأ رسالة الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام في الحقوق يجد أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام يرسم هذه الشبكة بأوسع مدى يمكن أن تمتدّ إليه علاقات الإنسان، وتشمل حتى خصومه في القضاء والدعاوي وأهل الذمة، من غير الإسلام.

ويجعل أساس هذه الشبكة (الحق)، والآليّة التي تنظّم العلاقات بين الإنسان والأطراف الأخرى هي الحقّ أيضاً.

وإذا كان الحقّ أساساً لتنظيم العلاقات داخل هذه الشبكة، فإنّه يسع الجميع، ومن يضيق عليه الحق، فإنّ الباطل أضيق عليه.

وسلام الله على أبي الحسن علي عليه السلام، إذ كان يقول:

**«من ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق»**[١].

فإنّ بعض الناس يهربون من العدل والحقّ، لأنّهم يجدون فيهما تضييقاً عليهم... ولو أمعنوا النظر وتدبّروا في الأمر، ونظروا نظرة أعمق إلى الأمر، وجدوا أنّ الباطل والجور اللّذين يهربان إليه أضيق عليهما في عاقبة الأمر.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٥.

## ٤- الأبعاد الأربعة للشبكة:

من خلال كلمات الإمام زين العابدين عليه السلام نجد أنّ شبكة العلاقات في حياة الإنسان ذات أربعة أبعاد:

١- البعد الصاعد.

٢- البعد النازل.

٣- البعد الأُفقيّ.

٤- البعد الذاتيّ.

وهذا أوسع ما يمكن أن يتصوّره الإنسان لشبكة العلاقات في حياة الإنسان. وقد وجدنا هذه الأربعة في رسالة الإمام زين العابدين عليه السلام في الحقوق.

ومبدأ الأبعاد الأربعة كلّها هو الله سبحانه كما قلنا، وكل الحقوق الجاريّة على هذه الأبعاد الأربعة تثبتُ بأمر الله تعالى وجعله وتشريعه.

وإليك توضيح الأبعاد الأربعة.

١- البعد الصاعد في علاقة الإنسان بالله تعالى، وأنبيائه عليهم السلام، وأُولي الأمر الذين وَلّاهم الله تعالى أمره، وسائسه في الرعايّة والملك والعلم، كما ورد في رسالة الحقوق، وكلّ من له ولايّة وقيمومة على الإنسان وحقوقهم عليه ... فهذه طائفة واسعة من الحقوق تبدأ بحقوق الله تعالى على عبده ثمّ حقوق ولاة الأمر عليه ثمّ حقوق القيّمين عليه.

٢- البعد النازل، وهو الحقوق الثابتة للإنسان على من يتولّى أمرهم، من رعاياه، وأبنائه وبناته وأهله، إذا كانوا تحت قيمومته وإجرائه، وخدمه، ومن يسوسهم في الولايّة والسلطان أو في الملك أو في العلم ... ومن يقع على هذا الخطّ.

٣- البعد الأفقيّ، وهو الحقوق الثابتة على الإنسان تجاه أصحابه، وجلسائه، وجيرانه، وشركائه، وخصومه، ومن يستشيره، ومن يستشيرهم، ومن ينصحه، ومن ينصحهم، وضيوفه وغيرهم، والأمّة بعرضها العريض ممن يقع على هذا الخطّ.

٤- البعد الذاتيّ، وهو علاقة الإنسان بنفسه وجوارحه وأفعاله. وسوف نتحدّث عنه إن شاء الله في نقطة قادمة.

هذه هي الأبعاد الاربعة لشبكة العلاقات في رسالة الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام، وهي أوسع ما نعرف من شبكة وتنظيم لعلاقات الإنسان.

## ٥- الحقوق الذاتيّة:

هذا أفق جديد من العلاقات والحقوق فتحه القرآن لأوّل مرّة في تاريخ الفكر الإنساني، في علاقة الإنسان بنفسه وحقّه على نفسه، ولا نعرف لهذا الفكر سابقة قبل القرآن.

ومن العجب أنّ علاقة الإنسان بنفسه، وحقّه عليها وظلمه لها أو إحسانه إليها، من القضايا التي يحسّ بها الإنسان إحساساً وجدانيّاً، ولكن لم يكتشف علم النفس هذه العلاقة، ولم يكتشف القانون والحقوق وما يترتّب على هذه العلاقة من قوانين وحقوق من قَبْل القرآن، والقرآن أوّل كتاب يرفع الستار عن هذا الأفق الواسع في علاقات الإنسان.

ويقرّر القران بوضوح أنّ الإنسان قد يجهل نفسه ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾ [الأحزاب: ٧٢].

يعني ظلوماً لنفسه جهولاً لها، يظلم نفسه ويجهلها.

وقد يكون الإنسان ممن آتاهم الله نوراً يرى به نفسه ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٤].

والإنسان إذا رأى نفسه، يرى فيها كبرى آيات الله تعالى.

وقد يُهلكُ الإنسان نفسه ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ ﴾ [الأنعام: ٢٦].

وقد يكذب الإنسان على نفسه ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٤].

وقديخسرالإنسان نفسه﴿ وَالْعَصْرِ* إِنَّ الإنسان لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ١ ـ ٢] يعني يخسر نفسه، وهي الخسارة الكبرى التي لا تعوض.

وقد يظلم نفسه﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٧].

وقد يمقت الإنسان نفسه ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، [غافر: ١٠].

والحديث في هذا الموضوع طويل، تحدّثنا عنه في الجزء الرابع من كتاب (في رحاب القرآن). ومن يحبّ أن يتابع هذا الموضوع الشيّق فعليه أن يراجع هذا الكتاب.

والعلاقة تستتبع الحقّ ... ففي كلّ علاقة حقّ، كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك في النقاط المتقدّمة، فيثبت للإنسان حقّ على نفسه، ولجوارحه عليه حقٌّ.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في هذه الرسالة: (**ثم ما أوجب الله عزّ وجلّ عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك، فجعل عزّ وجلّ للسانك عليك حقّاً، ولبصرك عليك حقّاً، وليدك عليك حقاً، ولرجلك عليك حقّاً، ولبطنك عليك حقّاً، ولفرجك عليك حقّاً، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال، ثمّ جعل عزّ وجلّ لأفعالك عليك حقوقاً ... ثمّ تخرج الحقوق منك إلى غيرك**).

إذن: الإمام عليه السلام يقسّم الحقوق إلى ثلاث طوائف

حق الله تعالى على الإنسان وهو أعظم هذه الحقوق جميعاً، ثمّ حقّ نفسه عليه، وتأتي في الدرجة الثانية، ثمّ يخرج الحقّ منه إلى غيره، فيشمل الآخرين.

والطائفة الثانيّة من هذه الحقوق هي حقّ الإنسان على نفسه.

## ٦- علاقة الإنسان بفعله ومسؤوليته عنه:

إذا كانت علاقة الإنسان بنفسه من رقائق ثقافة القرآن، فإنّ علاقة الإنسان بأفعاله أرقّ من ذلك ... إنّ أفعال الإنسان وحركاته هي جهده الذي يتبلور في صورة صلاة أو جهاد أو سعي إلى الرزق أو لهو أو غشّ أو خيانة.

إنّ هذا الجهد الذي يصرفه الإنسان يمكن أن يكون أمانة أو يكون خيانة، ويكون صدقاً، أو يكون كذباً، يكون صلاحاً، أو يكون فساداً، يكون تقوى، أو يكون فسوقاً ... فإذا وجّه الإنسان جهده نحو الفسوق فإن هذا الجهد الذي آتاه الله تعالى يسائله يوم القيامة، لِمَ وجّهه باتّجاه الفسوق؟

واذا وجه الإنسان جهده نحو الصلاة، ولكنّه لم يؤتها حقّها من الخشوع والإقبال، فإنّ هذا الجهد يسائله يوم القيامة، لِمَ لَمْ يؤته من الإقبال والخشوع ما يستحق؟ ... وهكذا ... كلّ جهد الإنسان يتبلور على هيئة عمل صالح أو فاسد يسائل الإنسان يوم القيامة عن كلّ تقصير لصاحبه تجاهه ... وهذا أرقّ ما نعرف في علاقة الإنسان بنفسه وجهده.

يقول عليّ بن الحسين عليه السلام : (**ثمّ جعل عزّ وجلّ لأفعالك عليك حقوقاً، فجعل لصلاتك عليك حقّاً، ولصومك عليك حقّاً، ولصدقتك عليك حقّاً**).

إنّ صيامه يشكوه إلى الله تعالى يوم القيامة ويسائله إذا اغتاب المؤمنين في صيامه، ولم يكفّ لسانه عن الغيبة ولم يكف يده عن العدوان على الآخرين.

وصدقته تشكوه إلى الله تعالى يومِ القيامة، وتسائله، إذا كان يُعرّف بصدقته ويظهرها، فيفقدها قيمتها ... وهكذا تشكوه عبادته إلى الله تعالى إذا كان يرائي ويتظاهر بها...

## ٧- التبادل في الحقوق:

هذه الحقوق تجري على الإنسان وللإنسان بصورة متبادلة فيثبت عليه للآخرين الحق، كما يثبت له على الآخرين، إلا الله تعالى، فإنّ الثابت على العبد هو أداء حقّ الله تعالى إليه، وأمّا من جانب الله تعالى فليس إلا الفضل على عباده.

ومن تلك الحقوق المتبادلة الواردة في رسالة الإمامِ زين العابدين عليه السلام حقّ الأب على أبنائه وبناته وبالعكس

وحقّ الأخ على أخيه وبالعكس.

وحقّ المولى على مولاه الذي أنعم عليه وبالعكس.

وحقّ الجليس على الجليس.

وحقّ الجار على الجار.

وحقّ الصاحب على الصاحب.

وحقّ الشريك على الشريك.

إلى آخر هذه الحقوق، وهي جميعاً متبادلة بين الطرفين، وكما يثبت على الإنسان، يثبت له أيضاً.

والآن، بعد هذه الجولة في التأمّلات التي اقتبسناها من رسالة الإمامِ عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام نذكر نصّ هذه الرسالة، بروايّة الصدوق رحمه الله في الخصال ... الله تعالى توفيقاً لشرح هذه الرسالة الجليلة إن شاء الله تعالى.

## رسالة الإمام زين العابدين عليه السلام في الحقوق:

(اعلم رحمك الله أنّ لله عليك حقوقاً محيطة بك في كلّ حركة حرّكتها، أو سكنة سكنتها، أو حال حللتها أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلبتها، أو آلة تصرفت فيها.

فأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه عليك لنفسه من حقه الذي هو أصل الحقوق، ثمّ ما أوجبه عزّ وجلّ عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك، فجعل للسانك عليك حقاً، ولسمعك عليك حقاً، ولبصرك عليك حقاً، وليدك عليك حقاً، ولرجلك عليك حقا، ولبطنك عليك حقّاً، ولفرجك عليك حقا، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال.

ثم جعل عزوجل لأفعالك عليك حقوقاً : فجعل لصلاتك عليك حقاً، ولصومك عليك حقّاً، ولصدقتك عليك حقّاً، ولهديك عليك حقاً، ولأفعالك عليك حقّاً.

ثم تخرّج الحقوق منك إلى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك، فأوجبها عليك حقوق أئمتك، ثمّ حقوق رعيّتك، ثمّ حقوق رحمك، فهذه حقوق تتشعّب منها حقوق.

فحقوق أئمّتك ثلاثة: أوجبها عليك حقّ سائسك بالسلطان، ثمّ حقّ سائسك بالعلم، ثمّ حقّ سائسك بالملك، وكل سائس إمام.

وحقوق رعيتك ثلاثة: أوجبها عليك: حقّ رعيتك بالسلطان، ثمّ حقّ رعيتك بالعلم، فإنّ الجاهل رعيّة العالم، ثمّ حقّ رعيتك بالملك من الأزواج، وما ملكت من الإيمان.

وحقوق رعيتك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة، وأوجبها عليك حقّ أمك ثمّ حقّ أبيك، ثمّ حقّ ولدك، ثمّ حقّ أخيك، ثمّ الأقرب

فالأقرب، والأول فالأول، ثمّ حقّ مولاك المنعم عليك، ثمّ حقّ مولاك الجاري نعمته عليك، ثمّ حقّ ذوي المعروف لديك، ثمّ حقّ مؤذنك لصلاتك، ثمّ حقّ إمامك في صلاتك، ثمّ حقّ جليسك، ثمّ حقّ جارك، ثمّ حقّ صاحبك، ثمّ حقّ شريكك، ثمّ حقّ مالك، ثمّ حقّ غريمك الذي تطالبه، ثمّ حقّ غريمك الذي يطالبك، ثمّ حقّ خليطك، ثمّ حقّ خصمك المدعي عليك، ثمّ حقّ خصمك الذي تدعي عليه، ثمّ حقّ مستشيرك، ثمّ حقّ المشير عليك ثمّ حقّ مستنصحك، ثمّ حقّ الناصح لك، ثمّ حقّ من هو أكبر منك، ثمّ حقّ من هو أصغر منك، ثمّ حقّ سائلك، ثمّ حقّ من سألته، ثمّ حقّ من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل، أو مسرة بذلك بقول أو فعل، عن تعمد أو غير تعمد، ثمّ حقّ أهل ملتك عامة، ثمّ حقّ أهل الذمّة، ثمّ الحقوق الجاريّة بقدر علل الأحوال وتصرّف الأسباب.

فطوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ووفّقه وسدّده.

### تفصيل الحقوق:

#### حقّ الله:

فأما حقّ الله الأكبر عليك: فأن تعبده، ولا تشرك به شيئا، فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة.

#### حق النفس:

وحقّ نفسك عليك: أن تستعملها بطاعة الله عزّ وجلّ.

## حقوق الأعضاء:

١- وحقّ اللسان: إكرامه عن الخنا، وتعويده على الخير، وترك الفضول التي لا فائدة لها، والبر بالناس، وحسن القول فيهم.

٢- وحقّ السمع: تنزيهه عن سماع الغيبة، وسماع ما لايحل سماعه.

٣- وحقّ البصر: أن تغمضه عمّا لا يحل لك وتعتبر بالنظر به.

٤- وحقّ يدك: ألا تبسطها إلى ما لا يحل لك.

٥- وحقّ رجليك: ألا تمشي بهما إلى ما لا يحل لك، فيهما ، ولا بد لك أن تقف على الصراط فانظر أن لا تزل بك فتردى في النار.

٦- وحقّ بطنك ألا تجعله وعاءً للحرام، ولا تزيد على الشبع.

٧- وحقّ فرجك: أن تحصنه عن الزنا، وتحفظه من أن يُنظر إليه .

## حقوق الأفعال:

١- وحقّ الصلاة: أن تعلم أنّها وِفادة إلى الله عزّ وجلّ وأنت فيها قائم بين يدي الله عزّ وجلّ.

فإذا علمت ذلك قمت مقام العبد الذليل، الحقير، الراغب، الراهب، الراجي، الخائف، المستكين، المتضرع، المعَظِّم لمن كان بين يديه، بالسكون، والوقار، وتقبل عليها بقلبك، وتقيمها بحدودها وحقوقها.

٢- وحقّ الحجّ: أن تعلم أنّه وفادة إلى ربك، وفرار إليه من ذنوبك، وبه قبول توبتك، وقضاء الفرض الذي أوجبه عليك.

٣- وحقّ الصوم: أن تعلم أنّه حجاب ضربه الله على لسانك، وسمعك، وبصرك، وبطنك، وفرجك ليسترك به من النار، فإن تركت الصوم خرقت ستر الله عليك.

٤- وحقّ الصدقة: أن تعلم أنّها ذخرك عند ربك عزّ وجلّ، ووديعتك التي لا تحتاج إلى الإشهاد عليها، فإذا علمت ذلك كنت بما استودعته سراً أوثق بما استودعته علانية، وتعلم أنّها تدفع البلايا والأسقام عنك في الدنيا، وتدفع عنك النار في الآخرة.

٥- وحقّ الهدى: أن تريد به وجه الله عزّ وجلّ، ولا تريد به خلقه، ولا تريد به إلا التعرض لرحمة الله ونجاة روحك يوم تلقاه .

## حقوق الأئمّة:

١- وحقّ السلطان: أن تعلم أنّك جعلت له فتنة، وأنّه مبتل فيك بما جعله الله عزّ وجلّ له عليك من السلطان، وأنّ عليك ألا تتعرّض لسخطه فتلقى بيدك إلى التهلكة، وتكون شريكاً له فيما يأتي إليك من سوء.

٢- وحق سائسك بالعلم: التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه، وألا ترفع عليه صوتك، وألا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدّث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه، وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدواً، ولا تعادي له ولياً، فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنّك قصدته وتعلّمت علمه لله جلّ اسمه لا للناس.

٣- وأمّا حقّ سائسك بالملك: فأن تطيعه ولا تعصيه إلا فيما يسخط الله عزّ وجلّ، فإنّه لا طاعة لمخلوق في معصيّة الخالق.

## حقوق الرعيّة:

١- وأمّا حقوق رعيّتك بالسلطان: فأن تعلم أنّهم صاروا رعيّتك لضعفهم وقوّتك، فيجب أن تعدل فيهم، وتكون لهم كالوالد الرحيم، وتغفر لهم جهلهم، ولا تعاجلهم بالعقوبة، وتشكر الله عزّ وجلّ على ما آتاك من القوّة عليهم.

٢- وأمّا حقّ رعيّتك بالعلم: فأن تعلم أنّ الله عزّ وجلّ إنّما جعلك لهم قَيِّما، فيما آتاك من العلم، وفتح لك من خزائنه، فإن أحسنت في تعليم الناس، ولم تخرق بهم، ولم تفجر عليهم، زادك الله من فضله، وإن أنت منعت علمك أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منك، كان حقّاً على الله عزّ وجلّ أن يسلبك العلم وبهاءه، ويُسَقِّطُ من القلوب محلّك.

٣- وأمّا حقّ الزوجة: فأن تعلم أنّ الله عزّ وجلّ جعلها لك سكناً وأُنساً، فتعلم أنّ ذلك نعمة من الله عليك، فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقك عليها أوجب، فإنّ لها عليك أن ترحمها، لأنّها أسيرك، وتطعمها، وتكسوها، فإذا جَهِلَتْ عفوت عنها.

## حقوق الرحم:

١- وحقّ أمّك: أن تعلم أنّها حملتك، حيث لا يحمل أحدٌ أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحدٌ أحداً، وَوَقَتْكَ بجميع جوارحها، ولم تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعرى وتكسوك، وتضحي وتظلّك، وتهجر النوم لأجلك، وَوَقَتْكَ الحرَّ والبرد لتكون لها، فإنك لا تطيق شكرها إلا بعون الله تعالى وتوفيقه.

٢- وأماّ حقّ أبيك: فان تعلم أنّه أصلك، وأنّه لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك مما يعجبك، فاعلم أنّ أباك أصل النعمة عليك فيه، فأحمد الله واشكره على قدر ذلك، ولا قوّة إلا بالله.

٣- وأمّا حقّ ولدك: فأنّ تعلم أنه منك، ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنك مسؤول عمّا وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربّه عزّ وجلّ، والمعونة له على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنّه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الاساءة إليه.

٤- وأمّا حقّ أخيك: فتعلَم أنه يدك وعزّك وقوّتك، فلا تتخذه سلاحاً على معصيّة الله، ولا عدة للظالم لخلق الله، ولا تدع نصرته على عدوّه والنصيحة له، فان اطاع الله وإلا فليكن الله أكرم عليك منه، ولا قوة إلا بالله.

الحقوق الثابتة لعامة الناس:

١- وأمّا حقّ ذي المعروف عليك: فأن تشكره، وتذكر معروفه، وتكسبه المقالة الحسنة، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله عزّ وجلّ، فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرّاً وعلانية، ثمّ إن قدرت على مكافأته يوماً كافيته.

٢- وأمّا حقّ إمامك في صلاتك: فأن تعلم أنه قد تقلّد السفارة فيما بينك وبين ربّك عزّ وجلّ، وتكلم عنك ولم تتكلّم عنه، ودعا لك ولم تدع له، وكفاك هول المقام بين يدي الله عزّ وجلّ، فإن كان به نقص كان به دونك، وإن كان تماماً كنت شريكه، ولم يكن له عليك فضل، فوقى نفسك بنفسه، وصلاتك بصلاته، فتشكر له على قدر ذلك.

٣- وأمّا حقّ جليسك: فأن تلين له جانبك، وتنصفه في مجازاة اللفظ، و لاتقوم من مجلسك إلا بإذنه، ومن يجلس اليك يجوز لـه القيام عنك بغير إذنك، وتنسى زلاته، وتحفظ خيراته، ولا تسمعه إلا خيراً.

٤- وأما حقّ جارك: فحفظه غائباً، وإكرامه شاهداً، ونصرته إذا كان مظلوماً، ولا تتبع له عورة، فإن علمت عليه سوءاً سترته عليه، وإن علمت أنه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه، ولا تسلّمه عند شديدة، وتقيل عثرته، وتغفر ذنبه، وتعاشره معاشرة كريمة، ولا قوّة إلا بالله.

٥- وأمّا حقّ الصاحب: فأن تصحبه بالتفضل والانصاف، وتكرمه كما يكرمك، وكن عليه رحمة، ولا تكن عليه عذاباً ولا قوة إلا بالله.

٦- وأمّا حقّ الشريك: فإن غاب كفيته، وإن حضر رعيته، ولا تحكم دون حكمه، ولا تعمل برأيك دون مناظرته، وتحفظ عليه ماله، ولا تخونه فيما عزّ أو هان من أمره، فإنّ يد الله تبارك وتعالى على الشريكين ما لم يتخاونا، ولا قوّة إلا بالله.

٧- وأمّا حقّ مالك: فألا تأخذه إلا من حلّه، ولا تنفقه إلا في وجهه، ولا تؤثر على نفسك من لا يحمدك، فاعمل فيه بطاعة ربّك، ولا تبخل به فتبوء بالحسرة والندامة مع السعة، ولا قوّة إلا بالله.

٨- وأمّا حقّ غريمك الذي يطالبك: فان كنت موسراً أعطيته، وإن كنت معسراً أرضيته بحسن القول، ورددته عن نفسك ردّاً لطيفاً.

٩- وأمّا حقّ الخليط: فألا تغره ولا تغشّه ولا تخدعه، وتتّقي الله تبارك وتعالى في أمره.

١٠- وحقّ الخصم المدّعي عليك: فإن كان ما يدّعي عليك حقّاً كنت شاهده على نفسك، ولم تظلمه، وأوفيته حقّه، وإن كان ما يدّعي باطلاً رفقت به، ولم تأت في أمره غير الرفق، ولم تسخط ربّك في أمره، ولا قوّة إلا بالله.

١١- وحق خصمك الذي تدّعي عليه: إن كنت محقّاً في دعوتك أجملت مقاولته، ولم تجحد حقه، وإن كنت مبطلاً في دعوتك اتّقيت الله عزّ وجلّ، وتبت إليه، وتركت الدعوى.

١٢- وحقّ المستشير: إن علمت له رايأ أشرت عليه، وإن لم تعلم أرشدته إلى من يعلم.

١٣- وحقّ المشير عليك: ألا تتّهمه فيما لا يوافقك من رأيه، فإن وافقك حمدت الله عزّ وجلّ.

١٤- وحقّ المستنصح: أن تؤدي إليه النصيحة، وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به.

١٥- وحقّ الناصح: فأن تلين له جناحك، وتصغي إليه بسمعك، فإن أتى الصواب حمدت الله عزّ وجلّ، وإن لم يوافق رحمته ولم تتّهمه، وعلمت أنّه أخطأ، ولم تؤاخذه بذلك إلا أن يكون مستحقّاً للتهمة، فلا تعبأ بشيء من أمره على حال، ولا قوة إلا بالله.

١٦- وحق الكبير: توقيره لسنّه، وإجلاله لتقدّمه بالإسلام قبلك، وترك مقابلته عند الخصام، ولا تسبقه إلى طريق، ولا تتقدّمه، ولا تستجهله، وإن جهل عليك احتملته، وأكرمته لحقّ الإسلام وحرمته.

١٧- وحقّ الصغير: رحمته في تعليمه، والعفو عنه، والستر عليه، والرفق به، والمعونة له.

١٨- وحقّ السائل: إعطاؤه على قدر حاجته.

١٩- وحقّ المسؤول: إن أعطى فاقبل منه بالشكر والمعرفة بفضله، وإن منع فاقبل عذره.

٢٠- وحقّ من سرّك الله تعالى ذكره به: أنّ تحمد الله عزّ وجلّ اولاً ثمّ تشكره.

**٢١- وحقّ من أساءك: أن تعفو عنه، وإن علمت أنّ العفو عنه يضرّ انتصرت، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِن سَبِيلٍ﴾** [الشورى: ٤١]

**٢٢- وحقّ أهل ملّتك: إضمار السلامة والرحمة لهم، والرفق بمسيئهم، وتألفهم، واستصلاحهم، وشكر محسنهم، وكفّ الأذى عنهم، وتحبّ لهم ما تحبّ لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وأن تكون شيوخهم بمنزلة أبيك، وشبّانهم بمنزلة إخوتك، وعجائزهم بمنزلة أمّك، والصغار بمنزلة أولادك.**

**٢٣- وأمّا حقّ أهل الذمّة: أن تقبل منهم ما قبل الله عزّ وجلّ، ولا تظلمهم ما وفوا لله عزّ وجلّ بعهده)**[1].

---

(١) الخصال للصدوق: ٥٧٠/ ط مؤسّسة النشر الإسلامي. ومن لا يحضره الفقيه: ٦١٨/٢، وتحف العقول للحراني: ٢٥٥، ووسائل الشيعة: ١٣١/١١، وبحار الأنوار: ٣/٧١، وجامع أحاديث الشيعة: ١٠٧/١٤، واعيان الشيعة: ٦٣٨/١... وقد حذفنا بعض الفقرات للإيجاز.

## ٣ـ الثقافة الحركيّة في كلمات الإمام زين العابدينعليه السلام

### نماذج من الثقافة الحركيّة في كلمات الإمام زين العابدينعليه السلام

### ١- الدعوة إلى المقاومة والصبر:

كانت معاناة شيعة أهل البيتعليهم السلام في عهد بني أميّة عظيمة، فكانوا يلاحقونهم ويطاردونهم في كلّ مكان بسط بنو أميّة فيه سلطانهم.. وقد بلغ ذلك منهم مبلغاً عظيماً، فكانوا يشكون إلى الإمام زين العابدينعليه السلام ما يلقونه من أذى واضطهاد ومطاردة لهم، ومن التضييق عليهم في أرزاقهم، والتقييد الشديد لحريّاتهم، فكانعليه السلام يقول لهم:

**(فما تمدّون أعينكم؟ لقد كان من كان قبلكم، ممن هو على ما أنتم عليه يؤخذ، فتقطع يده ورجله ويصلب، ثمّ يتلوعليه السلام: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء﴾)**[١].

### ٢ـ بين الكلام والسكوت:

المعروف عند الناس، والموروث من الحكماء والمربّين أنّ السكوت أفضل من الكلام، ولو كان الكلام من الفضّة كان السكوت من الذهب.

وليس هذا بصحيح على إطلاقه.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٧/ ١٩٧.

وإنّما قال به الحكماء والمربّون، لأنّ آفات الكلام أكثر من آفات السكوت، ولكن ذلك لا يبرّر تفضيل السكوت على الكلام.

ولو كان السكوت فضيلة لذهب الحقّ، وذهبت مواريث الأنبياء، ولم يكن هناك من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو إلى الله، وذهب العلم والمعرفة... (والكلام) هو السبيل إلى العلم والمعرفة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، ونقل مواريث الأنبياء والأوصياء.

وقد يكون في تفضيل السكوت على الكلام دعم وإسناد لأئمّة الظلم في السكوت عن مظالمهم، وسيّئآت أعمالهم، وهو ما كان يشيعه بعض المتفقّهة من أعوان الظلمة في تلك الأيّام: أنّ السكوت أفضل من الكلام، والقعود خير من القيام، والاضطجاع خير من القعود... إلى آخر ما كانوا يتّخذونه تبريراً لدعوة الناس إلى السكوت عن الظالمين والمنحرفين.

وقد سُئل زين العابدين عليه السلام، عن السكوت والكلام: أيّهما أفضل، فقال:

**(لكلّ واحد منهما آفات، وإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت،**

**لأن الله عزّ وجلّ ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، وإنّما بعثهم بالكلام.**

**ولا أستحقّت الجنّة بالسكوت.**

**ولا أستوجبت ولاية الله بالسكوت.**

**ولا تُوُقّيت النار بالسكوت.**

**ولا يُجَنَّبُ سخط الله بالسكوت.**

**إنّما كلّه الكلام، وما كنت لأعدل القمر بالشمس.**

**إنّك تصف فضل السكوت بالكلام، ولست تصف فضل الكلام بالسكوت)**[١].

## ٣- حثّ الشباب على طلب العلم:

لمواجهة الخطوط المنحرفة لم يكن هناك أمر أفضل من أن يتفرّغ الشباب المؤمنون الصالحون لطلب العلم، ليقوموا بنشر ما ورثه أهل البيت عليهم السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله، امتثالاً وتنفيذاً لقوله تعالى: ﴿**فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾ [التوبة: ١٢٢].

فكان عليّ بن الحسين عليه السلام يقول للشباب إذا أقبلوا على طلب العلم: (**مرحباً بكم. أنتم ودائع العلم، أنتم صغار قوم، يوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين)**[٢].

وكان عليه السلام يقول: (**لو علم الناس ما في طلب العلم، لطلبوه ولو بسفك المُهَج وخوض اللُّجَج)**[٣].

وقد تواصل أهل البيت عليهم السلام، من بعد الإمام زين العابدين عليه السلام في دعوة الشباب إلى أن يحملوا عنهم ميراث رسول الله من العلم... وكانوا يوضحون للناس أنّ الذي يحملونه من العلم ليس من الرأي والاجتهاد كالذي يحمله غيرهم، وإنّما هو علم رسول الله صلى الله عليه وآله وحديثه، حمله عنه أهل بيته كابراً عن كابر.

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ٣١٥.

(٢) أصول الكافي: ١/ ٤٢.

(٣) أصول الكافي: ١ / ٥٨.

وقد قال عليّ بن الحسين عليه السلام لرجل شاجره في مسألة من الفقه:

**(يا هذا! لو صرت إلى منازلنا، لأريناك أثر جبرئيل في رحالنا، أيكون أحد أعلم بالسُنّة منا؟!)**[١].

روى ثقة الإسلام الكليني بسنده عن ابن شبرمة، قال: (ما ذكرت حديثاً سمعته من جعفر بن محمّد (الصادق) إلا كاد أن يتصدّع قلبه. قال: (حدّثني أبي، عن جدي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال ابن شبرمة: وأقسم بالله ما كذب أبوه على جده، ولا جدّه على رسول الله صلى الله عليه وآله)[٢].

وسأل رجل أبا عبد الله (الصادق) عليه السلام في مسألة، فأجابه فيها، فقال الرجل: أرأيت إن كان كذا وكذا ما يكون القول فيها؟ فقال له: مَهْ، **ما أجبتك من شيء فهو عن رسول الله صلى الله عليه وآله. لسنا مِن أرأيت في شيء)**[٣].

وهكذا كان أهل البيت عليهم السلام يحرصون أن يذكّروا الناس بأنّ ما لديهم من علم ليس من رأي واجتهاد، كما عند الآخرين، وإنّما هو ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله من الحديث ورثوه عن آبائهم كابراً عن كابر عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وكانوا يحرصون أن يُوَجِّهوا شباب شيعتهم أنْ يحملوا عنهم هذا العلم، ويبلّغوه للناس، كما يحدّثون به، دون إضافة أو نقص.

## ٤- المنهج الصحيح للتقييم:

لقد كانت الفترة فترة هرج ومرج للأفكار والمذاهب، وظهرت في هذه الفترة مذاهب وخطوط دينيّة وثقافات وقيادات دينيّة منحرفة... وكان بنو أميّة يشجعون هذه المذاهب المنحرفة لغايّة في أنفسهم.

---

(١) بلاغة عليّ بن الحسين عليه السلام للحائري: ١٧١.

(٢) جهاد الإمام السجّاد عليه السلام: ١٣٩، نقلاً عن الوافي للكاشاني: ١ / ٤٢.

(٣) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر للحسين بن محمّد بن الحسن، ط / ١٤٠٤: ص ٤٥.

وكان أصحاب المذاهب والخطوط الدينيّة المنحرفة يتفنّنون في كسب ثقة الناس وخداعهم، وتغريرهم.

وقد خُدع بهؤلاء جمع غفير من الناس، أخذوا بضلالهم، وتركوا منهج آل محمّد صلى الله عليه وآله في الأصول والفروع الذي أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته مرّات كثيرة[1].

والمشكلة في اغترار الناس بهؤلاء، وإلا فلن تخلو الأرض من دعاة الباطل وأتباع الشيطان.

والسبيل الصحيح لعلاج هذه المشكلة هو تثقيف الناس بالمقاييس الدقيقة لمعرفة الإنسان الصالح، فإنّ الثقافة الصحيحة في التقييم تُحصّن الناس في التقييم، وتعلّمهم أين يضعون ثقتهم، وتحصّنهم من مزالق الشيطان في العلاقات الاجتماعيّة، كما أنّ التقوى تحصّنهم.

والإمام زين العابدين عليه السلام يقدّم إلى النّاس المقياس الدقيق للتقييم والتصحيح، ويحذر الناس تحذيراً شديداً من أن يغترّوا بالذين يتظاهرون للناس بحسن السمت والهَدْي، ويُحْسنون هذه الصناعة، ويتماوتون في منطقهم، وكأنّ السعي للآخرة والزهد في الدنيا قد أنهكهم، وسلب منهم قوّتهم ونشاطهم، ويتخاضعون في حركاتهم فيحذر الإمام عليه السلام الناس عن الاغترار بهم.

فإنّ في الناس من لا يستطيع ركوب الحرام ونيل الدنيا من مواردها المحرّمة، لا بسبب التقوى، وإنّما لعجزه وضعفه عن نيل الحرام، وليس كلّ أحد بقادر على ارتكاب الحرام، فإنّ ارتكاب بعض الحرام يحتاج إلى جرأة وشجاعة قد يفقدها بعض الناس.

---

(١) ومنه حديث الثقلين الذي يرويه ثقاة المحدثين من الشيعة، والسنة، ومنهم الترمذي ومسلم في صحيحيهما، والحديث كما يلي في طائفة من الروايات الصحيحة: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وأهل بيتي. لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض). وألفاظ الحديث في المدونات الحديثيّة مختلفة ومتعددة، وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يكررها كثيراً.

فلا يزالون ينصبون للناس فخاخاً حتى يكسبوا ثقة الناس ويتمكّنوا من الحرام، فإذا تمكّنوا من المال الحرام لم يصدهم عنه تقوى ولا ورع.

ثمّ يحذّر الإمام عليه السلام الناس من الاغترار بالذين يكفّون أيديهم وبطونهم وفروجهم عن الحرام، حتّى مع التمكّن منه... فإنّ شهوات الناس في الحرام مختلفة... فقد يكفّ أحدهم نفسه عن وجوه من الحرام، ولكنّه يقبل على حرام قبيح تشمئزّ منه النفس فيرتكبه... فليس ابتعاده عن الحرام من التقوى والورع في شيء.

وقد يكفّ الإنسان نفسه عن كلّ وجوه الحرام، وهو قادر عليها، فلا يرتكب منها شيئاً. . . فلا ينبغي أن يغترّ الناس بهم... حتى يعرفوا حجم عقله... فقد يكفّ عن كلّ وجوه الحرام، ولكنّه لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسده، إذا تصدى لشؤون الناس، أكثر مما يصلحه.

وقد يملك العقل الذي يميّز به الصواب عن الخطأ، فلا ينبغي أن يغترّ الناس بعقله ورشده، حتى يتضح لهم أنّ عقله يتبع هواه، أم هواه يتبع عقله، وكيف يكون إقباله على الرئاسات الباطلة... فإذا كان هواه غالباً على عقله، وكان مقبلاً على الرئاسات الباطلة، فيجب على الناس أن يحذروه على دينهم ودنياهم، حتى لو كان يحفظ نفسه عن الحرام، ويعفّف بطنه ويده وفرجه عمّا حرّمه الله. . . فربّ إنسان يترك الكثير من لذاته من وجوه الحلال والحرام ليكسب ثقة الناس، ويبلغ الرئاسات الباطلة، فإذا بلغها حلّل الحرام، وحرّم الحلال، وتخبط خبط عشواء. هذه المقاييس كلّها باطلة.

والمقياس الحقّ هو أن يجعل الرجل هواه تبعاً لحكم الله، ويحتمل مرارة الحقّ، وإن شقّت عليه على الباطل وإن طاب له.

هذا هو المقياس الذي لابدّ من أن يتبعه الناس وهذا المقياس هو (التقوى) و(الورع).

وكلّ ما دون (التقوى) و(الورع) فلا ينبغي أن يكسب ثقة الناس.

وإذا أخذ الناس بهذا المقياس أمنوا من الوقوع في الضلالات، ولكن مشكلة الناس في الاختيار والتقييم هي أنّ العواطف تحكمهم، ولو أنّهم حكّموا عقولهم ومقاييس دين الله في الاختيار، لم يقعوا في الضلالات التي يقعون فيها.

جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام في معركة الجمل، وشكى إليه ما يعانيه من الشكوك والوساوس فيما يصنعونه من قتال الناس في الجبهة المقابلة وفيهم أمّ المؤمنين عائشة والصحابيّان المعروفان الزبير وطلحة، فماذا عساه أن يفعل في هذه المقابلة، وكيف يشهر السيف على جبهة فيها زوجة رسول الله وكبار صحابته؟ فقال عليه السلام له: (**ويلك إنّك لملبوس عليك، إعرف الحقّ تعرف أهله**).

لقد عاش زين العابدين عليه السلام فترة صعبة، يتخبّط فيها الناس بين علماء البلاط، والدعاة إلى المذاهب المنحرفة، وحكومات ظالمة طائشة، ومعارضة منحرفة (الخوارج)، وفقهاء يحيدون عن الصراط المستقيم الذي رسمه لهم رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين، وخطوط ومذاهب فكريّة... وليس كلّ الناس يملك القدرة على التشخيص والتمييز، فوضع عليه السلام في هذا الحديث الميزان الدقيق لمعرفة الحقّ عن الباطل، والتمييز بين أئمّة الهدى وأئمّة الضلال.

ولسنا نحن في عصرنا بأحسن حالاً من العصر الذي كان يعيشه الإمام زين العابدين عليه السلام... وهذا الحديث ينفعنا ويثقّفنا في الاختيار، كما كان ينفع الناس في عصر عليّ بن الحسين عليه السلام.

## كلمة الإمام زين العابدين في معايير التقييم:

فلنستمع إلى الإمام زين العابدين عليه السلام وهو يوضح لنا النهج الصحيح للاختيار والتقييم.

يقول عليه السلام:

﴿إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه، وتماوت في منطقه، وتخاضع في حركاته، فرويداً، لا يغرّنكم.

فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا، وركوب الحرام منها، لضعف نيّته، ومهانته، وجبن قلبه، فنصب الدين فخّاً لها، فهو لا يزال يختل الناس بظاهره، فإن تمكّن من حرام اقتحمه.

وإذا وجدتموه، يعفّ عن المال الحرام، فرويداً، لا يغرّنكم.

فإنّ شهوات الخلق مختلفة، فما أكثر من ينبو عن المال الحرام، وإن كثر، ويحمل نفسه على شوهاء قبيحة فيأتي منها محرّماً.

فإذا وجدتموه يعفّ عن ذلك، فرويداً، لا يغرّنكم.

حتى تنظروا ما عُقدة عقله؟ فما أكثر من ترك ذلك أجمع، ثمّ لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسد بجهله أكثر مما يصلحه بعقله.

فإذا وجدتم عقله متيناً، فرويداً، لا يغرنّكم.

حتى تنظروا، أمع هواه، يكون على عقله، أم يكون مع عقله، على هواه؟ وكيف محبّته للرئاسات الباطلة؟، وزهده فيها؟

فإنّ في الناس من خسر الدنيا والآخرة، يترك الدنيا للدنيا، ويرى أنّ لذّة الرئاسة الباطلة أفضل من لذّة الأموال والنعم المباحة المحلّلة، فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة، حتى إذا قيل له: إتق الله أخذته العزّة بالإثم فحسبه جهنّم ولبئس المهاد.

فهو يخبط خبط عشواء، يوفده أوّل باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمدّ به ـ بعد طلبه لما لا يقدر عليه ـ في طغيانه، فهو يحلّ ما حرّم الله، ويحرّم ما أحلّ الله، لا يُبالي ما فات من دينه إذا سلمت له الرئاسة التي قد شقي من أجلها.

فأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم عذاباً مهيناً.

**ولكن الرجل، كلَّ الرجل، نِعْمَ الرجل، هو الذي جعل هواه تبعاً لأمـر الله، وقواه مبذولة في رضا الله، يرى الذلَّ مع الحقِّ أقرب إلى عزِّ الأبد من العز في الباطل، ويعلم أنَّ قليل ما يحتمله من ضرّائها يؤدّيه إلى دوام النعيم فـي دار لا تبيد ولا تنفد، وأنَّ كثير ما يلحقه من سرّائها ـ إن تبع هواه ـ يؤدّيه إلى عذاب لا انقطاع له ولا زوال.**

**فذلكم الرجل نعم الرجل، فبه فتمسّكوا، وبسنّته فاقتدوا، وإلى ربكم فتوسّلوا، فإنّه لا تردّ له دعوة، ولا يخيب له طلبه)**[1].

## ٥- من أين يتلقّى المؤمنون الحكمة؟

عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه قال: **(لا تحتقروا اللؤلؤة النفيسة أن تجتلبها من الكبا الخسيسة**[2]**، فإنّ أبي حدّثني، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إنّ الكلام من الحكمة لتلجلج في صدر المنافق نزاعاً إلى مظانّها حتى يلفظ بها، فيسمعها المؤمن، فيكون أحق بها وأهلها فيلقفها)**[3].

إن حاجة المؤمن إلى الحكمة شديدة وعظيمة لأنّ الحياة بالنسبة إليه جهاد واجتهاد، جهاد للهوى (وهو الجهاد الأكبر)، وجهاد للطاغوت (وهو الجهاد الأصغر)، واجتهاد في العمل لتحقيق مرضاة الله ولبلوغ الكمال والقرب إلى الله وخلافة الله على الأرض، وهذه الحياة الكادحة تحوجه دائماً إلى الحكمة التي تمنحه البصيرة والنور، وتسدّده وتبصّره، وتمنحه القوّة والعزيمة على طريق ذات الشوكة.

---

(١) الحدائق الناضرة: ١٠/٥٨ ـ ٥٩، وجواهر الكلام: ١٣/٣٠٠-٣٠١، وسائل الشيعة: ٨/٣١٧-٣١٨ و٥/٣٩٤، والاحتجاج للطبرسي: ٢/٥٣ وبحار الأنوار: ٢/٨٤ و٧١/١٨٤ وجامع أحاديث الشيعة: ٦/٤٢٧ و١٣/٤٦٤.

(٢) الكبا المزبلة والأوساخ المتجمّعة على المياه، والخسيسة: الحقيرة.

(٣) أمالي الطوسي ص ٦٢٥ وبحار الأنوار: ٢/٩٧ وبلاغة الإمام عليّ بن الحسين: ص٢٢٢.

وهذه كلّها يجدها المؤمن في الحكمة، والحكمة كما ورد في الحديث ضالّة المؤمن يبحث عنها ويسعى إليها أينما يجدها، لإنجاح أعماله وجهاده واجتهاده وسعيه وكدحه وتسديدها.

حتى لو كانت الحكمة بيد المنافق والكافر، يسعى إليها المؤمن، وليس على وجه الأرض من هو أحقّ بها منه، فيتلقّفها منه كما يتلقّف الناس الدينار والدرهم.

إنّ هناك طائفة من الحِكَم تؤدّي إلى إنجاح المشاريع والأعمال التي ينهض بها الإنسان في حياته... وهذه الحِكَم يكسبها الإنسان بالتجربة والخبرة، وليس بوسع الإنسان أن يكسب بتجاربه الشخصيّة كلّ ما يحتاجه من عوامل التوفيق والنجاح... ولا غنى له من أن يتزوّد بتجارب الآخرين وخبراتهم في إنجاح المشاريع والأعمال.

وهذه الخبرات والتجارب قد نكسبها من أُناس غير صالحين، إلا أنّها نافعة ومفيدة وضروريّة للمؤمنين في مشاريعهم وأعمالهم وتحرّكهم، رغم أنّ الذين يحملونها غير صالحين، فلا بدّ وأن نسعى إليها ونتلقّاها ونتلقّفها ونكسبها منهم، وإن كانوا غير صالحين.

وليس على المؤمنين من بأس أن يكسبوا خبرات العمل والحركة وتجاربها من أيدي أناس غير صالحين وغير مؤمنين.

فإنّ الحكمة ضالّة المؤمن، كما ورد في الرواية، يتلقّفها أينما وجدها، وإن كانت في موضع غير نظيف.

والحكمة تتلجلج (تتردّد) في صدور المنافقين، فإذا نطقوا بها، لم يكن أحد أحقّ بها من المؤمنين، لئلا يبدأوا مشاريعهم وأعمالهم وتجاربهم من نقطة الصفر، وإنّما يتحرّكون من حيث انتهى الآخرون إليه، في تجاربهم وخبراتهم.

وهذا هو ما يريده الإمام زين العابدين عليه السلام في كلمته التي رويناها قبل قليل.

وهذه الكلمة جديرة بأن نتوقّف عندها بعض الوقت.

## ماهي الحكمة؟

الحكمة مشتقّة من الإحكام، بمعنى الإتقان الذي لا يُبْقي في العمل ثغرة، ولا ثلمة، ولا خللاً.

ومن خلال استعمالات الكلمة في القرآن والسنّة والنصوص والأدبيات الإسلاميّة نجد أنّ هذه الكلمة تطلق على ثلاثة معان، على نحو الاشتراك المعنويّ، وهي:

١ـ الحكمة بمعنى المعارف الحقّة التي لا ينفذ إليها الباطل، نحو معرفة المبدأ والمعاد، ومعرفة الجلال والجمال الإلهيّين (معرفة الله ومعرفة صفاته الحسنى)، ومعرفة سنن الله تعالى في الكون والتاريخ والمجتمع، ومعرفة علاقة العبد بالله من الإنابة والمخافة والتوبة والتضرّع والخشيّة والطاعة والحبّ والشكر والثناء والحمد والدعاء والحياء والتضرّع والسكون إلى ذكر الله وغير ذلك من وجوه العلاقة بالله، وهو محصن العقل والوعي والفهم والبصيرة.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان:١٢].

وقد ورد في تفسير الحكمة في هذه الآيّة عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بأنّها (الفهم والعقل)[(١)]، بمعنى وعي المبدأ والمعاد ووعي الجلال والجمال ووعي موضع العبد من الله تعالى وعلاقته به.

ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾ [مريم:١٢].

وقوله تعالى: ﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ [البقرة:٢٦٩].

وقد ورد في تفسير الحكمة في هذه الآيّة الكريمة عن الإمام الباقر عليه السلام أنّها هي (المعرفة)[(٢)].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«رأس الحكمة مخافة الله»**[(٣)].

وعنه صلى الله عليه وآله: **«خشيّة الله رأس كلّ حكمة»**[(٤)].

وعنه صلى الله عليه وآله: **«رأس الحكمة طاعته»**[(٥)].

وهذا باب واسع من الحكمة، وحسبنا منها هذا البيان.

٢- معرفة ثقافة الوحي في حدود الله تعالى في علاقة الإنسان (بنفسه)، و(بالآخرين) من مؤمن وغير مؤمن وأعداء وخصوم وأصدقاء، والقريبين منه والبعداء و(بالطبيعة)، وكيف يتعامل الإنسان مع هذه الأطراف الثلاثة وما يحبّه الله وما يمقته، في هذه العلاقات ونهجها وإدارتها.

وهي منظومة واسعة من الحدود الإلهيّة والأفكار والمفاهيم والمعارف والثقافات النظريّة والعلميّة التي جاء بها الأنبياء من عند الله تعالى من خلال الوحي في مجال العلاقة بالنفس والمجتمع والطبيعة، وتغلب عليه صفة الموعظة.

---

(١) بحار الأنوار: ٢٩٩/٧٨ ح١.

(٢) بحار الأنوار: ٢١٥/١ ح٢٣.

(٣) كنز العمال للمتقي الهندي: ح٥٨٧٣.

(٤) كنز العمال للمتقي الهندي: ح٥٨٧٢.

(٥) آمالي الصدوق: ص٣٩٤.

ولعلّ من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ﴾ [البقرة:٢٣١].

٣- الوسائل العمليّة التي تمكّن المؤمن من تحقيق أهدافه وغاياته التي يسعى إليها في الحياة الدنيا. وهذه الوسائل تكتسب غالباً بالتجربة والخبرة العمليّة، كما تكتسب من تجارب الآخرين وخبراتهم.

ولعلّ إلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل:١٢٥].

وهذه التجارب والخبرات كثيرة في حقول مختلفة من الحياة مثل التجارب القياديّة والإداريّة، وتجارب السوق والتجارة، وتجارب العلاقات الاجتماعية، والتجارب العسكريّة، وتجارب الحياة الزوجيّة وغير ذلك، فهذه التجارب تمكّن الإنسان من تحقيق غاياته وأهدافه، فإن كان مؤمناً تمكّنه من تحقيق رضا الله تعالى والوصول إلى مرضاته، وان كان فاسقاً ومنافقاً تمكّنه من الوصول إلى أهدافه وغاياته أيضاً.

فهي وسائل تمكّن الإنسان من تحقيق أهدافه... كلّ بحسبه. وقد استعملت هذه الكلمة في المعنى الأخير كثيراً في الأحاديث الإسلاميّة.

فعن الإمام الباقرعليه السلام: قيل للقمان: «**ما الذي أجمعت عليه من حكمتك؟ قال: ألا أتكلّف ما قد كفيته، ولا اضيّع ما وليته**»[١].

وعن الإمام الكاظمعليه السلام أنّه قيل للقمان: «**ما يجمع من حكمتك؟ قال: لا أسأل عمّا كُفيته، ولا أتكلف ما لا يعنيني**»[٢].

وعن رسول اللهصلى الله عليه وآله: «**إنّ الرفق رأس الحكمة**»[٣].

---

(١) قرب الإسناد: ٧٢.

(٢) بحار الأنوار: ٤١٧/١٣.

(٣) كنز العمّال: ٥٤٤٤.

## بماذا يكسب الإنسان الحكمة؟

القسم الأوّل والثاني من الحكمة متقاربان ويكتسبها، الإنسان بالتقوى، وبذكر الله، ومغالبة الهوى، وغضّ البصر، وكفّ اللسان عمّا حرّم الله طبقاً لما ورد في مصادر الوحي.

وقد ورد في حديث المعراج المعروف وهو من الأحاديث القدسيّة الشريفة:

**«يا أحمد! إنّ العبد إذا جاع وحَفظ لسانه عَلَّمتُهُ الحكمة، وتكون حكمته له نوراً وبرهاناً وشفاءً ورحمةً، ويعلم ما لم يكن يعلم، ويبصر ما لم يكن يبصر، فأوّل ما أُبصِّره عيوب نفسه حتى يشتغل بها عن عيوب غيره، وأبصّره دقائق العلم، حتى لا يدخل عليه الشيطان.**

**يا أحمد! ليس شيء من العبادة أحبَّ إليّ من الصمت والصوم، فمن صام ولم يحفظ لسانه كان كمن قام ولم يقرأ في صلاته، فأعطيه أجر القيام ولم أعطه أجر العبادة»**[1].

وقيل للقمان عليه السلام: **(ألست عبد آل فلان؟ قال: بلى. قيل: فما بلغ بك ما نرى؟ قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك مالا يعنيني، وكفّ لساني، وعفّة طُعْمتي، فمن نقص عن هذا فهو دوني، ومَن زاد عليه فهو فوقي، ومَن عمله فهو مثلي)**[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه»**[3].

---

(١) غرر الحكم: حكمة ٢٢٧٢.

(٢) جامع أحاديث الشيعة للسيّد البروجردي: ١٣/٥٠٥- ٥٠٦ عن تنبيه الخواطر: ٢٣٠ ح٢. ومجموعة الورّام: ٢/٢٤٧، ميزان الحكمة: ٢/٣٣٣، مستدرك الوسائل: ٩/١٨.

(٣) الكافي: ٢/١٢٨ ح١.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**القلب يتحمّل الحكمة عند خلو البطن، والقلب يمجَ الحكمة عند أمتلاء البطن**»[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً: «**لا تجتمع الشهوة والحكمة**»[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**الغضب ممحقة لقلب الحكيم، ومن لم يمتلك غضبه لم يملك عقله**»[٣].

وعن السيّد المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام:

«**بحقٍّ أقول لكم: إنّ الزرع ينبت في السهل، ولا ينبت في الصفا، وكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع، ولا تعمر في قلب المتكبِّر الجبّار. ألم تعلموا أنّه من شمخ برأسه إلى السقف شجّه، ومن خفض برأسه عنه استظلَّ تحته وأكَنّه؟ وكذلك من لم يتواضع لله خفضه، ومن تواضع لله رفعه.**

**إنّه ليس على كلّ حال يصلح العسل في الزقاق**[٤]**، وكذلك القلوب ليس على حال تعمر الحكمة فيها، إنّ الزقّ مالم ينخرق أو يقحل**[٥] **أو يتفل**[٦] **فسوف يكون للعسل وعاء، وكذلك القلوب مالم تخرقها الشهوات ويدنسها الطمع ويقسيها النعيم فسوف تكون أوعيّة للحكمة**»[٧].

ومن العوامل التي تكسب الإنسان الحكمة التفكير. وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا المعنى: «لم يكن لقمان نبيّاً، ولكن كان عبداً كثير التفكير، حسن اليقين، أحبّ الله فاحبه، ومنّ عليه بالحكمة»[٨].

---

(١) تنبيه الخواطر: ١١٩/٢.

(٢) غرر الحكم: ١٠٥٧٣.

(٣) بحار الأنوار: ٢٥٥/٧٨، مستدرك سفينة البحار: ٩٧/٢.

(٤) الزقاق: جمع زق وهو وعاء للسقاء من الجلد.

(٥) يقحل: ييبس.

(٦) يتفل: تتغير رائحته.

(٧) تحف العقول للحراني:٥٠٤، بحار الأنوار: ٣٧/١٤.

(٨) تفسير الميزان: ١١٦/١٦.

إذن الحكمة يتلقاها الإنسان بقدر ما يروّض نفسه بالتقوى، وطاعة الله، وذكر الله تعالى، وكفَّ النفس عن الهوى، وكفَّ اللسان عن الثرثرة، وضبط الجوارح والجوانح عن الحرام، والامتناع عن الاستغراق في اللّذات المباحة.

بهذه العوامل الثلاث: (الذكر، والتقوى، والزهد):

ذكر الله تعالى (الذكر).

وكفّ النفس عمّا حرّم الله (التقوى).

والتحرّر عن التعلّق بالدنيا وطيباتها (الزهد).

بهذه العوامل الثلاث يفتح الله قلوب عباده للحكمة وتتنزّل على قلوبهم الحكمة من عند الله.

ولعلّ الآية الكريمة من سورة (البقرة: ٢٨٢) تشير إلى ذلك: ﴿**وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ**﴾.

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**من خزائن الغيب تظهر الحكمة**»[١].

إنّ هذا القسم من الحكمة تنزل على قلب الإنسان من عند الله، إذا حضّر العبد قلبه لاستقبال الحكمة من عند الله، واستقاها من مصادر الوحي. ولا يجوز ولا يصح أن نأخذ هذا القسم من الحكمة من أيّ يد، إلا أن نطمئنّ إلى نظافتها وسلامتها وأمانتها وارتباطها بمصادر الوحي، ولو كان ذلك عبر وسائط عديدة.

## قيمة الحكمة في حياة الإنسان:

إنّ للحكمة دوراً عظيماً في بناء شخصيّة الإنسان وتمكينه من أهوائه وشهواته، وتجريده عن التعلّقات التي تعيقه عن الحركة إلى الله، كما تفتح قلب العبد على فيوضات النور والرحمة النازلة من لدن الله على قلوب الصالحين من عباده، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**كاد الحكيم أن يكون نبياً**»[٢].

---

(١) غرر الحكم: ٩٢٥٤.

(٢) كنز العمال: ٤٤١٢٣.

وعنه صلى الله عليه وآله أيضاً: **«كلمة حكمة يسمعها المرء خير من عبادة سنة»**[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: **«من خزائن الغيب تظهر الحكمة»**[٢].

وإنّ للحكمة من التأثير والنفوذ في قلوب الناس وعقولهم ما يقلّ نظيره في العوامل الأخرى التي تدخل في تكوين شخصيّة الإنسان.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«لو أُلقيت الحكمة على الجبال لقلقلتها»**[٣].

وهي كلمة عظيمة تستوقف الإنسان. لو أنّ الجبال على شموخها وعظمتها كانت تعي الحكمة لاضطربت من قوّة تأثير الحكمة ونفوذها.

## القسم الثالث من الحكمة:

وهذا القسم يأتي إلى النّاس في الغالب من خلال التجربة والخبرة، التي يكسبها الإنسان بتجاربه الشخصية، كما يكتسبها من تجارب الآخرين، ويخسر الإنسان كثيراً، إذا اقتصر في كسب الحكمة من هذا القسم على تجاربه الشخصيّة.

إنّ حياة عقلاء العالم مليئة بالتجارب النافعة في تحقيق الغايات الصعبة، وفي تذليل المهمّات الشاقّة، ولابدّ للمؤمنين أن يتزوّدوا بما يكسبه الناس (عامّة الناس) من الحكمة، سواءً منهم المؤمن أم المنافق أم الكافر، فإنّ الحكمة سلاح وقوّة، تمكّن الإنسان أن يحقّق غاياته وأهدافه وتُنَجِّحُ المشاريع التي ينهض بها في علاقته بالناس، وفي إدارة الدولة وقيادتها، وفي إدارة الأعمال والمشاريع الاقتصاديّة، وفي طلب العلم، وفي كسب الأصدقاء، وفي إنجاح الثورة، وفي الإبداع العلميّ والفنيّ، وفي قيادة الجيش وإدارته، وفي الدخول في الحروب، وفي المشاريع السياسيّة وأمثال ذلك.

---

(١) بحار الأنوار: ١٣/ ٤٣٢.

(٢) غرر الحكم: ٩٢٥٤.

(٣) بحار الأنوار: ٧٨/ ١٢ ح٧.

في هذه المشاريع والأعمال لا بدّ من أن يستعين المؤمنون بتجارب الناس من قبلهم، ويكسبوا هذه التجارب، حتى لا يبدأوا من نقطة الصفر، وليس على المؤمنين من بأس أن يكسبوا هذه التجارب، من المؤمنين أو المنافقين أو الكفّار... فإنّ التجربة سلاح وقوّة، نكسبها من أيّ مصدر نعرفه.

وهذا هو معنى الثالث من الحكمة.

وإلى هذا المعنى من الحكمة تشير نصوص الروايات الإسلاميّة، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**الحكمة ضالّة المؤمن، فاطلبوها، ولو عند المشرك تكونوا أحق بها وأهلها**»[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**الحكمة ضالّة كلّ مؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق**»[2].

وهذا المعنى هو المقصود بالكلمة التي يرويها الرواة عن زين العابدين عليه السلام في قوله:«**لا تحتقروا اللؤلؤة النفيسة أن تجتلبها من الكبا الخسيسة، فإنّ أبي حدّثني، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إنّ الكلام من الحكمة لتلجلج في صدر المنافق نزاعاً إلى مظانّها، حتى يلفظ بها، فيسمعها المؤمن، فيكون أحقّ بها وأهلها فيلقفها**»[3].

## ٦- الصبر والثبات:

كانت الأيّام صعبة، وكان بنو أميّة يتعاملون مع خصومهم من شيعة أهل البيت عليهم السلام بقسوة وضراوه، يلاحقونهم، ويضايقونهم في أرزاقهم، ويحبسونهم، ويقتلونهم، ويطاردونهم.

---

(١) أمالي الطوسي: ٦٢٥.

(٢) نهج البلاغة: حكمة رقم ٨

(٣) بلاغة الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام لشيخ جعفر عباس الحائري: ص٢٢٢.

ولقد كانت هذه الفترة واحدة من أشقّ الفترات التي مرّت على شيعة اهل البيت عليهم السلام، على أيدي عمّال بني أميّة وجلاوزتهم.

فكان زين العابدين عليه السلام يجد فيهم أحياناً تذمّراً ووهنا وشكوى، وسؤالاً: متى يكون الفرج من هذا الضيق؟ وكأنّهم كانوا يستبطؤون الفرج الذي وعدهم الله تعالى به، يمدّون أعينهم إلى فرج قريب من كلّ هذا الضيق والعسر، فلا يجدونه، فكان يقول لهم زين العابدين عليه السلام: «**فما تمدّون أعينكم؟ ألستم آمنين؟ لقد كان من قبلكم، ممن هو على ما أنتم عليه، يؤخذ فتقطع يده ورجله ويصلب! ثمّ يتلو عليه السلام: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء.....﴾**» [البقرة: ٢١٤] [1].

إنّ الآية التي استشهد بها الإمام زين العابدين عليه السلام في تثبيت أصحابه وشيعته أمام الإرهاب الأمويّ آية في كتاب الله، وفي ضوء هذه الآية، يستهين الإنسان بما يلقاه في جنب الله من أعداء الله، بالقياس إلى ما كان يلقاه أصحاب الأنبياء عليهم السلام من قبلنا، أتلوها عليكم، فاسمعوها:

**﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾** [البقرة: ٢١٤].

إنّ الطريق إلى الجنّة طريق صعب عسير، لا ينالها الناس إلا بعد اجتياز الطريق الصعب العسير، طريق ذات الشوكة.

يقول تعالى: **﴿وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾** [آل عمران: ١٤١-١٤٢]

---

(١) تفسير نور الثقلين للشيخ الحويزي: ٢٠٩/١.

إنّ الناس ينشطرون من قبل أن تقوم الساعة وقبل أن يدخل المؤمنون الجنّة إلى شطرين، الذين جاهدوا وصابروا، والذين أخلدوا إلى الأرض وتثاقلوا عن الجهاد وجزعوا عن القتال ورضوا بالحياة الدنيا، فيرزق الله المؤمنين الذين علم الله منهم الجهاد والمصابرة الجنّة، والذين أسَفّوا، وأخلدوا إلى الحياة الدنيا، ورضوا بها مرجوون لرحمة الله، إن شاء غفر لهم، وإن شاء حاسبهم وعاقبهم على خلودهم إلى الدنيا، وتثاقلهم عن القتال في سبيل الله.

يقول تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:١٦].

ولا يدخل الناس الجنة إلا بعد أن يفرز الله (يعلم الله) الذين جاهدوا منهم، وأخلصوا ولاءهم لله تعالى، ولم يتّخذوا من دون الله ورسوله والمؤمنين أولياء يسرّون إليهم بولائهم وحبّهم (وليجة) في السرّ، فإنّ الله تعالى خبير بسرّهم وعلنهم.

## ٤ـ الثقافة الوعظيَة

كان لحكومة بني أميّة دور واسع ـ كما ذكرنا ـ في إشاعة الترف والفساد واللهو المحرّم في الأوساط الإسلاميّة في هذه الفترة. . . وقد أثّر ذلك أثراً بليغاً في إبعاد الناس عن الله والقيم الإسلاميّة الروحيّة، والأخلاق وعن التفكير في الحياة الآخرة، وكان له أثر بالغ في فساد القلوب وإفراغها من الحالات الإيمانيّة والمعرفيّة التي يؤكّد عليها الإسلام.

واجه الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام هذه الحالة المجافيّة لروح الإسلام وتشريعاته وقيمه، وأخذ بنظر الاعتبار في بناء الجماعة الصالحة مكافحة حالة الترف واللهو والفساد والانغماس في اللّذات والشهوات والبعد عن الله...

وكان منهج الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام في مكافحة هذه الحالة من الانغماس في شهوات الحياة الدنيا ولذّاتها... هو إشاعة (الدعاء) و(الوعظ) في المجتمع، بشكل عامّ وفي أوساط هذه الجماعة بشكل خاصّ.

### خطاب الدعاء والوعظ:

و(الدعاء) و(الوعظ) خطابان مؤثّران في نفس الإنسان وتربيتها وتذكيرها.

خطاب (الدعاء) خطاب صاعد إلى الله، يرقى بالنفس الإنسانيّة إلى الله تعالى يناجيه ويخاطبه، ويتضرّع إليه، ويطلب منه، ويلتمس لديه، ولهذا الخطاب الصاعد أثر في انتزاع النفس من الدنيا وتشبّثاتها بها والانغماس في الشهوات

واللّذات.. فإنّ خطاب الدعاء نحو من العروج إلى الله، بدرجة من الدرجات، وجوهر هذا العروج هو التحرّر من الدنيا وعلائقها.

والخطاب الثاني هو (الخطاب الوعظيّ). ولهذا الخطاب تأثير كبير في ترقيق القلوب القاسية، وتزهيد النفوس المتعلّقة بالدنيا وتحريرها منالتعلّق بالدنيا، ويزيل بشكل واضح الدين الصدأ المتراكم على النفوس.

فإنّ الانغماس في الذات الدنيا ومتاعها، والتعلّق بها يترك على نفس الإنسان صدأ كثيراً، ورينا، يحجبه عن الله تعالى، ويسلبه الشفّافيّة التي هي أعظم خصائص القلب. وللموعظة تأثير كبير في إزالة هذا الصدأ والرين عن القلوب، وإعادة الشفّافيّة إلى القلوب وترقيقها.

ومن مهام الخطاب الوعظيّ التذكير بالموت وتنبيه الناس إلى عدم وفاء الدنيا بالإنسان، وأنّ الأجل ينغض عليه لا محالة، فينتزعه من كلّ تعلّقاته بالدنيا في لحظة واحدة.

وهذا التذكير يقصّر أمل الإنسان في الدنيا، وهو دواء ناجع لكثير من الأمراض النفسيّة... فإنّ طول الأمل في الدنيا من أكبر مصائب الإنسان، ولا يحرّره منه إلا التذكير المتصل بالموت، وتقريبه إلى الإنسان.

فإنّ (الموت) كما هو هادم اللّذات، كذلك التفكير والتذكير به يكفكف جماح أهواء النفس ويقصّر أمله في الحياة الدنيا.

## الخطاب الدعائي ـ الوعظيّ المزدوج:

وعندما يتألّف الخطاب الواحد منهما، فيكون دعاءً ويكون وعظاً في وقت واحد فإنّ أثره في تهذيب النفس وترقيقها يتضاعف...

وفي التراث الدعائيّ الذي ورثناه من أهل البيت عليهم السلام كثير من هذا الخطاب الدعائيّ الوعظيّ المزدوج.

ومن ذلك الدعاء الذي علّمه أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد (رضوان الله عليه): **(اللهمّ عظم بلائي، وأفرط بي سوء حالي، وقصرت بي أعمالي، وقعدت بي أغلالي، وحبسني عن نفعي بعد آمالي، وخدعتني الدنيا بغرورها، ونفسي بخيانتها، ومطالي يا سيّدي. فأسألك بعزتك ألا يحجب عنك دعائي سوء عملي وفعالي).**

## دعاء كميل نموذج:

**(إلهي وسيّدي، لأيّ الأمور إليك أشكو، ولما منها أضجّ وأبكي، لأليم العذاب وشدّته، أم لطول البلاء ومدّته... فهبني يا إلهي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك).**

ومن ذلك الدعاء الذي علّمه عليّ بن الحسين عليه السلام لأبي حمزة الثماليّ رحمه الله:

**(وَانْقُلْني إلى دَرَجَةِ الَّتوْبَةِ اِلَيْكَ، وَاَعِنّي بِالْبُكاءِ عَلى نَفْسي، فَقَدْ اَفْنَيْتُ بِالتَّسْويفِ وَالآمالِ عُمْري، وَقَدْ نَزَلْتُ مَنْزِلَةَ الآيِسينَ مِنْ خَيْري، فَمَنْ يَكُونُ اَسْوَأ حالاً مِنّي إنْ اَنَا نُقِلْتُ عَلى مِثْلِ حالي، إلى قَبْري، لَمْ اُمَهِّدْهُ لِرَقْدَتي، وَلَمْ اَفْرُشْهُ بِالْعَمَلِ الصّالِحِ لِضَجْعَتي؟ وَمالي لا اَبْكي وَلا اَدْري إلى ما يَكُونُ مَصيري؟ وَاَرى نَفْسي تُخادِعُني، وَاَيّامي تُخاتِلُني، وَقَدْ خَفَقَتْ عِنْدَ رَأسي اَجْنِحَةُ الْمَوْتِ، فَمالي لا اَبْكي؟ اَبْكي لِخُرُوجِ نَفْسي، اَبْكي لِظُلْمَةِ قَبْري، اَبْكي لِضيقِ لَحَدي، اَبْكي لِسُؤالِ مُنْكَر وَنَكير اِيّايَ، اَبْكي لِخُرُوجي مِنْ قَبْري عُرْياناً ذَليلاً حامِلاً ثِقْلي عَلى ظَهْري، اَنْظُرُ مَرَّةً عَنْ يَميني وَاُخْرى عَنْ شِمالي، اِذ**

**الْخَلائِقِ فِي شَأْنِ غَيْرِ شَأْنِي ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ* وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ* ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ* تَرْهَقُها قَتَرَةٌ وَذِلَّةٌ﴾.**

وفي أدعيَة الإمامِ زين العابدين عليه السلام الكثير من هذا الخطاب الدعائي الوعظي المزدوج.

## دعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين عليه السلام:

ومن نماذج الخطاب (الدعائيّ الوعظيّ) المزدوج في كلمات الإمامِ زين العابدين عليه السلام دعاء مكارم الأخلاق، يجمع الإمامِ في خطاب واحد بين الدعاء والتربيّة الأخلاقيّة والروحية، وهو الدعاء (٥٥) من الصحيفة السجّاديّة الكاملة. ولا نريد هنا أنّ نذكر الدعاء بطوله، فهو دعاء معروف من أدعيّة الصحيفة الكاملة، يتضمن مفاهيم أخلاقيّة كثيرة وقيمة، وله شروح كثيرة ومن أفضل الشروح المعاصرة له شرح الشيخ محمّد تقي الفلسفي الواعظ الإيراني الفقيد الشهير. ونحن نكتفي بذكر مدخل هذا الدعاء، ونحيل القارئ إلى الصحيفة السجّاديّة الكاملة.

**(اللهم صل على محمّد واله، وبَلِّغْ بإيماني أكمل الإيمان، واجعل يقيني أفضل اليقين، وانته بنيتي إلى أحسن النيات، وبعملي إلى أحسن الأعمال.**

**اللهمّ وَفِّرْ بلطفك نيّتي، وصَحِّحْ بما عندك يقيني، واستصلح بقدرتك ما فسد منّي.**

**اللهم صل على محمّد وآله، واكفني ما يشغلني الاهتمام به، واستعملني بما تسألني غداً عنه، واستفرغ أيامي فيما خلقتني له، وأغنني وأوسع عليّ في رزقك، ولا تفتني بالبطر، وأعزني، ولا تبتليني بالكِبْر، وعبِّدْني لك ولا تفسد عبادتي بالعُجب، وأجرِ للناس على يدي الخير، ولا تمحقه بالمنّ، وهب لي معالي الأخلاق، واعصمني من الفخر.**

اللهمّ صلِّ على محمّد وآله، ولا ترفعني في الناس درجة إلا حططتني عند نفسي مثلها، ولا تُحدّث لي عزّاً ظاهراً إلا أحدثتَ لي ذلّةً باطنةً عند نفسي بقدرها.

اللهم صلِّ على محمّد وآل محمد، ومتّعني بهدىً صالح لا أستبدلُ به، وطريقة حقّ لا أزيغ عنها، ونيّة رشد لا أشكُ فيها، وعمّرني ما كان عمري بذلة في طاعتك، فإذا كان عمري مَرْتعاً للشيطان فاقبضني إليك قبل أن يسبقَ مقتُك إليّ، أو يستحكم غضبك عليّ.

اللهمّ لا تَدعْ خصلةً تعابُ منّي إلا أصلحتَها، ولا عائبةً أؤنَّبُ بها إلا حَسَّنتَها، ولا أكرومة فيَّ ناقصة إلا أتممتها.

اللهم صلِّ على محمّد وآل محمّد، وأبدلني من بغضة أهل الشنآن المحبّة، ومن حسد أهل البغي المودّة، ومن ظِنّة أهل الصلاح الثقة، ومن عداوة الأَدنين الولاية ومن عقوق ذوي الأرحام المبرّة، ومن خذلان الأقربين النُّصرة، ومن حبّ المدارين تصحيح المِقَة، ومن ردّ الملابسين كرم العشرة، ومن مرارة خوف الظالمين حلاوة الأمنة.

اللهم صلِّ على محمّد وآله، واجعل لي يداً على من ظلمَني، ولساناً على من خاصمَني، وظَفراً بمن عانَدني، وهب لي مَكْراً على من كايدَني، وقدرةً على من اضطهدَني...).

وما يهمّنا الآن في هذه النقطة من البحث (الخطاب الوعظيّ) عند الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام، ودوره في تربيّة الجماعة الصالحة.

## نموذج من الخطاب الوعظيّ لزين العابدين عليه السلام:

ونذكر هنا نموذجاً واحداً من مواعظ الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام برواية ثقة الإسلام الكليني في (روضة الكافي)، ويرويه أيضاً حسن بن عليّ بن شعبة الحرّاني في (تحف العقول)، والصدوق في (الأمالي).

## نصّ الخطاب:

روى ثقة الإسلام الكلينيّ في الروضة بسنده المتصل إلى سعيد بن المسيّب، قال: كان عليّ بن الحسين عليه السلام يعظ الناس، ويزهّدهم في الدنيا، ويرغّبهم في الآخرة في كلّ جمعة في مسجد رسول الله، وقد حُفظَ عنه وكُتب عنه، وكان يقول فيما يقول:

**(أيّها الناس! إتّقوا الله، واعلموا أنّكم إليه ترجعون، فتجد كلّ نفس ما عملت في هذه الدنيا من خير محضراً، وما عملت من سوء، تودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذّركم الله نفسه.**

**ويحك يا ابن آدم الغافل وليس بمغفول عنه. يا ابن آدم! إنّ أجلك أسرع شيء إليك، قد أقبل نحوك حثيثاً، يطلبك، ويوشك أن يدركك، وكأنّ قد أوفيت أجلك، وقبض الملك روحك، وصرت إلى قبرك وحيداً، فَرُدّ إليك فيه روحك، واقتحم عليك فيه ملكان ناكر ونكير لمساءلتك وشديد امتحانك.**

**ألا وإنّ أوّل ما يسألانك عن ربّك الذي كنت تعبده، وعن نبيّك الذي أرسل إليك، وعن دينك الذي كنت تدين به، وعن كتابك الذي كنت تتلوه، وعن إمامك الذي كنت تتولّاه، ثمّ عن عمرك فيما كنت أفنيته، ومالك من أين اكتسبته، وفيما أنت أنفقته.**

فخذ حذرك، وانظر لنفسك، وأعد الجواب قبل الامتحان والمساءلة والاختبار، فإن تكُ مؤمناً عارفاً بدينك، متبعاً للصادقين، موالياً لأولياء الله، لقّاك الله حجّتك، وأنطق لسانك بالصواب، وأحسنت الجواب، وبُشِّرت بالرضوان والجنّة من الله عزّ وجلّ، واستقبلتك الملائكة بالروح والريحان، وإن لم تكن كذلك، تلجلج[١] لسانك، ودحضت[٢] حجّتك، وعييت[٣] عن الجواب، وبُشّرت بالنار، واستقبلتك ملائكة العذاب بنُزل من حميم وتصليّة جحيم.

واعلم يا ابن آدم، إنّ من وراء هذا أعظم وأفظع وأوجع للقلوب يوم القيامة، ذلك يوم مجموع له الناس، وذلك يوم مشهود، يجمع الله عزّ وجلّ فيه الأوّلين والآخرين، ذلك يوم يُنفخ في الصور، وتُبعثر فيه القبور، وذلك يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين، وذلك يوم لا تقال فيه عثرة، ولا يؤخذ من أحد فدية، ولا تُقبل من أحد معذرة، ولا لأحد فيه مستقبل توبة، ليس إلا الجزاء بالحسنات والجزاء بالسيّئات.

فمن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرّة من خير وجده، ومن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرّة من شرّ وجده.

فاحذروا أيّها الناس من الذنوب والمعاصي، ما قد نهاكم الله عنها، وحذّركموها في كتابه الصادق والبيان الناطق، ولا تأمنوا مكر الله وتحذيره وتهديده، عندما يدعوكم الشيطان اللعين إليه من عاجل الشهوات واللّذات في هذه الدنيا، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[٤] (الأعراف: ٢٠١).

---

(١) أي تردد.

(٢) أي بطلت.

(٣) أي عجزت.

(٤) مسهم: ألمّ بهم. طائف من الشيطان: قيل هو الغضب، وكل ما طاف بالإنسان من نزغ الشيطان ووسوسته.

وأشعروا قلوبكم خوف الله، وتذكّروا ما قد وعدكم الله في مرجعكم إليه من حسن ثوابه، كما قد خوّفكم من شديد العقاب.

فإنّه من خاف شيئاً حذره، ومن حذر شيئاً تركه.

ولا تكونوا من الغافلين المائلين إلى زهرة الدنيا الذين مكروا السيئات، فإنّ الله يقول في محكم كتابه: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾[1] [النحل: ٤٥ ـ ٤٧]

فاحذروا ما حذّركم الله بما فعل بالظلمة في كتابه، ولا تأمنوا أن ينزل بكم بعض ما تواعد به القوم الظالمين في الكتاب.

والله لقد وعظكم الله في كتابه بغيركم، فإنّ السعيد من وُعظ بغيره، ولقد أسمعكم الله في كتابه ما قد فعل بالقوم الظالمين من أهل القرى قبلكم حيث قال: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ [الأنبياء: ١١].

وإنما عنى بالقرية أهلها حيث يقول: ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ﴾ [الأنبياء: ١١]، فقال عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٣ ـ ١٥].

وأيم الله، إنّ هذه عظة لكم وتخويف إن اتّعظتم وخفتم، ثمّ رجع القول من الله في الكتاب على أهل المعاصي والذنوب فقال عزّ وجلّ: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[2] [الأنبياء: ٤٦]

---

(١) في تقلبهم: أي في تصرفهم في البلاد ليلاً ونهاراً. على تخوّف: أي ويهلكهم بتخوف، وذلك بنقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم.

(٢) النفحة: النصيب والحظ.

فإن قلتم أيّها الناس: إنّ الله عزّ وجلّ إنما عني بهذا أهل الشرك. فكيف ذلك وهو يقول: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧).

إعلموا عباد الله، إن أهل الشرك لا ينصب لهم الموازين، ولا ينشر لهم الدواوين، وإنما يُحشرون إلى جهنم زُمراً، وإنما تُنصب الموازين وتُنشر الدواوين لأهل الإسلام.

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الله عزّ وجلّ لم يحبّ زهرة الدنيا وعاجلها لأحد من أوليائه، ولم يرغّبهم فيها وفي عاجل زهرتها وظاهر بهجتها، وإنّما خلق الدنيا وخلق أهلها ليبلوهم فيها أيّهم أحسن عملاً لآخرته، وأيم الله، لقد ضرب لكم فيه الأمثال، وصرّف الآيات لقوم يعقلون، ولا قوة إلا بالله.

فازهدوا فيما زهدكم الله عزّ وجلّ فيه من عاجل الحياة الدنيا، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول وقوله الحقّ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

فكونوا عباد الله من القوم الذين يتفكّرون، ولا تركنوا إلى الدنيا، فإن الله عزّ وجلّ قال لمحمدﷺ: ﴿وَلا تَرْكَنُواْ[1] إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، ولا تركنوا إلى زهرة الدنيا وما فيها ركون من اتخذها دار قرار ومنزل استيطان، فإنّها دار بلغة ومنزل قلعة ودار عمل، فتزودوا الأعمال الصالحة فيها قبل تفرق أيامها، وقبل الإذن من الله في خرابها، فكان قد أخربها الذي عمرها أول مرة وابتدأها، وهو ولي ميراثها، فأسأل الله العون لنا ولكم

---

(١) الركون: الميل والرضا بأعمال الظلمة.

**على تزود التقوى والزهد فيها، جعلنا الله وإياكم من الزاهدين في عاجل زهرة الحياة الدنيا، الراغبين لأجل ثواب الآخرة، فإنما نحن به وله[١]، وصلى الله على محمّد النبي وآله وسلّم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)[٢].**

## تأمّلات حول الخطاب:

يقول الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام في مستهلّ خطابه:

(اتّقوا الله، واعلموا أنّكم إليه ترجعون، فتجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً، وما عملت من سوء، تودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً).

هذا الخطاب مقتبس من قوله تعالى: **﴿يَوْمَ تَجِدُ كلّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ، تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً، وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾**. [آل عمران: ٣٠].

والآية الكريمة تشير إلى حقيقة هامّة، وهي حضور الأعمال بنفسها يوم القيامة، فإنّ لعمل الإنسان ظاهراً وباطناً، والذي يعرفه الناس من عملهم في الدنيا هو ظاهر العمل، وأمّا باطن أعمالهم فيتعرفون عليه في الآخرة... ولعلّ الآية الكريمة من سورة النساء تشير إلى هذا المعنى:

**﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾**. [النساء: ١٠] ... إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى يرون أنّهم

---

(١) أي إنّما نحن موجودون بالله تعالى وله، ففي الأوّل إشارة إلى تفويض الأمور كلّه إليه، وفي الثاني إشارة إلى طلب التقرب منه بالإتيان بالمأمورات والاجتناب عن المنهيّات، وبهذا يتمّ النظام في الدارين وعلو المنزلة في النشأتين، شرح أصول الكافي، المازندراني: ١١ / ٤١٥.

(٢) روضة الكافي، ضبط وتصحيح الشيخ جعفر شمس الدين، دار التعارف ـ بيروت: ٦٤ – ٦٧. والأمالي للصدوق، ص ٤٠٧ – ٤٠٩، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات. وتحف العقول لحسن بن عليّ بن شعبة الحراني: ٥٩، بحار الأنوار: ٢٢٣/٦ و١٤٣/٧٥.

يأكلون الدرهم والدينار والذهب والفضة. . .، إلا إنّهم في الحقيقة يأكلون النار الحارقة ولا يشعرون، فإن باطن هذه الدراهم والدنانير التي يأكلونها النار، غير أنهم لا يشعرون بذلك في الدنيا.

فإذا ماتوا وجدوا أعمالهم بباطنها وحقيقتها قد سبقتهم إلى الحياة الآخرة فتحضر لهم أعمالهم **﴿يَوْمَ تَجِدُ كلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ من سُوَءٍ﴾**...

وعندئذٍ يتمنّى الإنسان أن يكون بينه وبين سيّئات أعماله أمداً بعيداً، ولكنّها تلتصق به التصاقاً شديداً، لا تفارقه قطّ، ولا يجد سبيلاً للتخلّص منها.

يقول تعالى: **﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾**. [الزلزلة: ٧ – ٨ ].

وآية سورة الزلزلة واضحة في أنَّ الإنسان يقدم على عمله، ويرى عمله يوم القيامة.

فينعم الصالحون يومئذٍ بأعمالهم الصالحة، ويشقى الفاسقون بأعمالهم السيئة.

## الغافل غير المغفول عنه:

ثم يحذّر الإمام الناس عن الغفلة، ويصفهم بهذا الوصف المثير: (ويحك يا ابن آدم الغافل، وليس مغفولاً عنك)، وهو وصف ينطبق انطباقاً دقيقاً على كثير من الناس. يعيشون في غفلة تامة عن الله، وعن الموت وعن أنفسهم، وكأنّه ليس من ورائهم حساب على أعمالهم، ولا ينفذ أجلهم.... وكل لحظة تمر عليهم يقتطع الزمان من عمرهم قطعة لا تعود إليهم أبداً... ولو علموا أنّهم غير مغفول عنهم إذا غفلوا، حافظوا على وعيهم وانتباههم.

فيحذّرهم الإمام من هذه الغفلة القاتلة، ويقول: (يا ابن آدم الغافل، وليس مغفولاً عنه)، وهذا أضعف ما يمكن أن يكون عليه المقاتل في ساحة القتال يغفل عن عدوّه، وعدوّه يرصده رصداً دقيقاً ولا يغفل عنه.

والإنسان الغافل يعيش في الدنيا بين رصدين، عدوّ يرصده وهو الشيطان لينقضّ عليه، في لحظات الغفلة فيهلكه، ورقيب يرقبه ويرصد أعماله، ليحاسبه على أعماله يوم يلقى الله، ولا تخفى عليه خطرات قلبه وكوامن نفسه، وهو اقرب إليه من حبل الوريد، ومن العجب أن يعيش الإنسان بين هذا الرصد وذلك الرصد غافلاً.

## مواقف السؤال:

ثمّ ينتقل الإمام عليه السلام إلى مواقف السؤال، وخير ما ينبّه الغافلين من غفلاتهم تذكيرهم بمواقف السؤال، وهي أشقّ المواقف على الإنسان منذ أن يفارق الإنسان الدنيا... وأوّل موقف من مواقف السؤال عندما يضعه أهله وأحبته في حفرته ثمّ يتفرّقون عنه، ويتركونه وحيداً.

يقول الإمام عليه السلام: (قد قبض الملك روحك، وصيّرك إلى قبرك وحيداً، تُرَدُّ إليك روحك، واقتحم عليك ملكان (ناكر) و(نكير) لمساءلتك وشديد امتحانك).

وما أشد وقع المساءلة على الإنسان، إذا كان لم يعدّ نفسه من قبل لمثل هذه المسائلة... ولو أنّ الإنسان يعي أنّ من وراء كلّ عمل من أعماله سؤالاً وحساباً لم يستسلم للغفلة، وحاسب نفسه، قبل أن تحاسبه ملائكة السؤال والحساب.

وأوّل سؤال تسأله ملائكة الحساب عن عقائده (عن ربّك الذي كنت تعبده، وعن نبيّك الذي أرسل إليك، وعن دينك الذي كنت تدين به، وعن كتابك الذي كنت تتلوه، وعن إمامك الذي كنت تتولّاه).

فإنّ الإيمان بالله ورسوله وملائكته ودينه والولايَة لأولياء الأمر هو الأساس الذي يصدر عنه العمل، والعمل الذي يصدر عن غير أساس، مبتور، لا قرار ولا قيمة له.

ولا بدّ من أن يبني الإنسان أعماله على أساس محكم من الإيمان، ويبني إيمانه على أساس من الحجّة.

والإيمان الذي لا يعتمد على الحجّة والدليل لا قيمة له عند المساءلة والحساب، كما أنّ العمل الذي يصدر من غير الإيمان لا قيمة له...

ولأمر ما يعقّب القرآن العمل الصالح بالإيمان[1] فإنّ العمل الصالح ثمرة الإيمان، ولا ينفكّ عنه، ولن يكون الإيمان عقيماً، والعمل الصالح لا يصدر إلا عن الإيمان، وكل عمل يصدر من غير إيمان واعتقاد قائمين على الحجة والدليل، فاقد للقيمة الأساسيّة في العمل الصالح، فإنّ العمل الصالح ليس جهداً صالحاً فقط، كيفما كان مصدر هذا الجهد ومبعثه، وإنّما تقوّمه النيّة الصالحة، وهذا هو **الشطر الثاني** من مقوّمات العمل الصالح.

والنيّة الصالحة، بالنظرة الدقيقة الكلية، تعتمد على الإيمان القائم على الحجة والدليل وهذا هو **الشطر الثالث** من مقوّمات العمل الصالح.

## (١) الصلاح، (٢) النيّة، (٣) الإيمان:

إذن السؤال يتمّ على محورين لا يعفى عنهما الإنسان: الإيمان والعمل.

يقول زين العابدين عليه السلام عن المحور الثاني (وعن عمرك فيما أفنيته، وعن مالك فيما أنفقته).

---

(١) البقرة/ ٢٥-٢٨-٢٧٧، آل عمران/٥٧، النساء/٥٧-١٢٢-١٧٣، المائدة/٩-٩٣، الأعراف/٤٢، يونس/٤-٩، هود/١١...

## الهول الأكبر من أهوال ما بعد الموت:

وهو هول يومِ القيامة يومِ يحشر الناس كالجراد المنتشر.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إلى شَيْءٍ نُكُرٍ خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ مُهْطِعِينَ إلى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ (القمر: ٦- ٨).

وأيّ يومٍ رعيب هذا اليومِ الذي يمتدّ على الناس في مواقف الحساب خمسين ألف سنة، وأيّ حساب عسير هذا الحساب ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً﴾ [المعارج: ٤-١٠].

ويحشر الناس يومئذ، ولا يسأل حميم عن حميم، وينتشرون كالفراش المبثوث، هَمّ كلّ واحد منهم أن يتخلّص من عذاب جهنّم، ويعبر الصراط إلى الجنة.

ونقرأ سورة القارعة، فتقف كلّ شعرة في جسم الإنسان، إذا قرأها حقّ قراءتها، من هول ذلك اليومِ الرهيب.

﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [(سورة القارعة].

ويضرب الناس في ذلك اليوم الرهيب زلزال عظيم يفقد الناس فيه صوابهم، ويمسون وكأنّهم سكارى، وما هم بسكارى، ولكن هول ذلك اليوم الرهيب يفقدهم الصواب، فيتراءى لمن يراهم أنّهم سكارى، وما هم بسكارى، ولكنّ

عذاب الله شديد ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كلُّ مُرْضِعَةٍ عمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢].

ولا يمرّ على الإنسان هول أعظم من هذا الهول الذي يصيب الناس يوم الزلزال الأكبر، وناهيك في ذلك أنّ العظيم تبارك وتعالى يعبّر عن زلزال هذا اليوم بأنّه (شيء عظيم)...

في هذا الزلزال تذهل المرضعة عمّا أرضعت، وهو أكثر ما يمكن أن يتصوّره الإنسان من الهول الذي يصيبه، حتى تذهل المرضعة عمّا أرضعت... أعاذنا الله من هول ذلك اليوم بظلال أمنه الذي يرزق عباده الصالحين، ولسنا منهم، ولكنّنا نرجو أن يعاملنا بفضله ولطفه، وليس بعدله.

ونقرأ آيات سورة المعارج فتمتلئ قلوبنا رهبة وهيبة من ذلك اليوم الرهيب الذي يمتدّ خمسين ألف سنة... كلّه حساب ومساءلة، يمتدّ هذا الزمن الطويل، وكلّه رهبة وخوف، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصبر.

وليس ببعيد ذلك اليوم الرهيب ولكنّ الناس عنه في غفلة وسبات. يومئذ تكون السماء كالمهل (النحاس المذاب) من شدّة الحرّ الذي تصبّه عليهم السماء، أو الزيت الذي يغلي من شدّة الحرّ، والجبال يومئذ كالصوف المنفوش ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٩].

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة:٥].

والصوف المنفوش الصوف الذي فقد تماسكه وأصبح هشّاً بعد تصلّب، ولعلّ ذلك من أثر الزلزال العظيم الذي تصيب ساحة الحشر فتهتزّ له الجبال هزّات قويّة، فتكون كالعهن المنفوش.

وكلّ إنسان مشغول بشأنه في ذلك اليوم العسير، لا يسأل حميم عن حميم.

يومئذ يودّ المجرم لو يدفع عذاب ذلك اليوم عنه بأعزّ من يعرف من أهله وأبنائه وزوجته وإخوانه وعشيرته، ومن في الأرض جميعاً وينجو بذلك من عذاب الله... ولكن هيهات (كلّا).

ثمّ تقرّر آيات المعارج هذه الحقيقة المرّة (أنّها لظى) تتلظّى، وتلتهب على المجرمين وتنزع من شدة الحر جلود رؤوسهم ﴿نزّاعة للشّوى﴾.

ولنقرأ هذه الآيات من سورة المعارج، وهي كما قلنا في الآيات التي تلوناها من قبل من سورة القارعة إذا أعطاها الإنسان حقّها من القراءة والوعي تقف عند قراءتها كلّ شعرة في جسمه من هول ذلك اليوم: **﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاء كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْويهِ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾** [المعارج:١– ١٨].

يقول الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام عن هذا اليوم المهيب، وعن هذا الهول الأعظم:

(واعلم أنّ من وراء هذا (يعني مسألة القبر والبرزخ) أعظم وأفظع وأوجع للقلوب يوم القيامة، ذلك يوم مجموع له الناس...) .

## التحذير من المعاصي:

ثمّ يحذّرهم الإمام ذنوبهم وآثارهم وتبعاتها السيّئة على دنياهم وآخرتهم ومعاشهم ومعادهم. (فاحذروا) أيّها الناس من المعاصي، ما قد نهاكم الله عنه، وحذّركموها في كتابه الصادق الناطق، ولا تأمنوا مكر الله وتحذيره وتهديده عندما يدعوكم الشيطان اللعين إليه من عاجل الشهوات واللّذات في هذه الدنيا... فاشعروا قلوبكم خوف الله، وتذكّروا ما وعدكم في مرجعكم إليه من حسن ثوابه، كما خوّفكم من شديد عقابه.

يقول سبحانه: ﴿**أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾ [النحل: ٤٥].

إنّ للذنوب آثاراً سيّئة في دنيا الناس ومعاشهم وآثاراً أسوأ في معادهم وآخرتهم.

أمّا ما يتعلّق بدنيا الناس فإنّ للذنوب والسيئات آثاراً تخصّ العاملين بها.

وهناك ذنوب ترتكب من ناحيّة المجتمع، وتشيع في أوساط الناس، دون أن يقابلها إنكار للمنكر بحجم الذنوب والمعاصي، وبحجم الأمّة... عندئذ العذاب ينزل على الأمّة كلّها، وليس على المذنبين والعاصين بالخصوص، وهو قوله: ﴿**وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [الأنفال: ٢٥].

والعقوبات التي تخصّ هذه الذنوب إبتلاءات ومصائب عامّة وسقوط حضاري، كما يحدّثنا القرآن في الأمم السابقة، وكما عرفنا في عصرنا ذلك في سقوط دولة الإلحاد في الاتحاد السوفيتي السابق.

يقول تعالى: ﴿**فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ**﴾ [الأنعام: ٦].

وفي قوم نوح يقول تعالى: ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا**﴾ [نوح: ٢٥].

﴿فَأنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩].

والمعلوم أنّ الرجز الذي نزل من السماء عمّ الجميع، وأنّ الجميع لم يكونوا من الظالمين، فعمّهم العذاب، عندما شاعت فيهم الذنوب، وانقطع فيهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَة بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢].

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ [الشمس: ١٤].

وأمّا الذنوب التي لا تعمّ المجتمع، فهي التي يقابلها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنّها تكون بحجم المعصيّة وبحجم العاملين بالمعصية، والعذاب في مثل هذه الذنوب يقع على المذنبين خاصّة، كما ذكرنا.

يقول تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كلّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٢٥].

﴿ثُمَّ تُوَفَّى كلّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٨١].

هذا كلّه فيما يصيب الناس من عقوبة في معاشهم ودنياهم على ذنوبهم...

وأمّا ما يتعلّق بعقوبات الآخرة فإنّها لا تنزل إلا على العصاة والمذنبين خاصّة، وبقدر ذنوبهم ومعاصيهم ﴿لاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤].

ذلك أنّ يومِ القيامة يوم الفصل، يفصل فيما بين الناس فلا يتحمّل بريء عقوبة المجرمين.

وهذه العقوبات هي التي تحدّثنا عنها في العنوان السابق (الهول الأكبر) يوم القيامة.

﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ كَلَّا أَنَّهَا لَظَى نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ [المعارج: ١١-١٨].

هذه العقوبة تخصّ المجرمين فقط ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾، وهذه العقوبة تدعو فقط من أدبر وتولّى وجمع فأوعى.

## السعيد من وُعِظَ بغيره:

ويحذّرهم الإمام عليه السلام أن يكونوا عظة للآخرين... وإنّما على المؤمن أن يتّعظ بالآخرين، ولا يكون موعظة لهم (فاحذروهم ما حذّركم الله بما فعل الظَّلَمة في كتابه... والله لقد وعظكم الله في كتابه بغيركم، وإنّ السعيد من وعظ بغيره) إنّ الله تعالى يعظنا في كتابه بالأشقياء من الناس، الذين أسقطتهم سيّئاتهم وظلمهم في الهاوية...

فعلينا أن نتّعظ بهم، ونحذر أن نقع فيما وقعوا فيه، فإنّ شقائهم وسقوطهم لنا موعظة ودرس، علينا أن نستفيد منه... وحذار حذار أن يكون المسلم هو نفسه درساً وموعظة للآخرين... إذا لم ينتفع هو بسقوط الظالمين والمذنبين وشقاوتهم من قبل.

(فكونوا أيّها المؤمنون من القوم الذين يعقلون).

فإنّ الغفلة عن موارد العظة ممن جاء قبلنا من الناس تأتي بسبب تعطيل العقول... والعقول من المواهب الإلهيّة العظيمة، التي يخسرها الإنسان إذا عطلها كما يخسر الإنسان كلّما رزقه الله تعالى من المواهب، إذا عطّلها.

## الركون إلى الدنيا والركون إلى الظالمين:

ويحذّرنا الإمام في خاتمة هذا الدرس عن ركونين، هما سبب الكثير من ابتلاءات الإنسان ومصائبه في هذه الدنيا والآخرة، وهو الركون إلى (الدنيا) والركون إلى (الظالمين):

يقول عليه السلام: «ولا تركنوا إلى هذه الدنيا وما فيها ركون من اتّخذها دار قرار ومنزل شيطان فإنّها دار قلعة ومنزل بلغة، ودار عمل».

وهذا هو الركون الأوّل.

والركون الثاني: الركون إلى الظالمين، فإن الله قال: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ﴾ [هود:١١٣].

هذا الركون وذلك الركون يستنزلان غضب الله وعذابه. الركون إلى الدنيا وزخرفها ومتاعها، يطيل أمل الإنسان في الدنيا، وطول الأمل في الدنيا يعادل دائما نسيان الموت والآخرة... وهما بمعنى الإعراض عن الله تعالى ونسيانه.

والدنيا، كما يقول الإمام عليه السلام ليست بدار قرار واستيطان، وإنّما هي منزل قلعة، سرعان ما يقلع الإنسان عنه، ومنزل بلغة، يبلغ بها وفيها ما قسم الله لعباده الصالحين في نعيم رضوانه وجناته.

فمن جعلها دار قرار واستيطان، استغرقته، وبقدر ما تستغرقه الدنيا يخسر الآخرة، والإعداد والتحضير لها.

والركون إلى الظالمين، بمعنى نفي الركون إلى الله، فلا يمكن أن يجمع الإنسان بين الركون إلى الله والثقة به والاطمئنان إلى الظالمين.

ولا يمكن أن يستشعر الإنسان الأمن والاطمئنان بجوار الله، وفي نفس الوقت يستشعر الأمن والاطمئنان بجوار أعداء الله.

إنّ الركون إلى الظالمين يسلب صاحبه الركون إلى الله بالتأكيد.

وما أشقى الإنسان وأعظم بؤسه إذا انتزع من نفسه وقلبه الركون إلى الله العلي الأعلى، واستبدله بالكون إلى الظالمين!

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ﴾ [هود: ١١٣].

## خطاب وعظيّ آخر للإمام زين العابدين عليه السلام:

وفيما يلي نروي خطاباً وعظيّاً آخر للإمام زين العابدين عليه السلام برواية الشيخ الكلينيّ في روضة الكافي.

عن أبي حمزة قال: ما سمعت بأحد من الناس كان أزهد من عليّ بن الحسين عليهما السلام إلا ما بلغني من عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قال أبو حمزة: كان الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا تكلّم في الزهد ووعظ أبكى من بحضرته.

قال أبو حمزة: وقرأت صحيفة فيها كلام زهد من كلام عليّ بن الحسين عليهما السلام، وكتبت ما فيها، ثمّ أتيت عليّ بن الحسين صلوات الله عليه، فعرضت ما فيها عليه، فعرفه، وصححه.

وكان ما فيها:

**(بسم الله الرحمن الرحيم. كفانا الله وإياكم كيد الظالمين، وبغي الحاسدين وبطش الجبارين.**

**أيّها المؤمنون لا يفتننكم الطواغيت وأتباعهم من أهل الرغبة في هذه الدنيا، المائلون إليها، المفتنون بها، المقبلون عليها وعلى حطامها الهامد وهشيمها البائد[1]، غداً. واحذروا ما حذّركم الله منها، وازهدوا فيما زهّدكم الله**

---

(١) الحطام: ما يكسر من اليبس، والهامد: البالي المسود المتغيّر، واليابس من النبات، والهشيم من النبات: اليابس المتكسر، والبائد: الذاهب المنقطع أو الهالك.

فيه منها، ولا تركنوا إلى ما في هذه الدنيا، ركون من اتّخذها دار قرار ومنزل استيطان.

والله إنّ لكم مما فيها عليها دليلاً وتنبيهاً من تصريف أيّامها وتغيّر انقلابها ومثلاتها [١]. وتلاعبها بأهلها، إنّها لترفع الخميل [٢]. وتضع الشريف، وتورد أقواماً إلى النار غدا، ففي هذا معتبر ومختبر وزاجر لمنتبه.

إنّ الأمور الواردة عليكم في كلّ يوم وليلة من مظلمات الفتن [٣]، وحوادث البدع، وسنن الجور، وبوائق الزمان، وهيبة السلطان، ووسوسة الشيطان، لَتثبط القلوب [٤] عن تنبّهها، وتذهلها عن موجود الهدى، ومعرفة أهل الحق، إلا قليلاً ممّن عصم الله.

فليس يَعرف تصرّم أيّامها، وتقلّب حالاتها، وعاقبة ضرر فتنتها إلا من عصم الله، ونهج سبيل الرشد، وسلك طريق القصد، ثمّ استعان على ذلك بالزهد، فكرّر الفكر، واتعظ بالصبر، فازدجر، وزهد في عاجل بهجة الدنيا، وتجافى عن لذّاتها، ورغب في دائم نعيم الآخرة، وسعى لها سعيها، وراقب الموت، وشنأ الحياة [٥] مع القوم الظالمين.

نظر إلى ما في الدنيا بعين نيّرة حديدة البصر [٦]، وأبصر حوادث الفتن، وضلال البدع، وجور الملوك الظلمة.

---

(١) المثلات: العقوبات.

(٢) الخامل: الساقط الذي لا نباهة له.

(٣) في بعض النسخ (ملمات).

(٤) التثبيط: التعويق والشغل عن المراد.

(٥) الشناءة: البغض، وشنأه: أبغضه.

(٦) في بعض النسخ (حديدة النظر).

فلقد لعمري استدبرتم الأمور الماضيّة في الأيّام الخاليّة من الفتن المتراكمة، والانهماك[١] فيها، ما تستدلّون به على تجنب الغواة وأهل البدع والبغي والفساد في الأرض بغير الحقّ.

فاستعينوا بالله، وارجعوا إلى طاعة الله وطاعة من هو أولى بالطاعة ممن اتُّبعَ فأُطيع.

فالحذر، الحذر، من قبل الندامة، والحسرة، والقدوم على الله، والوقوف بين يديه.

وتالله ما صدر قوم قطّ من معصيّة الله إلا إلى عذابه، وما آثر قوم قطّ الدنيا على الآخرة إلا ساء منقلبهم، وساء مصيرهم، وما العلم بالله والعمل إلا إلفان مؤتلفان[٢].

فمن عرف الله خالقه، حثّه الخوف على العمل بطاعة الله.

وإنّ أرباب العلم وأتباعهم الذين عرفوا الله فعملوا له ورغبوا إليه. وقد قال الله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

فلا تلتمسوا شيئاً مما في هذه الدنيا بمعصيّة الله، واشتغلوا في هذه الدنيا بطاعة الله، واغتنموا أيّامها، واسعوا لما فيه نجاتكم غداً من عذاب الله، فإنّ ذلك أقلّ للتبعة، وأدنى من العذر، وأرجأ للنجاة، فقدّموا أمر الله وطاعة من أوجب الله طاعته بين يدي الأمور كلّها، ولا تقدّموا الأمور الواردة عليكم من طاعة الطواغيت من زهرة الدنيا بين يدي الله على طاعته وطاعة أولي الأمر منكم.

واعلموا أنّكم عبيد الله، ونحن معكم، يحكم علينا وعليكم سيّد حاكم غدا، وهو موقفكم ومسائلكم، فأعدّوا الجواب، قبل الوقوف، والمسائلة والعرض على ربّ العالمين، يومئذ لا تكلّم نفس إلا باذنه.

---

(١) الانهماك: التمادي في الشيء واللجاج فيه.

(٢) الألف: الأليف.

**واعلموا أنّ الله لا يُصدق يومئذ كاذباً، ولا يكذب صادقاً، ولا يردّ عذر مستحق، ولا يعذر غير معذور، له الحجة على خلقه بالرسل والأوصياء بعد الرسل.**

**فاتّقوا الله عباد الله، واستقبلوا في إصلاح أنفسكم وطاعة الله[1] وطاعة من تولونه فيها، لعلّ نادماً قد ندم فيما فرّط بالأمس في جنب الله، وضيّع من حقوق الله. واستغفروا الله، وتوبوا إليه، فإنّه يقبل التوبة، ويعفو عن السيّئة، ويعلم ما تفعلون.**

**وإيّاكم وصحبة العاصين، ومعونة الظالمين، ومجاورة الفاسقين، احذروا فتنتهم وتباعدوا من ساحتهم[2].**

**واعلموا أنّه من خالف أولياء الله، ودان بغير دين الله، واستبدّ بأمره دون أمر ولي الله كان في نار تلتهب، تأكل أبداناً قد غلبت عليها شقوتها.**

**واعتبروا يا أولي الأبصار، واحمدوا الله على ما هداكم، واعلموا أنّكم لا تخرجون من قدرة الله إلى غير قدرته، وسيرى الله عملكم ورسوله ثمّ إليه تحشرون، فانتفعوا بالعظة وتأدّبوا بآداب الصالحين)[3].**

## تأمّلات في خطاب الإمام عليه السلام:

يقول الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام في هذا الخطاب:

**«أيّها المؤمنون لا يفتنّنكم الطواغيت وأتباعهم من أهل الرغبة في هذه الدنيا، المائلون إليها، المفتنون بها، المقبلون عليها وعلى حطامها الهامد.**

---

(١) في بعض النسخ (في إصلاح أنفسكم في طاعة الله).

(٢) الساحة: الناحية.

(٣) روضة الكافي: وهي الجزء الثامن من الكافي: ١٦-١٧ وبحار الأنوار: ١٥٠/٧٥ وتحف العقول في فصل مواعظ وحكم الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام : ١٨١ ـ ١٨٢ منشورات بصيرتي / قم.

**واحذروا ما حذّركم الله منها، وازهدوا فيما زهّدكم الله فيه منها، ولا تركنوا إلى ما في هذه الدنيا ركون من اتخذها دار قرار ومنزل استيطان».**

## فتنة الطاغوت:

الهوى والطاغوت أعظم خطرين في حياة الإنسان. الهوى من (داخل النفس) والطاغوت في ساحة الحياة (على الأرض).

وفتنة الطاغوت في إخراج الناس من دائرة عبوديّة الله تعالى وطاعته إلى دائرة عبوديّة الطاغوت وطاعته، من دون الله ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وعبادة الطاغوت طاعته واتباعه، من دون الله... وقد ورد التعبير عن طاعة (الطاغوت) و(الشيطان) بالعبادة في القرآن في أكثر من موضع.

﴿**وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ**﴾ [المائدة: ٦٠].

وعن طاعة الشيطان ورد في القرآن:

﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ**﴾ [يس: ٦٠-٦١].

وفتنة الطاغوت في تطويع الناس لطاعتها هي بالإرهاب والإغراء والتغرير (التضليل).

فإذا افتتن الطاغوت الناس تحوّل الإنسان إلى أداة طيّعة مطيعة لإرادته، لا يسعه أن يعصيه، بل يفهم الأشياء كما يفهمه الطاغوت، ولا يكون بوسعه ان يرى الأشياء ويفهمها بغير ما يراه الطاغوت ويفهمه.

ولقد أنكر فرعون على السحرة اذ آمنوا بإله موسى قبل أن يأذن لهم.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٣].

إنّ فرعون يتوقّع من الناس أنّ يتبعوا في إيمانهم وقناعاتهم إذن فرعون، وما لم يأذن لهم بقناعة أو إيمان كان عليهم أن يثبتوا على القناعات الرسميّة التي يرسمها لهم الطاغية... وهذه خصلة أصيلة في كلّ الطغاة على اختلاف درجاتهم في الطغيان.

فإذا تمكّن الطاغيّة من تطويع الناس لإرادته وفهمه وذوقه... فقد تحول الناس عندئذ إلى كتلة بشريّة (إمّعة) فاقدة للإرادة والوعي والضمير.

وكيف يتمّ للطاغيّة استفراغ شخصيّة الإنسان من وعيه وعقله وإرادته وضميره وسائر المواهب التي وهبها الله تعالى للإنسان؟

الجواب في القرآن:

يقول تعالى عن فرعون: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٥٤].

والمقصود بذلك فرعون.

استخفّهم: أي استفرغ فرعون نفوسهم وعقولهم من الوعي والعقل والإرادة والبصيرة والمواهب التي يرزق الله تعالى الإنسان.

وعندما يفقد الإنسان وعيه وإرادته وضميره وعقله يصبح خفيفاً حسب الموازين الإنسانيّة، فاقداً للوعي والارادة، فيطفو ويتعوّم خفيفاً بين يدي الطاغوت، فيحركه ويوجّهه كما يريد، كما تطفو الخشبة العائمة على سطح الماء، فتاخذها الأمواج يميناً وشمالاً من غير مقاومة (فاستخفّ قومه فأطاعوه).

ويصف الإمام أتباع الطاغوت الذين يعبدونه من دون الله بهذه الأوصاف: **(أهل الرغبة في هذه الدنيا، المائلون إليها، المفتونون بها، المقبلون عليها وعلى حطامها الهامد...).**

إذن يتّضح لنا من خلال هذه الكلمات كيف يستلب الطاغوت وعي الناس ورشدهم وعقلهم وإرادتهم ومقاومتهم.

إنّ الطاغوت ومن قبله الشيطان يجد في الناس ميلاً إلى الدنيا ورغبة قوية، وتعلّقاً شديداً بها وضعفاً تجاهها.

فيطمعهم الطاغوت بالدنيا، ويغريهم ويهدّدهم بها، فيتمكّن منهم، ويمكّنونه من أنفسهم وعقولهم وإرادتهم وضمائرهم، فيستلبهم عند ذلك كلّ هذه المواهب الإلهيّة العظيمة، فيصبحون خفافاً في ميزان القويّ.

إذن مصيبة الإنسان الكبرى في فتنة الطاغوت.

**﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾** [البقرة: ٢٥٧].

## فتنة الدنيا:

وجذور فتنة الطاغوت في فتنة الدنيا، وإذا أردنا مكافحة فتنة الطاغوت فلا بدّ أن نعمل لعلاج فتنة الدنيا في حياة الإنسان، فيقدّم الإمام علاجين لفتنتها.

يقول عليه السلام كما في الفقرة المتقدّمة من كلامه: **«واحذروا ما حذّركم الله منها، وازهدوا فيما زهّدكم الله فيه منها، ولا تركنوا إلى ما في هذه الدنيا ركون من إتّخذها دار قرار ومنزل استيطان»**.

## التقوى والزهد:

والنقطة الأُولى في علاج فتنة الطاغوت هي أن يحذر الإنسان مما حذّره الله تعالى من فتن الدنيا التي حرّمها الله، كالسكر، والفحشاء، والمال الحرام، واللهو الحرام.

وهذا هو التقوى.

فقد أحلّ الله تعالى للإنسان أن يسعى في مناكب الأرض ويتمتّع برزق الله.

﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥].

وجعل لهم فيها حدوداً، وحذّرهم من أن يتعدّوها.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللّه فَلا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧].

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق:١].

والتقوى هو الالتزام بحدود الله تعالى.

وهذا هو العامل الأوّل الذي يحفظ الإنسان من فتنة الدنيا (فاحذروا ما حذّركم الله منها).

**والعامل الثاني** لمكافحة فتنة الدنيا الزهد وعدم الركون إلى الدنيا.

يقول عليه السلام: «**وازهدوا فيما زهّدكم الله فيه منها، ولا تركنوا إلى ما في هذه الدنيا ركون من اتخذها دار قرار ومنزل استيطان**».

إنّ (الزهد) غير (التقوى).

ولا يمكن علاج فتنة الدنيا بالتقوى فقط من دون الزهد. وسوف يتضح لكم وجه هذه الحقيقة.

إنّ حقيقة الزهد تحرير النفس منالتعلّق بالدنيا، وليس من التمتّع والانتفاع بالدنيا، ومصيبة الإنسان فيالتعلّق بالدنيا، وليس في التمتّع بالدنيا، وإن كان الاستغراق في التمتّع بطيبات الحياة يؤدّي إلىالتعلّق بالدنيا غالباً.

يصف أمير المؤمنين عليه السلام الزهد، فيقول: الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن:

قال الله سبحانه: ﴿**لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ**﴾ [الحديد: ٢٣].

ومعنى الآية أن أساس مصيبة الإنسان سقوطه في الحزن (الأسى)، بما فاته والفرح بما آتاه.

وفي هذا الحزن والفرح يكمن تعلّق الإنسان بالدنيا وحطامها ومتاعها.

والتعلّق بالدنيا وحبّها رأس كلّ خطيئة في حياة الإنسان.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: **«جعل الشرّ كلّه في بيت، وجعل مفتاحه حبّ الدنيا، وجعل الخير كلّه في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا»**[(١)].

وعن عليّ بن الحسين عليهما السلام: **«حب الدنيا رأس كلّ خطيئة»**[(٢)].

وعنه عليه السلام أيضاً **«حبّ الدنيا يعمي ويصم ويبكم ويذل الرقاب»**[(٣)].

وتعبير الإمام عليه السلام دقيق. إنّ حبّ الدنيا يسلب الإنسان وعيه وعقله وبصيرته، فهو (يُعمي ويُصمُّ الإنسان) ويسلب منه القدرة على الخطاب (ويبكم)، ويذله ويذل رقبته، ويطوّعه لسلطان الطاغوت وإرادته.

وحب الدنيا هو الركون إلى الدنيا الذي يحذرنا منه الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام في كلمته السابقة.

**«ولا تركنوا إلى ما في هذه الدنيا ركون من إتّخذها دار قرار ومنزل استيطان».**

إنّ الركون إلى الدنيا، وسكون نفس الإنسان إليها لا يكون إلا عندالتعلّق بالدنيا والانشداد إليها، وهو أساس مصائب الإنسان.

وما للإنسان وللتعلّق بالدنيا؟ والدنيا دار قلعة، يقلع الإنسان منها أحبّ أم لم يحب، وليست بدار قرار.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«ما أنا والدنيا؟ إنّما مثلي ومثل الدنيا كمثل رجل راكب، مرَّ على شجرة لها فيئ فاستظلّ تحتها. فلمّا أن مال الظلّ عنها ارتحل، وذهب وتركها»**[(٤)].

---

(١) مشكاة الأنوار للطبرسي: ٢٠٢/١.

(٢) مشكاة الأنوار للطبرسي: ٢٠٤/١.

(٣) المصدر السابق: ٢٠٥/١.

(٤) المصدر السابق: ٢٠٥/١.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: **«واحذَركم الدنيا فإنّها دار قلعة وليست بدار نجعة»**[(١)].

ويقول عليّ بن الحسين عليهما السلام: **«﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾، ولا تركنوا إلى زهرة الحياة الدنيا، وما فيها ركون... فإنّها دار قلعة وبلغة ودار عمل»**[(٢)].

## الركونان اللّذان يفسدان الناس:

يذكّرنا الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام في هذه الكلمة بالركونين اللّذين يفسدان الناس:

**الركون الأوّل**: الركون إلى الظالمين.

يقول تعالى: **﴿وَلا تَرْكَنُواْ إلى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾** [هود:١١٣].

**والركون الثاني الذي يفسد الناس**: الركون إلى الحياة الدنيا.

يقول تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إلى الأرض أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ﴾** [التوبة: ٣٨].

والرضا بالحياة الدنيا هو الركون إلى الدنيا.

ويقول تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمُ النُّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾** [يونس: ٧ ـ ٨].

وهذه الطمأنينة بالدنيا هي الركون إلى الدنيا والرضا بها والاطمئنان إليها، وهو أحد الركونين المحظورين في منهج التربيّة الإسلاميّة.

---

(١) بحار الأنوار: ١٢٣/٧٠.

(٢) بحار الأنوار: ١٤٦/٧٥.

إذن المحظور من الدنيا أمران.

(التعلّق بها) و(الركون إليها). والركون هو الاطمئنان.

والسائغ من الدنيا هو التعامل معها والتمتّع بطيّباتها، ولكن بشرط ألا يستغرق هذا التعامل الإنسان، فإنّ الاستغراق في التعاطي مع الدنيا يؤدّي بالإنسان غالباً إلى المحظورين اللّذين ذكرناهما وهماالتعلّق والحبّ أوّلاً، والاطمئنان والركون ثانياً.

وكيف يمكن الركون إلى الدنيا؟ وهي دار قلعة، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام، وما أسرع ما يقلع الإنسان عنها شاء أم أبى، ورضي أم سخط.

والاطمئنان والركون الذي يأمرنا الإسلام به في منهج التربيّة الإسلاميّة هو الاطمئنان بذكر الله والركون إلى الله ورحمته والرجاء برحمة الله.

يقول تعالى: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

يقول عليّ بن الحسين عليه السلام:

**«والله إنّ لكم مما فيها عليها دليلاً وتنبيهاً من تصريف أيّامها وتغيّر انقلابها، ومثلاتها وتلاعبها بأهلها، وإنّها لترفع الخميل، وتضع الشريف، وتورد أقواماً إلى النار غداً، ففي هذا معتبر ومختبر وزاجر لمنتبه».**

إنّ الدنيا حلوة، خضراء، لاهية، فاتنة، تفتن أهلها وتلهيهم، وتجتذبهم، وتسحر عيونهم، لكن الذين ينظرون إلى الدنيا من خلال تقلّباتها ومثلاتها (شدائدها، وعذابها، ومعاناتها) وتغريرها بأهلها، وتصرّم أيامها، وانقضاء لذاتها وشهواتها لا تسحرهم الدنيا ولا تفتنهم ويحذرون من أن تفتنهم وتسحرهم.

إنّ الدنيا ترفع الوضيع الخامل، وتضع الشريف النابه... ومن هذه الدنيا يسقط أقوام في نار جهنم، ومن أجل هذه الدنيا يرتكب ناس أفظع الجرائم، ثمّ ينتهي أمدهم في الدنيا، ويسقطون في درجات الجحيم.

وكم للدنيا من إقبال وادبار وترفيع وتسقيط... فإذا نظر الإنسان إلى الدنيا من خلال هذه المشاهد لم تفتنه الدنيا، ولم يلهه الأمل، ولم يطل أمله في الدنيا، ولا تخدعه الدنيا بزهوها ولهوها وفتنتها، ويعرف كيف يعيش في الدنيا، دون أن يركن إليها، وكيف يعمر الدنيا من غير أن يستوطنها.

هذه النقطة من أساسيّات منهج التربيّة الإسلاميّة.

ولأمير المؤمنين عليه السلام كلمة في هذا المجال دقيقة ومعبّرة، ومن رقائق الثقافة الإسلاميّة، تحدثت عنها في كتاب (الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام)، أنقل إليكم شطراً منه.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**كان لي فيما مضى أخ في الله، وكان يعظّمه في عيني صغر الدنيا في عينه**»[١]، فهناك إذن من الناس من يستصغر الدنيا، ومن الناس من يستعظمها، وهاتان رؤيتان إلى الدنيا.

يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في وصف الدنيا: «**ما أصف من دار أوّلها عناء، وآخرها فناء، في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، من استغنى فيها فُتن، ومن أفتقر فيها حزن**»[٢]، وهذا هو الوجه الباطن للحياة الدنيا، والرؤيّة الواعيّة النافذة إلى الدنيا.

ثمّ يقول عليه السلام: «**من ساعاها فاتته، ومن قعد عنها واتته**»[٣]، وهذه سُنّة من سنن الله تعالى في علاقة الإنسان بالدنيا، لا تختلّ، ولا تتغيّر، فمن يركض وراء الدنيا و(يساعيها) ويجاريها تُتْعبُه، فلا يكاد يحقّق طموحه فيها، وكلّما يكسب فيها من رزق يطمح فيها إلى أبعد من ذلك، ويسعى إليه، فهو يجاري الدنيا ويركض خلفها، دون أن يصل إلى غايته منها، ومن يتجمّل في طلبها، فإنّ الدنيا تؤاتيه وتطاوعه، وينال حاجته منها.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٨٩.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٨٢.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٨٢.

ثمّ يقولعليه السلام وهو موضع الشاهد في هذا النصّ: «**من أبصر بها بصّرته، ومن أبصر إليها أعمته**»[1].

يقول الشريف الرضيّ في تفسير هذا الكلام: «والمتأمّل فيه يجد تحته من المعنى العجيب، والغوص البعيد ما لا يُبلغ غايتهُ، ولا يدرك غوره»، وهذا الذي يذكره الإمام عليّ بن أبي طالبعليه السلام نحوان من الرؤية: أحدهما (إبصار بالدنيا) وهي نظرة الاعتبار، والثاني (إبصار إلى الدنيا)، وهي نظرة الاغترار والافتتان، ولابدّ لذلك من إيضاح:

إنّ الدنيا قد تكون مرآة ينظر بها الإنسان، وقد تكون غايّة ينظر إليها الإنسان وهما نحوان من الرؤية.

فإذا كانت الدنيا مرآة ينظر بها الإنسان إلى الحضارات البائدة، وإلى الذين طغوا واستكبروا على وجه الأرض، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر... فإنّ هذه النظرة تكون نظرة (اعتبار) و(اتعاظ).

وأمّا عندما تكون الدنيا غايّة ينظر إليها الإنسان وينشد إليها، فإنّ الدنيا تستهويه، وتفتنه، وتعميه، ويراها حلوة، خضرة.

والنظرة الأولى مادّة للاعتبار، والثانيّة مادّة للافتتان والاغترار، وفي الأولى وعي وبصيرة، وفي الثانيّة تلبيس وغرور.

ولابن أبي الحديد في شرح هذه الكلمات بيتان في توضيحها، يقول: ونظرت إلى قولهعليه السلام: «من أبصر بها بصّرته، ومن أبصر إليها أعمته» فقلت:

دنياك مثل الشمس تدني الـ

يك الضوء لكن دعوةَ المُهْلكِ

إن أنت أبصرت إلى نورها

تَعْشُ وإن تُبصر به تـــدركِ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٨٩، ١: ١٠٦ ط ، صبحي الصالح.

وفي تعميق هذه الرؤيَة وتأكيدها يقول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: **«... جعل لكم أسماعاً لتعي ما عناها، وأبصاراً لتجلو عن عشاها... وخلَف لكم عبراً من آثار الماضين قبلكم،... أرهقتْهم المنايا دون الآمال،... لم يمهَدوا في سلامة الأبدان، ولم يعتبروا في آنف الأوان،... فهل دفعت الأقارب؟ أو نفعت النواحب؟ وقد غُودِر في محلّة الأموات رهيناً وفي ضيق المضجع وحيداً، قد هتكت الهوامّ جلدته... وعفَت العواصف آثارَه، ومحا الحدثان معالمه،... أوَلستم أبناءَ القوم والآباء، وإخوانهم والأقرباء؟ تحتذون أمثلَتهم، وتركبون قَدَّتهم، وتطؤون جادَّتهم، فالقلوب قاسيَة عن حظّها، لاهيَة عن رشدها، سالكة في غير مضمارها، كأن المعنيّ سواها! وكأنّ الرشد في احراز دنياها!!»**[1].

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً في نفس السياق: **«وإنّما الدنيا منتهى بصر الأعمى، لا يبصر مما وراءها شيئاً، والبصير ينفذها بصره، ويعلم أنّ الدار وراءها، فالبصير منها شاخص، والأعمى إليها شاخص، والبصير منها متزود، والأعمى لها متزوّد»**[2].

إنّ الأعمى هو الذي لا يخترق بصره الدنيا، فيقف عندها، ويتعلّق بها، فالدنيا «منتهى بصر الأعمى»، وأمّا البصير فهو الذي يخترق بصره الدنيا، ويرى عاقبتها، ويرى الدار الآخرة، فلا يتوقّف عندها، ويعتبر بها، ويرحل عنها.

ولابن أبي الحديد شارح (نهج البلاغة) شرح جيّد لهذه الفقرة غير ما ذكرنا، يقول: «شبه الدنيا وما بعدها بما يتصوّره الأعمى من الظلمة التي يتخيّلها، وكأنّها محسوسة له، وليست بمحسوسة على الحقيقة، وإنّما هي عدم الضوء، كمن يطّلع

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٨٣

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٣٣.

في جُبٍّ ضيّق فيتخيّل ظلاماً فإنه لم ير شيئاً، ولكن لما عدم الضوء، فلم ينفذ البصر تخيّل أنه يرى الظلمة، فأما من يرى المبصرات في الضياء، فإن بصره ينفذ فيشاهد المحسوسات يقيناً، وهذه حالة الدنيا والآخرة: أهل الدنيا منتهى بصرهم دنياهم، ويظنّون أنّهم يبصرون شيئاً وليسوا بمبصرين على الحقيقة، ولا حواسّهم نافذة في شيء، وأهل الآخرة قد نفذت أبصارهم فرأوا الآخرة ولم يقف إحساسهم على الدنيا خاصّة، فأُولئك هم أصحاب البصائر على الحقيقة»[1]، وهذا معنىً شريف من معاني الطريقة والحقيقة.

## الطريقة الصحيحة للرؤية:

إنّ للرؤيّة كأيّ فعل آخر من أفعال الإنسان أساليب ومناهج، منها الصحيح ومنها الخطأ، والقرآن يوضح لنا، فيما يوضّح من مناهج السلوك والعمل، المنهج الصحيح للرؤية، يقول تعالى: ﴿**وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى مَا مَتَّعْنَا به أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾[2]، و(تمديد النظر) طريقة من النظر والرؤية، وهي أن يمد الإنسان نظره إلى ما رزق الله تعالى الناس من رزق، وفي هذا (المد) معنى (التجاوز) وكأنّما الإنسان يتجاوز بنظره عمّا رزقه الله تعالى من رزق إلى ما رزق الآخرين من عباده من زهرة الحياة الدنيا.. وهذه رؤيّة مذمومة.

وهذا (التمديد) في النظر مصدر عذاب الإنسان ومعاناته... فهو يتمنّى ما لم يرزقه الله، ويسعى نحوه، فإذا رزقه الله تعالى تمنّى غير ذلك مما لم يرزقه الله تعالى، ورزق الآخرين من عباده... ويستمرّ الإنسان في ملاحقة الدنيا ومساعاتها كما

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ٢٧٦.

(٢) طه: ١٣١.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام[1]، والركض وراءها، فيطول عذابه فيها، ولا ينال منها غايته.

إنّ هذه الطريقة من النظر إلى الدنيا تورث الإنسان الحسرة والتلهّف على ما في أيدي الناس، على العكس تماماً مما لو نظر الإنسان (بالدنيا) وليس (إليها) واتخذ الدنيا مرآة، ينظر بها إلى افتتان الناس بها، واستغراقهم فيها، وهلاكهم، وسقوطهم بسببها، فإنّه لا يغترّ بالدنيا، ويتجمّل في طلبها، ولا يفتنه ما رزق الله أزواجاً منها فيها من زهرة الحياة الدنيا، ليفتنهم به، فيتعفف عمّا في أيدي الناس ويترفّع عنه.

وغني عن البيان أن نظرة الاستغناء والتعفّف والترفّع عمّا في أيدي الناس، وعدم الانشداد به لا يعني القعود عن السعي والعمل والتحرّك في ساحة الحياة، فإنّ الإنسان المسلم يسعى ويتحرّك، ولكن ليس من منطلق التلهّف على ما في أيدي الناس، وإنّما ليكسب الرزق من عند الله.

إذن لطريقة النظر إلى الأشياء دور كبير في سلامة النفس وتلوّثها، فقد تلوّث النظرة روح الإنسان، وتخلق له عذاباً ومعاناة طويلة (**رُبَّ نظرة تورث حسرة**)[2]، وقد تكون النظرة أساساً ومنطلقاً لاستقامة الإنسان وتقويم سلوكه.

إنّ الإسلام لا يمنع من النظر، ولكن يعلّمنا كيف ننظر إلى الأشياء.

ثمّ يقول عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام:

**«إنّ الأمور الواردة عليكم في كلّ يوم وليلة من مظلمات الفتن، وحوادث البدع، وسنن الجور، وبوائق الزمان، وهيبة السلطان، لتثبط القلوب وتذهلها عن الهدى، ومعرفة أهل الحقّ، إلا قليلاً ممن عصم الله».**

---

(١) يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «من ساعاها فاتته، ومن قعد عنها واتّته» نهج البلاغة: خطبة ٨٢.

(٢) وسائل الشيعة ١٤: ١٣٨، فروع الكافي ٥: ٥٥٩ وميزان الحكمة مجلّد ١٠.

## الفتن التي تسلب بصائر الناس في كلمات زين العابدين عليه السلام:

هذه النقاط التي يذكرها الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام مفردات فتنة واسعة شاملة: مثل شيوع البدع في الدين، وانتشار الظلم والجور، والعدوان، وبوائق (شرور) الزمان، وهيبة السلطان الكاذبة الجائرة.

هذه مفردات من الفتنة التي تلمّ بالناس، فتسلبهم بصائرهم ووعيهم، وتطبع على قلوبهم، فلا ينفذ إليها نور ولا هدى.

وقد وقع مثل هذه الفتنة صدر الإسلام وأخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وآله أمّته عنها من بعد وفاته.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل»**[(١)].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله **«ويل للعرب من شرّ قد اقترب، فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً، يبيع قوم دينهم بعرض من الدنيا قليل»**[(٢)].

وروى البخاري في كتاب الفتن من الجامع الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله **«أنا فرطكم على الحوض. لَيرفعنّ إليّ رجال منكم حتى إذا هويت لأُناولهم اختلجوا دوني (أي أُنتُزعُوا منّي وأبعدوا عنّي) فاقول: أي ربّ أصحابي. فيقول: لا تدري ما أحدثوا بَعْدَكَ»**[(٣)].

---

(١) مسند أحمد: ٢٠٤/٢ دار صادر بيروت.

(٢) مسند أحمد: ٢٠٩/٢ وراجع في نفس المصدر: ٢٩١/٢ و٥٢٣/٢ و٤٥٣/٣ و٤٨٩/٣ و٢٧٢/٤ و٤٠٨/٤ و٤١٦/٤ و٢٩١/٥ و٨١/٦ وغير ذلك من المصادر.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الفتن باب(١) ح ٧٠٤٩ وبنفس السياق والمعنى صحيح البخاري: كتاب الفتن باب (١) ح ٧٠٥٠ ونفس المصدر: ح ٤٧٤٠ وح تسلسل ٣٣٤٩ و٣٤٤٧ و٤٦٢٥ و٤٦٢٦ و٦٥٢٥ وصحيح مسلم: ١٥٧/٨ دار الفكر و٢١٧/١ و١٧٩٦/٤ و١٨٠٠/٤ وغيرها من المصادر.

وعن فتنة بني أميّة يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **«ألا وإنّ بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيّه صلى الله عليه وآله، والذي بعثه بالحقّ لتبلبلن بلبلة، ولتغربلن غربلة، حتى يعود اسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم»**[1].

ويقول عليه السلام في نفس السياق عن الفتن الاجتماعيّة والسياسيّة: **«والله لتمحّصن، والله لتغربلن، حتى لا يبقى منكم إلا نزر»**[2].

وإذا هبّت رياح الفتنة على قومٍ أعمتهم وأصمتهم وسلبتهم وعيهم وبصائرهم.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام عنها: **«إنّ الفتن إذا أقبلت شَبَّهَتْ وإذا أدبرت نَبَّهَت يُنَكْرنَ مقبلات ويُعْرَفْنَ مدْبرات، يحمن حول الرياح، يصبن بلداً، ويخطئن بلداً»**[3].

إنّ الفتن اذا أقبلت يسلبن الناس بصائرهم، فيلتبس عليهم الحقّ والباطل، ويشتبه الحقّ بالباطل والباطل بالحق، فلا يميزون بينهما (إذا أقبلت شبهت)، وإذا انحسرت الفتنة عن بلد رجع إلى الناس رشدهم ووعيهم (إذا أدبرت نبهت، ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات).

ويقول عليه السلام عن فتنة بني أميّة: **«إنّها فتنة عمياء صمّاء مطبقة مظلمة، عمّت فتنتها، وخصّت بليّتها، أصاب البلاء مَن أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها، أهل باطلها ظاهرون على أهل حقّها، يملأون الأرض بدعاً وظلماً وجوراً»**[4].

---

(١) بحار الأنوار: ٢٧٨/٥ ونهج البلاغة: الخطبة ١٦.

(٢) بحار الأنوار: ٢١٦/٥.

(٣) نهج البلاغة: ١٨٣/١ من خطبة له يذكر فيها ما كان من تغلّبه على الخوارج وما يصيب الناس من بني أميّة وهي الخطبة ٩٣.

(٤) كتاب سليم بن قيس تحقيق محمّد باقر الأنصاري ص ٢٥٧ وباختلاف يسير نهج البلاغة الموضع المتقدّم خط٩٣.

وهو كلام عجيب يستوقف الإنسان.

هي فتنة عمياء صمّاء مطبقة مظلمة، تسلب الناس بصائرهم (عمياء)، وتسلب الناس أسماعهم (صمّاء)، ومطبقة مظلمة، لا ينفذ إليها النور والهدى، كانما السماء أطبقت على الأرض.

تعم الفتنة فيها الجميع: أصحاب البصائر، والعُمْي الصمّ كلّهم، فيكون الابتلاء والمعاناة والعذاب والقتل والمطاردة فيها من حظ اصحاب الأبصار (أصاب البلاء من أبصر فيها)، وهو ضريبة البصيرة والوعي.

وأمّا العُمْي الصُمُّ البُكم فحظّهم فيها العافيّة في الدنيا، وإن كانت تُخْطِأهم أحياناً.

وفي هذه الفتن يظهر أهل الباطل (العمي، الصمّ، البكم) على أهل أصحاب الحقّ (أهل البصائر)... هذا هو التصوّر العلوي لفتنة بني أميّة.

## كيف تتكوّن الفتنة:

إنّ الفتن تهبُّ كالأعصار تصيب بلداً وتنحرف عن أخرى، وقد قرأنا لأمير المؤمنين عليه السلام قبل قليل: (إنّ الفتن كالرياح (يصبن بلداً ويخطئن أخرى)[1]، فإذا أصابت بلداً سلبتهم بصائرهم ووعيهم، وعمّتهم الفتنة جميعاً أصحاب البصائر منهم والعُمْي الصُمُّ البكمُ...

ولماذا تصيب بلداً وتخطئ أخرى؟

لأنّ رياح الفتنة تطلب البلاد التي يعصي الناس فيها الله تعالى.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام **«أيّها الناس! إنّما بدأ وقوع الفتن أهواء تُتَّبِع، وأحكام تُبْتَدَع، يخالَف فيها حكم الله، يتولّى فيها رجال رجالاً»**[2].

---

(١) الغارات للثقفي: ١٠/١٠.

(٢) نهج البلاغة الخطبة رقم ٥.

إنّ الذنوب والمعاصي والمنكرات إذا انتشرت في بلد وشاعت وعمّتهم تنزل عليهم الفتنة لا محالة فيفتنون.

وفي هذه الفتن يظهر أهل الباطل على أهل الحقّ، ويكون فيها البلاء خاصّاً بأصحاب البصائر، ويتمتّع فيها اصحاب الباطل بالعافيّة في دنياهم.

وهذه هي الفتنة التي يحدّثنا عنها عليّ بن الحسين عليه السلام بعد مصرع الحسين عليه السلام في هذا الخطاب، وهي التي كان يخافُ منها أمير المؤمنين عليه السلام، ويحذّر الناس منها... يقول عليه السلام:

**«ألا إنّ أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية، فإنّها فتنة عمياء مظلمة عمّت خطّتها[1] وخصّت بليّتها[2] وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها[3] وأيم الله لتجدن بني أميّة لكم أرباب سوءٍ بعدي، كالناب الضروس[4] تعذم بفيها[5] وتخبط بيدها، وترين برجلها[6] وتمنع درّها[7] لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعاً لهم أو غير ضائر بهم، ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا كانتصار العبد من ربّه[8]**

(١) خطتها: أي امرها، بمعنى أنّ أمر هذه الفتنة تعمّ الجميع، لأنّ بني أميّة حكموا العالم الإسلاميّ عامة ألف شهر.

(٢) يعني البلاء والمعاناة والعذاب والمضايقة والمطاردة فيها خصّت أصحاب البصائر، فهي ضريبة الوعي والبصيرة في ظروف الفتنة.

(٣) أما من عمى عن الفتنة فإنّ حظّهم فيها العافية، فهم يسكتون عنها ويسلمون فيها.

(٤) الناب: الناقة المسنّة، والضروس: السيّئة الخلق.

(٥) تعذم بفيها: من عذم الفرس: إذا أكل بجفاء أو عضّ.

(٦) وترين برجلها: أي تضرب برجلها.

(٧) وتمنع دَرّها: أي تمنع لبنها: أي خيرها.

(٨) أي انتصار العبد من مولاه... وما هو قادر على ذلك، فإنه عبده ولا بد له من طاعته.

**والصاحب من مستصحبه [(١)] ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية [(٢)] وقطَعاً جاهلية، ليس فيها منار هدى، ولا علم يرى».**

والإمام زين العابدين عليه السلام يتحدّث عن هذه الفتنة بالذات، فقد عاش كلّ معاناتها ومرارتها وضراوتها.

## كيف يسلم الناس من الفتنة:

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في كلامه السابق:

**«فليس يَعرف تَصرّم أيّامها، وتقلّب حالاتها، وعاقبة ضرر فتنتها إلا من عصم الله، ونهج سبيل الرشد، وسلك طريق القصد، ثمّ استعان على ذلك بالزهد، فكرر الفكر، واتّعظ بالصبر، فازدجر، وزهد في عاجل بهجة الدنيا، وتجافى عن لذّاتها، ورغب في دائم نعيم الآخرة، وسعى لها سعيها، وراقب الموت، وشنأ الحياة مع القوم الظالمين».**

وهذه النقاط التي يذكرها الإمام زين العابدين عليه السلام هي سفن النجاة في مضلات الفتن التي يفقد فيها الناس بصائرهم وأسماعهم ووعيهم.

إنّ الذين يسلمون في هذه الفتن هم الذين يعصمهم الله من مضلات الفتن، وأولئك هم الذين نهجوا سبيل الرشد، وسلكوا طريق القصد... فلم يتخبّطوا في سيرهم وحركتهم، ولم ينحرفوا عن الصراط المستقيم الذي رسمه الله تعالى لهم.

واتقوا الله تعالى في مضلات الفتن، فإن العبد إذا اتّقى الله تعالى عصمه الله في مضلات الفتن وحفظه من العمى والصمم الّذين يُصيبان سائر الناس.

---

(١) أي التابع من متبوعه، ومتى يستطيع التابع الذليل ان ينتصر على متبوعه وقائده؟

(٢) شوهاء: قبيحة، ومخشية: مخيفة ومرعبة.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **«اعلموا انه من يتّق الله يجعل له مخرجا من الفتن ونوراً من الظلَم»** [١].

والتقوى سفينة النجاة، يشقّ بها الإنسان أمواج الفتن.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

**«يا أيّها الناس! شقّوا أمواج الفتن بسفن النجاة»** [٢].

وكما ان الفتن تأتي بأهواء تُتَّبع، وأحكام تُبتدع كذلك في المقابل يسلم الإنسان من أمواج الفتن بالتقوى.

ومن سفن النجاة في الفتن: القرآن

عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: **«إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنّه شافع مشفّع، وما حل مصدّق. من جعله أمامه قاده إلى الجنّة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار»** [٣].

وهذان هما سبيلا الرشد وطريقا القصد في الفتن (القرآن والتقوى).

ثمّ يعلّمهم زين العابدين عليه السلام بعد ذلك، أن يستعينوا على الفتن بالزهد، فإنّ الزهد يحفظ الإنسان من الانغماس في الدنيا والافتتان بها، الذي هو رأس مصائب الإنسان ومن أعظم مصادر الفتن.

ثمّ يأمرهم بالتفكير والتأمل والتدبّر (فكرّر الفكر).

وقد جعل الله تعالى سلامة الإنسان في التفكير والتأمّل والتدبّر، وإنّما رزق الله تعالى الإنسان العقل والفكر وأمكنه من التفكير والتدبير ليعصم نفسه من مضلات الفتن ويحفظ نفسه من السقوط فيها.

ويواصل الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام في هذا السياق مكانه عن معاقل النجاة عندما تهبّ على الناس رياح الفتنة.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٨٣

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢.

(٣) الكافي: ٥٩٩/٢.

## الاعتبار بالتاريخ:

ثمّ يقول عليّ بن الحسين عليه السلام:

**«انظر إلى ما في الدنيا بعين نيرة، حديدة البصر (النظر)، وأبصر حوادث الفتن وضلال البدع وجور الملوك الظلمة، فلقد لعمري استدبرتم الأمور الماضيّة في الأيّام الخاليّة من الفتن المتراكمة والانهماك فيها ما تستدلّون به على تجنب الغواة وأهل البدع والبغي والفساد في الأرض بغير الحقّ».**

اقرأوا الحاضر من خلال الماضي... إنّ الماضي مليئ بالعبر... فاعتبروا لحاضركم من الأيّام الخالية... إنّ أصحاب البصائر يقرأون حاضرهم في الماضي، ومن خلال كتب التاريخ، ويجدون في تاريخ الأمم السابقة وتاريخ هذه الأمّة، وما وقع فيه من جور الملوك وطغيانهم، ثمّ هلاكهم وسقوطهم، دليلاً على حاضرهم.

وفي القرآن تاكيد بليغ على رؤيّة الحاضر والمستقبل من خلال الماضي، وإنّ قراءة الماضي ليس للتسلية، ولا للتكاثر والتفاخر، وإنّما للاعتبار .

يقول تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ [يوسف: ١١١].

## نقاط ثلاث في كلام الإمام عليه السلام:

وفي كلام الإمام عليه السلام نقاط ثلاث:

**النقطة الأولى**: أن ننظر إلى الدنيا بعين ثاقبة، نافذة البصيرة، لا يحجبها سطح الأحداث عن النفوذ إلى أعماقها والوصول إلى دلالاتها... فإنّ في أنظار الناس أنظاراً بليدة تقف عند سطح الحوادث، ولا تنفذ إلى أعماقها ودلالاتها، وتنبهر ببريق الفتن والإعلام.

ومن الأنظار أنظار ثاقبة نافذة لا تنبهر ببريق السلطان والمال والموقع، وتنفذ إلى الأسباب والنتائج (البدايات والعواقب).

وهذه النظرة الثاقبة النافذة المستعليّة على فتن الدنيا هي التي يعلّمنا القرآن إيّاه تجاه التاريخ.

يقول تعالى: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى مَا مَتَّعْنَا به أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاة الدُّنَيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١].

يقول الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام في هذا المعنى «**فانظر إلى ما في الدنيا بعين نيّرة حديدة البصر**».

وفي **النقطة الثانية**: يعلّمنا الإمام أن ننظر إلى التاريخ بهذه النظرة الثاقبة النافذة.

**(وأبصر حوادث الفتن وضلال البدع وجور الملوك الظلمة).**

واحذروا أن يحجبكم الحاضر عن الماضي، فلربّ حدث وفتنة في الحاضر لا تستطيع أن تقرأها وتفهمها وتعالجها وتفهمها، إلا من خلال الماضي... إنّ قراءة الماضي قراءة واعيّة جزء من مكونات الثقافة الإسلاميّة.

وليس بوسع الإنسان أن يكسب وعي سنن الله في المجتمع إلا من خلال التاريخ... ومن يقرأ التاريخ وينظر فيه بنظرة ثاقبة واعيه، فكأنّما عاش التاريخ كلّه وتزوّد بتجاربه وخبراته.

وهذه المعايشه الواعيّة للتاريخ، والنظرة الواعيّة إلى حوادث التاريخ يأمر بها القرآن الكريم.

يقول تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأرض فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأرض فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل:٦٩].

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّة لابنه الحسن عليه السلام أنّه قد سبر التاريخ، ونظر في أعمال الناس من قبله، حتى كأنّه عاش معهم واكتسب في هذه المعايشة والنظرة الواعيّة تجربة القرون الخالية.

يقول عليه السلام:

**«أي بُني! إنّي وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم، حتى عدت كأحدهم، بل كأنّي بما انتهى إليّ من أمورهم قد عمرت مع أوّلهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كلّ أمر نخيله، وتوخّيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله»** [١].

وعن هذه النظرة الواعيّة إلى التاريخ يقول الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام: (أبصر حوادث الفتن وضلال البدع وجور الملوك والظلمة).

**والنقطة الثالثة**: أن يتّخذ الإنسان عبر الماضي دروساً للحاضر، ويرسم حاضره وتعامله مع الدنيا وفتنها من خلال عبر الماضي.

إنّ عبر الماضي، إذا وعاها الإنسان يمكن أن تتحوّل إلى ثقافة يتعاطاها الإنسان في التعامل مع الحياة الدنيا وفتنها.

ولنستمع إلى زين العابدين عليه السلام حيث يقول:

**«فلقد لعمري استدبرتم من الأمور الماضيّة في الأيّام الخاليّة من الفتن المتراكمة، والانهماك فيها، ما تستدلّون به على تجنّب الغواة وأهل البدع والبغي والفساد في الأرض بغير الحقّ».**

---

(١) تحف العقول: ٧١، بحار الأنوار: ٢١٩/٧٤، نهج البلاغة من وصيّته لولده الحسن عليه السلام: ٤١/٢ تحقيق الشيخ محمّد عبده.

# المكاشفة والخطاب الذاتيّ

# في تراث الإمام زين العابدين عليه السلام

في تراث الإمام زين العابدين عليه السلام الوعظي نلتقي لوناً جديداً من خطاب النفس، والمكاشفة الذاتية، نسمّيه بـ(الخطاب الذاتي) أعني خطاب الإنسان لنفسه، مقابل خطابه لغيره.

وللإنسان خطابان: خطاب يخاطب به الغير وخطاب يخاطب به نفسه، وهذا نوع جديد من أدب الخطاب والموعظة نجده على الأقلّ في ثلاث نماذج من كلامه عليه السلام.

وهو خطاب جديد على أدب الخطاب والموعظة.

وخطاب الإنسان لنفسه أو (الخطاب الذاتي) شكل من أشكال العلاقة بالنفس، أو (العلاقة الذاتية)، مقابل العلاقة بالله تعالى، والعلاقة بالآخرين، والعلاقة بالأشياء والأفكار، وهي بعد العلاقة بالله تعالى أهمّ العلاقات وأخطرها في حياة الإنسان.

والقرآن فيما نعلم أوّل كتاب فتح على العقل الإنساني هذا الباب الواسع من الثقافة النفسية، ولا أعرف قبل القرآن ثقافة تناولت هذه العلاقة بشكل واضح ومنظّم ومنهجيّ.

وقد تحدّثت عن هذه العلاقة من خلال القرآن الكريم في كتاب (في رحاب القرآن الجزء الرابع، ص ١٩١) تحت عنوان (العلاقة الذاتية)، قلت فيه:

## العلاقة الذاتيّة في القرآن:

(والعلاقة بالنفس هي واحدة من هذه العلاقات الأربع، وهي أهمّها بعد العلاقة بالله تعالى، وأكثرها تعقيداً، وظرافة، ورقّة، وهي كذلك قد تتصف بالإيجاب، وقد تتصف بالسلب.

فقد يجهل الإنسان نفسه، وقيمته فيكون كما قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّماوَات وَالأرض وَالْجِبَال فَأَبَيْنَ أن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسان إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾ [الأحزاب: ٧٢].

يعني جاهلاً بنفسه وقيمتها ظالماً لها.

وقد يكون الإنسان من الذين أراهم الله تعالى أنفسهم، وفقههم بقيمتها، وعرّفهم بآياته فيها. يقول تعالى:

﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾ [فصّلت: ٥٣].

فيعرف الإنسان قيمة نفسه ويحترمها.

وقد يحتقر الإنسان نفسه، وما آتاه الله تعالى في نفسه من المواهب.

وقد يفرّ الإنسان من نفسه، ويتهرّب منها إلى ألوان من اللهو الذي يشغله عن نفسه، أو إلى المخدّرات والانتحار.

وقد يعرف الإنسان كيف يواجه نفسه على أرض الواقع بجدّية وواقعيّة.

وقد يكون الإنسان منسجماً مع نفسه.

وقد يكون في علاقته بنفسه قلقاً مرتبكاً.

وقد يكون محبّاً لنفسه.

وقد يكون عدواً لها.

وقد يكون ذاكراً لنفسه، وقد يكون ناسياً لها.

وقد يكون قابضاً على نفسه متمكّناً منها.

وقد تغلبه نفسه وتتمكّن منه.

وقد ينطوي على نفسه.

وقد تكون نفسه منفتحة.

وقد يهلكها وقد يحييها. يقول تعالى: ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٦].

وقد يصدق مع نفسه، وقد يغرّها ويمنّيها، ويخادعها، ويغشّها، يقول تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٤].

وقد يعترف لنفسه بالخطأ وينقد نفسه، وقد يغالطها ويبرّر اخطاءها وأهواءها.

وقد يطلق لنفسه العنان في شهواتها، وقد يمسكها بقوّة عند حدود الله. ويضبط تصرّفاتها.

وقد يترك نفسه لهواها فيما تطلب من الراحة والاستغراق في الأهواء والشهوات، وقد يتعبها ويجهدها في ابتغاء كمالها ونموّها.

وقد يسمو بنفسه، وقد يسفّ بها.

وقد يكون غريباً عن نفسه، وقد يأنس بنفسه، ويحلو له أن يخلو بها في التأمّل.

وقد تكون علاقته بنفسه علاقة صداميّة، وقد يكون منسجماً مع نفسه متآلفاً معها إلى أمثال ذلك من ألوان العلاقة السلبيّة والإيجابيّة في علاقة الإنسان بنفسه.

والعلاقة بالنفس رقيقة تخفى على الإنسان غالباً، فلذلك لا يشعر الإنسان بفداحة الخسارة التي يتحمّلها عند ما تكون هذه العلاقة سلبيّة.

فقد يخسر الإنسان في تجارته مالاً قليلاً أو كثيراً فيشعر بها، ويشعر بفداحة هذه الخسارة، ويحاول أن يستعيد المال الذي خسره، ويعوّضه، ولكن قد يخسر

الإنسان نفسه، وهي من أعظم أنواع الخسران فلا يحسّ بتلك الخسارة، ويتحوّل من خسارة إلى خسارة أخرى، حتى يخسر نفسه كلّها... فلا يعبأ بها.

يقول تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإنسان لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ١ ـ ٢].

ويقول تعالى: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٢٠].

وقد يظلم الإنسان غيره فيحسُّ بذلك وتؤنّبه نفسه، ويحاول أن يجبر ظلمه للآخرين بالعدل والإحسان إليهم، ولكن قد يظلم نفسه، ويعتدي عليها فلا يشعر بهذا الظلم.

يقول تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [ آل عمران: ١١٧].

وقد يهلك الإنسان نفساً زكيّة فيشعر بعِظَمِ الإثم، ولكن قد يهلك الإنسان نفسه فلا يشعر بمثل هذا الإثم.

ويقول تعالى: ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إلا أَنفُسَهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٦]، والضرر الذي يلحق الإنسان إذا كانت علاقته بنفسه سلبيّة لا يشبهه ضرر آخر إلا الضرر الّذي يلحق به إذا كانت علاقته بالله تعالى سلبية.

وعلاقة الإنسان بنفسه تدرس اليوم ضمن الدراسات النفسيّة والتحليل النفسيّ باهتمام، ولكن في إطار محدود، ولن نجد قبل القرآن اهتماماً أو انتباهاً إلى هذه العلاقة وأهميّتها، وقيمتها في حياة الإنسان، والى وقت قريب جداً لم تكن الدراسات النفسيّة والإنسانيّة قد فتحت ملفّ هذه العلاقة بعد، والقرآن بحقّ الفاتح الأوّل لهذا الأفق الواسع من العلاقات الإنسانيّة)[١].

---

(١) في رحاب القرآن: ٤/١٩٤-١٩٦، ط سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

## السجال الذاتيّ والشرود عن الذات:

في مقابل الخطاب الذاتيّ، والتفاهم والانسجام مع الذات هناك حالتان متعبتان للإنسان:

حالة السجال الذاتيّ، وهي حالة الإنسان عندما يدخل في خلاف وشجار لذاته، ولا يتمكّن من أن يدخل في مصالحة ووئام مع نفسه، وهي حالة يشقى بها كثير من الناس، وتتعب صاحبها وتسلبه الراحة النفسيّة التي هي من أعظم نعم الله على الإنسان.

وقد يملك الفقير العديم هذه الموهبة الإلهيّة (الراحة النفسيّة) ولا يملكها ذو السلطان والمال والقوة... وليس المال والسلطان والقوّة هي التي تسلب الإنسان الراحة والسعادة النفسية، ولكن منهج توظيف المال والقوة والسلطان هو الذي يسلب الإنسان راحته النفسيّة وسعادته[1].

والحالة الأخرى التي ترهق الإنسان هي: الشرود النفسي، وهو المرض النفسي الشائع في عصرنا يؤدّي بالإنسان إلى الشرود عن نفسه وتغييبه عنها.

وهو من نتائج الحضارة الماديّة المعاصرة التي تحجب الإنسان عن نفسه، وتغيبه عنها.

## الغربة عن الذات:

وهو شرّ أنواع (الغربة)... فمن الغربة أن يغترب الإنسان عن أهله وزملائه وأصدقائه ومجتمعه فيعيش بين الناس، وكأنّه غريب لا يعرف أحداً ولا يعرفه

---

(١) وليس معنى الإنسجام الذاتي والوئام مع النفس ألا يحاسب الإنسان نفسه ولا يعاتبها. فإنّ حالة الحساب والعتاب للنفس، أمارة الصحة النفسيّة والعافية، والحالة المتعبة هي حالة السجال والشجار داخل النفس، وهي تختلف عن حالة الحساب والعتاب.

أحد، ولا يأنس بأحد ولا يستأنس به أحد، كما لو كان الإنسان مسافراً، بعيداً عن أهله ومجتمعه وأصدقائه في بلد غريب، يعيش في الفنادق وليس في بيته...

ولكن، شرّ أنواع الغربة هو أن يعيش الإنسان غريباً عن أقرب النفوس إليه، وهو نفسه التي بين جنبيه، ويحجبه عنها حجاب غليظ.

وهي كذلك من نتائج الحضارة الماديّة المعاصرة، فهي تطمر فطرة الإنسان وضميره وعواطفه، بل وعقله أحياناً، وتوجه الإنسان إلى أن يتنكّر لها... ثمّ يتحوّل هذا التنكّر إلى حجاب بينه وبين نفسه.

وهو نوع من العقوبة الإلهيّة للحضارات الماديّة التي تتنكّر للمواهب الروحيّة والنفسيّة التي أودعها الله تعالى في نفس الإنسان، فيعاقبهم الله بذلك وينسيهم أنفسهم...

وتأتي هذه العقوبة الإلهيّة للإنسان من سنخ الجريمة.

يقول تعالى: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [الحشر: ١٩].

والعقوبة هنا من سنخ الجريمة وهذه هي حالة الشرود عن الذات.

ولقد كان الحسين ﷺ يقول للناس الذين وقفوا يوم عاشوراء لقتاله: **«ارجعوا إلى أنفسكم فعاتبوها»**.

ولابدّ للناس الذين تقتطع منهم الحضارة الماديّة أنفسهم وضمائرهم وفطرتهم وقلوبهم من ملجأ يلوذون به لينسيهم أنفسهم، وقد وفّرت الحضارة الماديّة المعاصرة للإنسان المعاصر الذي يعيش هذه الحضارة، هذا الملجأ الذي يشرد إليه الناس من أنفسهم في المخدّرات والسكر والطرب واللهو للفرار عن أنفسهم، وإنّما يسمّيها الإسلام لهواً لأنّها تلهي الإنسان وتشغله عن نفسه.

## الدعوة إلى العودة إلى النفس:

وفي ثقافة الإسلام دعوة موكّدة ومكرّرة إلى العودة إلى الذات، وإزالة حجب الغربة بين الإنسان ونفسه، وتمكين الإنسان من معرفة نفسه ومكاشفتها ومحاسبتها.

ويحضّ القرآن الناس على أن يبصروا أنفسهم ويتدبّروها، ويبصروا فيها آيات الله العظيمة. يقول تعالى:

**﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾** [فصّلت: ٥٣].

ويقول تعالى: **﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾** [الذاريات: ٢٠-٢١].

## معرفة النفس:

ومعرفة النفس جُلُّ المعرفة أو كلّ المعرفة.

فمن يعرف نفسه كفاه ذلك عن كلّ معرفة، ومن جهل نفسه لم تسعفه معرفة.

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: **«كفى بالمرء معرفةً أن يعرف نفسه، وكفى بالمرء جهلاً أن يجهل نفسه»**.

وعنه عليه السلام أيضاً في نفس السياق:

**«من عرف نفسه كان لغيره أعرف، ومن جهل نفسه كان بغيره أجهل»**.

وفي نفس السياق عنه عليه السلام:

**«من عرف نفسه فقد انتهى إلى غاية كلّ معرفة وعلم»**.

وليس في حياة الإنسان خسارة أعظم من أن يخسر نفسه ويضيعها، وتضيع عنه، فلا يطالها، وليس في حياة الإنسان جهالة أعظم من أن يجهل الإنسان نفسه.

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

**«عجبت لمن ينشد ضالّته، وقد أضلّ نفسه فلا يطلبها».**

## أقصر السبل إلى معرفة الله:

ومعرفة النفس أقصر السبل إلى معرفة الله فمَن فقد هذا السبيل يطول طريقه إلى معرفة الله.

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: **«عجبت لمن يجهل نفسه، كيف يعرف ربّه».**

**وعنه عليه السلام أيضاً: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه».**

وعنه عليه السلام: **«من عرف نفسه، فقد إنتهى إلى غاية كلّ معرفة وعلم».**

وكما أنّ معرفة النفس هي السبيل المفضّل للإنسان إلى معرفة الله، كذلك هي السبيل إلى إصلاح نفسه وتهذيبها وتجريدها عمّا يفسدها ويعطلها.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«من عرف نفسه تجرَّد».**

أي تجرّد عن التعلّق بالدنيا وفتنها.

وعنه عليه السلام أيضاً: **«من عرف نفسه جاهدها، ومن جهل نفسه أهملها».**

**«ومن عرف نفسه جَلّ أمره»**، أي تسامى وترفع .

**«ومن لم يعرف نفسه بَعُدَ عن سبيل النجاة وخبط في الضلالات والجهالات».**

وعنه عليه السلام: **«نال الفوز الأكبر من ظفر بمعرفة النفس».**

وعنه عليه السلام أيضاً: **«العارف من عرف نفسه».**

وعنه عليه السلام: **«أكثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربّه».**

وهذه الكلمة مقتبسة من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨).

## محاسبة النفس:

والذي يرزقه الله الانفتاح على نفسه لا بدّ له من محاسبة نفسه.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا**»[1].

ولا بدّ للإنسان أن يُفرّغ من يومه وقتاً يتفرّغ فيه لمحاسبة نفسه، ولو كان الوقت يسيراً.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما أحق بالإنسان أن تكون له ساعة لا يشغله شاغل يحاسب فيها نفسه فينظر فيما اكتسب لها وعليها**».

«**وكان فيما وعظ الله به نبيّه عيسى بن مريم عليه السلام يا عيسى! لا تأمن إذا مكرت مكري، ولا تنس عند خلوات الدنيا ذكري. يا عيسى! حاسب نفسك بالرجوع إليَّ حتى تتنجز ثواب ما عمله العاملون**»[2].

وفي وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي ذر:

«**يا أبا ذرّ! حاسب نفسك قبل أن تحاسب، فإنّه أهون لحسابك غداً، وزن نفسك قبل أن توزن، وتجهّز للعرض الأكبر، يوم تعرض، لا تخفى على الله خافية**»[3].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) هذه الكلمة مرويّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام.

راجع المصادر التالية: مصباح الشريعة: ٣٥، أعلام الدين في صفات المؤمنين مجموعة ورّام: ٣٠٧/١، بحار الأنوار: ٣١٠/٤ و٧٣/٦٧ و٢٦٥/٦٨.

(٢) الكافي: ١٣٧/٨ ح١٠٣.

(٣) أمالي الشيخ الطوسي: ٥٣٤.

**«جاهد نفسك وحاسبها محاسبة الشريك شريكه، وطالبها بحقوق الله مطالبة الخصم خصمه، فإنّ أسعد الناس من انتدب لمحاسبة نفسه»**[1].

وبالمحاسبة يتمكّن الإنسان من إصلاح نفسه.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«ثمرة المحاسبة اصلاح النفس»**[2].

## خطاب المكاشفة الذاتيّة:

هذا الخطاب انفتاح على الذات، على طريقة المكاشفة، فإنّ الإنسان يدفع الخواطر والذكريات التي تؤذيه وتنغّصه إلى غيابات اللاشعور، ويغيبها عن منطقة الشعور حتى لا تسلبه راحته النفسية، فيكون مثل الإنسان في مثل هذه الحالة مثل طائر (القبج) يدسّ رأسه في الثلج حتى لا يرى الصيّاد. فيأتي إليه الصياد ويقبض عليه.

والمكاشفة الذاتيّة بعكس ذلك تماماً: يحضر للانسان هذه الخواطر والذكريات ليعالجها. وهذه العمليّة وإن كانت مرهقة للإنسان من الناحيّة النفسية، لكن هذا الإرهاق خير للإنسان من الراحة النفسيّة الكاذبة التي لا تنغّصها هذه الخواطر عندما يغيبها الإنسان في ظلمات اللاشعور.

لم يكن هذا الخطاب معروفاً في الأدبيّات الوعظية، وهو نوع من أنواع (النجوى) مع النفس، طرفاها نفس الإنسان، يوبخها ويعظها ويحذّرها ويعاتبها وينذرها.

---

(١) مستدرك الوسائل: ١٢/١٥٤-١٥٥.

(٢) الكلمات القصار التي رويناها عن أمير المؤمنين عليه السلام يروي الشطر الأكبر منها الآمدي في غرر الحكم والسيد الرضي في نهج البلاغة قسم الحكم.

وهذه المكاشفة لا تجري بين طرفين مختلفين، كما نفهم نحن من هذه الكلمة، وإنّما تجري داخل النفس بين الإنسان ونفسه، عندما يخلو الإنسان بنفسه.

## الخلوات النافعة

وهذه الخلوة (بالنفس) من الخلوات النافعة للإنسان، والإنسان بحاجة في حياته إلى خلوتين.

خلوة بالله تعالى، وخلوة بنفسه.

وفي هاتين الخلوتين يكاشف الإنسان ربّه سبحانه وتعالى ويكاشف نفسه بما لا يستطيع أن يكاشف به أحداً من الناس، ويتكتّم به عن كلّ الناس.

والإنسان بحاجة إلى هاتين المكاشفتين، فإنّ التكتّم على ما يجري داخل النفس يؤدّي إلى اختفاء ما يجري فيها مما يتكتّم بها داخل نفسه إلى دهاليز النفس العميقة، مما يؤدّي إلى تعقيدات وأمراض نفسيّة كثيرة داخل النفس...

فقد يرتكب الإنسان ذنباً وجريمة يؤنّبهما عليه ضميره، ولا يتمكّن أن يكاشف بذلك أحداً، وقد يحتاج إلى شيء لا يستطيع أن يفاتح أحداً به.

فتختفي هذه الحاجات والمنغّصات النفسيّة في دهاليز النفس العميقة المظلمة، وتتحوّل في النفس إلى تعقيدات وأمراض نفسية.

ولكن الإنسان لا يتكتّم بشيء مما يدور في نفسه من ذنوبه وآثامه وحاجاته وطلباته التي يتكتّم بها على الناس... لا يتكتّم بها على الله ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه:٧]، فلا يخفى على الله تعالى شيء مما يدور في نفسه ويختبئ في أعماق نفسه البعيدة.

ولعلَّ ذلك هو المقصود من كلمة (وأخفى) في هذه الآية الكريمة.

فإنَ (السرّ) ما يخفيه الإنسان عن الآخرين، و(الأخفى) من السرّ هو ما يدفعه الإنسان إلى الطبقات العميقة المعتمة من نفسه ويزويها ويدفعها عن منطقة الشعور إلى دهاليز اللاشعور، لئلا ينغّص بها، فهو إذن أخفى من (السرّ).

إذن بوسع الإنسان أن يكاشف الله تعالى بما يتكتّم به عن الآخرين من ذنوبه وقبيح أعماله التي يكتمها عن الناس.

كما أنَ العبد لا يجد ضيراً أن يكاشف ربّه في حاجاته التي يخجل أن يكاشف بها الناس.

رُويَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**اسألوا الله عزّ وجلّ ما بداخلكم من حوائجكم حتى شسع النعل فإنّه إن لم ييسّره لم يتيسّر**»[١].

وعنه صلى الله عليه وآله: «**ليسأل أحدكم ربّه حاجته كلّها، حتى يسأله شسع نعله، إذا إنقطع**»[٢].

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**لا تحقّروا صغيراً من حوائجكم، فإن أحبَ المؤمنين إلى الله تعالى أسألهم**»[٣].

كما فتح الله تعالى لعبده باب التوبة عن ذنوبه وسيّئاته التي تثقل ضميره، ويخجل أن يفاتح بها أحداً من الناس، فقد أذن الله تعالى للإنسان أن يفاتح بها الله عزّوجلّ ويستغفره عنها، فيغفرها له.

إذن فقد فتح الله تعالى على عبده بابين من الرحمة يستطيع العبد من خلالهما أن يكاشف ربّه عزّ شأنه مكاشفة كاملة، ولا يخفي عليه شيئاً مما يتكتّم به عن الناس، وهذان البابان هما: باب (التوبة) وباب (الدعاء). وهذه هي الخلوة النافعة الأولى في حياة الإنسان.

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة: ١٧٢/٥ ح٥٥٩٥.

(٢) مستدرك الوسائل: ١٧٢/٥ ح٥٥٩٥.

(٣) المصدر نفسه: ح٥٥٩٧.

ويبقى نجوى الإنسان مع نفسه، وهو الخلوة والمكاشفة الثانيّة في حياة الإنسان، وهو أمر يدعو إليه الإسلام ويرغّب فيه.

ولا بدّ للإنسان من هاتين الخلوتين، ومن هاتين المكاشفتين، ولا بدّ له من أن يُفرغ من وقته وعمره كلّ يومٍ وقتاً للخلوة بالله تعالى ومخاطبته، ومناجاته ووقتاً للخلوة بنفسه ومكاشفتها.

## أبواب التعامل مع الذات:

أبواب التعامل مع النفس، في الثقافة الإسلاميّة، كثيرة، نذكر أهمّها.

١- تهذيب النفس وإصلاحها:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أيّها الناس! تولّوا من أنفسكم تأديبها واعدلوا بها عن مزاولة عاداتها**»[١].

وعنه عليه السلام: «**من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره**»[٢].

وعنه عليه السلام: «**الرجل حيث اختار لنفسه، إن صانها ارتفعَتْ، وإن ابتذلها اتضعَتْ**»[٣].

وعنه عليه السلام: «**إشتغالك بمعائب نفسك يكفيك العار**»[٤].

٢- كفّ النفس عن أهوائها وشهواتها وضبطها وردعا... وهو (التقوى):

عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**لا تدع النفس وهواها، فإنّ هواها رَداها، وترك النفس وما تهوى أذاها، وكفّ النفس عمّا تهوى دواها**»[٥].

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٣٥٩.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٧٣.

(٣) غرر الحكم للآمدي: ١٩٠٦٠.

(٤) غرر الحكم للآمدي: ١٤٨٣.

(٥) الكافي: ٣٣٦/٢ ح ٤.

٣- التعامل مع النفس بسلام:

هذا باب يفتحه القرآن على مصراعيه، ولأوّل مرة، في تاريخ الثقافة النفسيّة يكشف القرآن عن حقيقة تخفى على الكثير، وهو أنّ الناس يظلمون أنفسهم. يقول تعالى:

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر:٣٢].

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَـكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٧].

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم﴾ [يونس:٢٣].

ويقول تعالى: ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٦].

ويدعو الإسلام الإنسان إلى أنْ يعيش مع نفسه بسلام، فيستجيب لفطرته وعقله وضميره وعاطفته وروحه، كما يدعوه إلى الاستجابة المنضبطة لحاجات جسده وغرائزه وميوله وشهواته في توازن وتعادل، فيعيش مع نفسه في أمن وسلام.

وأساس كلّ سلام في حياة الإنسان أن يعيش الإنسان في سلام مع الله ومع نفسه. وقد أمّنهما الله تعالى لعباده في دينه.

ولنا في خاتمة الصلاة تحيّات ثلاثٌ.

سلام على رسول الله (السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة الله وبركاته)

وسلام على أنفسنا (السلام علينا).

وسلام على عباد الله الصالحين (وعلى عباد الله الصالحين)

وكذا سلام الله على المسيح عيسى بن مريم يسلم على نفسه يوم ولد، ويوم يموت، ويوم يبعث حيّاً.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾ [مريم: ٣٣].

والآن نستعرض هذا الخطاب الوعظي الذاتي، في كلمات الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام على طريقة مخاطبة النفس ومكاشفتها والانفتاح عليها وندبتها.

والإنسان عادة يندب غيره، وها هنا يعلّمنا عليّ بن الحسين عليهما السلام كيف نندب أنفسنا، وأنّ أحقّ من يندبه الإنسان نفسه التي بين جنبيه.

وهذا الخطاب ندبة للنفس، من باب المكاشفة، نرويها برواية ابن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية: ١٣٩/٩)، وابن عساكر في (تاريخ دمشق: ٤٠٤/٤١).

كما يرويها المحدّث النوري رحمه الله في (الصحيفة الرابعة).

ويرويها (إحقاق الحقّ) بتحقيق السيد المرعشي: ٤٨٤/١٩ و١٢٧/٢٨ و٧٨١/٣٣.

و(الأنوار البهيّة) للشيخ عبّاس القمّي: ١١٩.

و(الصحيفة السجّاديّة الكاملة) للأبطحي: ص٥٠١

و(بلاغة الإمام عليّ بن الحسين): ص٧٧

## نصّ الندبة:

وإليك: نصّ الندبة:

عن الزهري، قال: سمعت مولانا زين العابدين عليه السلام يحاسب نفسه، ويناجي ربّه، وهو يقول:

«يا نفس حتّام(١)(*) إلى الحياة سكونك، والى الدنيا وعمارتها ركونك؟

أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك! ومَن وارته الأرض من الأُلفك(٢) ومن فجعت به من إخوانك، ونقلت إلى دار البلى من أقرانك؟!

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها
محاسنهم فيها بوال دواثر

خلت دورهم منهم وأقوت(٣) عراصهم

---

* يأتي توضيح المفردات الغريبة حسب الأرقام المدرجة في النص بعد نهاية النص.

وساقتهم نحــو المنايا المقادر

وخلوا عن الدنيا وما جمعوا لها

وضمّتهم تحت التراب الحفائر

كم خرمت(٤) أيد المنون، من قرون بعد قرون، وكم غيّرت الأرض ببلائها، وغيبت في ترابها، ممن عاشرت من صنوف الناس، وشيعتهم إلى الأرماس(٥):

وأنت على الدنيا مكبّ منافس

لخطابهــا فيها حريص مكاثر

على خطر تمسي وتصبح لاهيا

أتدري بماذا لو عقلت تخاطر

وإن امرءاً يسعى لدنياه جاهداً

ويذهل عن أُخراه لاشك خاسر

فحتّام على الدنيا إقبالك، وبشهواتها اشتغالك، وقد وخطك القتير(٦)، ووافاك النذير، وأنت عمّا يراد بك ساه(٧)، وبلذّة يومك لاه(٨).

وفي ذكر هول الموت والقبر والبلى

عن اللهو واللّذات للمرء زاجر

أبعد اقتراب الأربعين تربص

وشيب القذال(٩) منذ ذلك ذاعر؟!

كأنّك معني(١٠) بما هو ضائر

لنفسك عمداً أو من الرشد حائر

انظر إلى الأمم الماضيّة والقرون الفانيـة، والملوك العاتيـة، كيـف انتسفتهم الأيام، فأفناهم الحمام(١١) ، فامتحت من الدنيا آثارهم، وبقيت فيها أخبارهم!

وأضحوا رميماً في التراب وأقفرت

مجالـــس منهم عطِّلت ومقاصر

وحلُّوا بدار لا تزاور بينهم

وأنّـــى لسكان القبور التـــزاور؟

فما إن ترى إلا قبوراً ثووا بها(١٣)

مسنَّمة تسفى(١٤) عليها الأعاصر

كم عاينت من ذي عزّ وسلطان، وجنود وأعوان، تمكّن من دنياه، ونال منها مناه، فبنى الحصون والدساكر(١٥)، وجمع الأعلاق والذخائر:

فما صرفت كفّ المنيّة إذ أتت

مبادرة تهـــوى إليه الذخائر

ولا دفعت عنه الحصون التي بنى

وحـــفّ بها أنهارها والدساكر

ولا قارعت عنه المنيّة حيلة

ولا طمعت في الذب عنه العساكر

أتاه من أمر الله ما لا يردّ، ونزل به من قضائه ما لا يـصدّ، فتعـالى الملـك الجبار، المتكبّر القهّار، قاصم الجبارين، ومبير المتكبّرين:

**مليك عزيز لا يردّ قضاؤه**

**حكيم عليم نافذ الأمر قاهر**

**عنا(١٦) كلّ ذي عزّ لعزّة وجهه**

**فكم من عزيز للمهيمن صاغر(١٧)**

**لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت**

**لعزّة ذي العرش الملوك الجبابر**

فالبدار البدار(١٨)، والحذار الحذار من الدنيا ومكائدها، وما نصبت لك من مصائدها، وتجلّى لك من زينتها، واستشرف لك من فتنها:

**وفي دون ما عاينت من فجعاتها**

**إلى دفعها داع وبالزهد آمر**

**فجد ولا تغفل وكن متيقّظاً**

**فعما قليل يترك الدار عامر**

**فشمّر ولا تفتر فعمرك زائل**

**وأنت إلى دار الإقامة صائر**

**ولا تطلب الدنيا فإنّ نعيمها**

**وإن نلت منها غبّة(١٩) لك ضائر**

فهل يحرص عليها لبيب؟ أو يسرّ بلذّتها أريب(٢٠)؟ وهو على ثقة من فنائها، وغير طامع في بقائها، أم كيف تنام عين من يخشى البيات(٢١)؟ أو تسكن نفس من يتوقّع الممات؟!

**ألا لا ولكنّا نغرّ نفوسنا**

**وتشغلنا اللّذات عمّا نحاذر**

**وكيف يلذّ العيش من هو موقن**

**بموقف عدل يوم تبلى السرائر**

**كأنا نرى ألا نشور(٢٢) وإنّنا**

**سدى مالنا بعد الممات مصادر**

وما عسى أن ينال طالب الدنيا من لذّاتها، ويتمتّع به من بهجتها، ومع فنون مصائبها، وأصناف عجائبها، وكثرة تعبه في طِلابها، وتكادحه في اكتسابها، وما يكابد من أسقامها وأوصابها(٢٣) وآلامها!

وما قد نرى (٢٤) في كلّ يوم وليلة

يروح علينا صرفها(٢٥) ويباكر

تعاورنا(٢٦) آفاتها وهمومها

وكم قد ترى يبقى لها المتعاور

فلا هو مغبوط(٢٧) بدنياه آمن

ولا هو عن تطلا بها النفس قاصر

كم غرّت من مخلّد إليها، وصرعت من مكبّ(٢٨) عليها، فلم تنعشه(٢٩) من صرعته، ولم تقله من عثرته، ولم تداوه من سقمه، ولم تشفه من ألمه!

بلى أوردته بعد عزّ ومنعة

موارد سوء ما لهنّ مصادر

فلما رأى أن لا نجاة وأنه

هو الموت لا ينجيه منه التحاذر

تندّم إذ لم تغن عنه ندامة

عليه وأبكته الذنوب الكبائر

بكى على ما أسلف من خطاياه، وتحسّر على ما خلّف من دنياه، حيث لا ينفعه الاستعبار، ولا ينجيه الاعتذار، من هول المنيّة، ونزول البليّة!

أحاطت به أحزانه وهمومه

وأبلس لمّا أعجزته المعاذر

فليس له من كربة الموت فارج

وليس له مما يحاذر ناصر

وقد جشأت(٣٠) خوف المنيّة نفسه

تردّدها منه اللهاة والحناجر

هنالك خفَّ عنه عوّاده، وأسلمه أهله وأولاده، وارتفعت الرنّة والعويل، ويئسوا من برء العليل، غمّضوا بأيديهم عينيه، ومدّوا عند خروج نفسه يديه ورجليه:

فكم موجع يبكي عليه تفجّعاً

ومستنجد صبراً وما هو صابر

ومسترجع داع له الله مخلصاً

يعدّد منه كلّ ما هو ذاكر

وكم شامت مستبشر بوفاته

وعمّا قليل للذي صار صائر

شقّت جيوبها نساؤه، ولطمت خدودها إماؤه، وأعول لفقده جيرانه، وتوجّع لرزيّته إخوانه، ثمّ أقبلوا على جهازه، وتشمّروا(٣٢) لإبرازه:

وظلّ أحبّ القوم كان بقربه

يحثّ على تجهيزه ويبادر

وشمّر من قد احضروه لغسله

ووجّه لمّا قام للقبر حافر

وكفّن في ثوبين واجتمعت له

مشيعة إخوانه والعشائر

فلو رأيت الأصغر من أولاده، وقد غلب الحزن على فؤاده، فغشي من الجزع عليه، وقد خضبت الدموع خدّيه، ثمّ أفاق وهو يندب أباه، ويقول بشجو: وا ويلاه:

لعاينت من قبح المنيّة منظراً

يهال لمرآه ويرتاع ناظر

أكابر أولاد يهيج اكتئابهم

اذا ما تناساه البنون الأصاغر

ورنّة نسوان عليه جوازع

مدامعها فوق الخدود غوازر

ثم أخرج من سعة قصره إلى ضيق قبره، فحثّوا بأيديهم التراب، وأكثروا التلدّد(٣٣) والانتحاب، ووقفوا ساعة عليه، وقد يئسوا من النظر إليه:

فولّوا عليه معولين وكلّهم

لمثـــل الذي لاقى أخوه محاذر

كشاء رتاع آمنين بـــدالها

بمديته(٣٤) بادي الذراعين حاسر

فريعت(٣٥) ولم ترتع قليلا وأجفلت

فلمّا نأى عنهـــا الذي هو جازر

عادت إلى مرعاها، ونسيت ما في أختها دهاها(٣٦)! أفبأفعال البهائم اقتدينا، وعلى عاداتها جرينا! عد إلى ذكر المنقول إلى الثرى، والمدفوع إلى هول ما ترى:

ثوى مفرداً في لحده وتوزّعت

مواريثه أولاده والأصاهر

وأحنوا على أمواله يقسمونها

فلا حامد منهم عليها وشاكر

فيا عامر الدنيا ويا ساعياً لها

ويا آمناً من أن تدور الدوائر

كيف أمنت هذه الحالة، وأنت صائر إليها لا محالة؟! أم كيف تتهنّأ بحياتك وهي مطيّتك إلى مماتك؟! أم كيف تسيغ طعامك وأنت منتظر حمامك؟!

ولم تتزوّد للرحيل وقد دنا

وأنت على حال وشيك مسافر

فيا ويح(٣٧) نفسي كم اسوف(٣٨) توبتي

وعمري فانٍ، والردى لي ناظر

وكلّ الذي اسلفت في الصحف مثبت

يجازي عليه عادل الحكم قاهر

فكم ترقع بدينك دنياك، وتركب في ذلك هواك، إنّي لأراك ضعيف اليقين، يا راقع الدنيا بالدين، أفبهذا أمرك الرحمن؟ أم على هذا دلّك القرآن؟

تخرّب ما يبقى وتعمر فانياً

فلا ذاك موفور ولا ذاك عامر

وهل لك إن وافاك حتفك(٣٩) بغتة
ولم تكتسب خيراً لدى الله عاذر
أرتضى بان تفتي الحياة وتنقضي
ودينك منقوص وما لك وافر

فبك إلهنا نستجير، يا عليم يا خبير، من نؤمّل لفكاك رقابنا غيرك؟ ومن نرجو لغفران ذنوبنا سواك؟ وأنت المتفضّل المنّان القائم الديّان، العائد علينا بالإحسان بعد الإساءة منّا والعصيان، يا ذا العزّة والسلطان، والقوّة والبرهان، أجرنا من عذابك الأليم، واجعلنا من سكان دار النعيم، برحمتك يا أرحم الراحمين [١].

## الشعر الوعظي:

ونقرأ في ميراث الإمام زين العابدين عليه السلام الوعظيّ شعراً وعظيّاً رقيقاً مؤثّراً نذكر نماذج منها. من ذلك ما وراه الشيخ بهاء الدين العاملي في (الكشكول: ١٥/٣-١٥١).

---

(١) تفسير بعض المفردات الواردة في هذه الندبة: (١) حتى متى «خ». (٢) الأفك: أحبّتك. (٣) أقوت: خلت. (٤) اخترمت: استأصلت وقطعت (٥) الأرماس: القبور. (٦) وخطك القتير: خالط الشيب سواد شعرك. (٧) ساه: غافل. (٨) لاه: مشغول. (٩) القذال: ما بين الأذنين من مؤخّر الرأس. (١٠) معنىً: مهتمّ. (١١) الحمام: الموت. (١٢) رميما: عظاماً بالية. (١٣) ثووا: أقاموا. (١٤) تسفي: تذر. (١٥) الدسكرة: بناء كالقصر. (١٦) عنا: خضع وذلّ. (١٧) صاغر: ذليل. (١٨) البدار: السرعة. (١٩) الغبّة: البلغة من العيش. (٢٠) أريب: عاقل. (٢١) البيات: الإيقاع بالليل. (٢٢) نشور: إحياء. (٢٣) أوصابها: أمراضها. (٢٤) إربتي: حاجتي. (٢٥) صرفها: نوائبها. (٢٦) تعاورنا: تعاونوا على ضربه واعتوروه (٢٧) مغبوط: مسرور. (٢٨) مكبّ: مقبل. (٢٩) تنعشه: ترفعه. (٣٠) جشأت نفسه: نهضت من حزن أو فزع.. (٣٢) تشمّروا: تهيّأوا. (٣٣) التلدّد: العضّ على الشفاه وإظهار الحزن والتأسّف. (٣٤) المدية: الشفرة الكبيرة. (٣٥) راعت: فزعت. (٣٦) دهاها: نزل بها. (٣٧) ويح: كلمة ترحّم وتوجّع. (٣٨) أسوف: أماطل، وأقول مرة بعد أخرى «سوف». (٣٩) حتفك: موتك.

إذا بلغ إمرؤ عليا وعزاً

تولّى واضمحلّ مع البلاغ

كقصر قد تهدّم حافتاه

إذا صار البناء على الفراغ

أقول وقد رأيت ملوك عصري

ألا لا يبغيـــن الملك باغ

وقال أيضاً، كما في (كشول الشيخ البهبهاني: ١٣/٣).

تفكّر أين أصحاب السرايا

وأرباب الصوافن والعشـار

وأين الأعظمون يداً وبأساً

وأين السابقون لدى الفخار

وأين القرن بعد القرن منهم

من الخلفاء والشمم الكبار

كأن لم يخلقوا أو لم يكونوا

وهل حيّ يصان عن البوار[١].

ومما يروى عنه في هذا السياق:

وأضحوا رميماً في التراب وعطّلت

مجالس منهم أقفرت ومعاصر

---

(١) النظريّة السياسيّة لدى الإمام زين العابدين ﷺ محمود البغدادي: ص ١٣٣.

وحلّوا بدار لا تزاور بينهم

وأنّى لسكّـــان القبور التزاور

فما إن ترى إلا قبوراً ثووا بها

مسطّحة تسفى عليها الاعاصر

فما صرفت كفّ المنيّة اذ اتت

مبادرة تهوى اليه الذخائر

ولا دفعت عنه الحصون التي بنى

وحـــفّ بها أنهاره والدساكر

ولا قارعت عنه المنيّة حيلة

ولا طمعت في الذبّ عنه العساكر

مليك عزيز لا يردّ قضاؤه

حكيـــم عليم نافذ الأمر قاهر

عنا كلّ ذي عزّ لعزّة وجهه

فكـــلّ عزيز للمهمين صاغر

لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت

لعزّة ذي العرش الملوك الجبابر[(١)]

ومما يروى عنه عليه السلام في الموعظة:

---

(١) القصيدة طويلة رواها ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٤٠٥/٤١ وعنه رواها ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق: ٢٥٠/١٧ دار الفكر وابن كثير في البداية والنهاية: ١٢٩/٩ دار إحياء التراث العربي... فمن أراد فليرجع إلى تاريخ دمشق. وقد ذكرنا شطراً من هذه القصيدة في الرسالة الوعظيّة المتقدّمة.

قد طال لبثك في الفساد

وبئس الزاد زادك للمعاد

صبا[1] فيك الفؤاد فلم تزعه

وحدت إلى متابعة الفؤاد

وقادتك المعاصي حيث شاءت

وألفتك امرءاً سلس القياد

لقد نوديت للترحال فاسمع

ولا تتصامن عن المنادي

كفاك مشيب رأسك من نذير

وغالب لونه لون السواد.

ومن شعره عليه السلام الوعظي:

فعقبى كلّ شيء نحن فيه

من الجمع الكثيف الى الشتات

وما حزناه من حلّ وحرم

يوزّع في البنين وفي البنات

وتنسانا الأحبة بعد عشر

وقد صرنا عظاماً باليات

كأنّا لـــم نعاشرهم بودّ

ولم يك فيهم خلّ موات[2].

---

(١) النظريّة السياسيّة لدى الإمام زين العابدين عليه السلام: ١٣٧ عن كشكول الشيخ البهائي: ١٢/٣.

(٢) المصدر السابق عن كشكول البهائي: ١١/٣.

## ٥ ـ التثقيف بمرجعيَة أهل البيت عليهم السلام

## بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وثقافة الولاء والبراءة

### التثقيف بالولاء والبراءة ومرجعيّة أهل البيت عليهم السلام:

التثقيف بالولاء لآل محمّد صلى الله عليه وآله والبراءة من أعدائهم والناصبين لهم العداء، والتثقيف بحقّ أهل البيت عليهم السلام في المرجعيّة السياسيّة والفقهيّة والمعرفيّة في هذه الأمّة... من أهمّ وجوه ثقافة الجماعة الصالحة.

وعلى العموم كان دأب أئمّة أهل البيت عليهم السلام الالتزام بالتثقيف بالولاء والبراءة وتثبيت حقّ أهل البيت عليهم السلام في الإمامة والقيادة والمرجعيّة في هذه الأمّة.

### النصوص النبويّة في مرجعيّة أهل البيت عليهم السلام وإمامتهم:

فقد وصّى رسول الله صلى الله عليه وآله أن تكون المرجعيّة السياسيّة (الزعامة السياسيّة) والمرجعيّة الدينيّة (الفقهيّة والمعرفية) لأهل بيته بعد وفاته، والنصوص على ذلك كثيرة من طرق الفريقين السنّة والشيعة... ولسنا الآن بصدد الحديث عن هذه النقطة.

وأشهر نصٍّ ورد في (المرجعيّة السياسيّة) لأهل البيت عليهم السلام من بعده صلى الله عليه وآله حديث الغدير الذي تبلغ طرقه عند الفريقين حدّ التواتر، بلا إشكال، وجملة من طرقه صحيحةٌ على المعايير المعروفة في علم الحديث.

وأشهر نصٍ ورد في مرجعيّة أهل البيت عليهم السلام الدينيّة (الفقهيّة والمعرفيّة) حديث الثقلين الذي بلغت روايته أيضاً حدّ الاستفاضة، وجملة من طرقه صحيحة، ومنها طريق مسلم والترمذي وأحمد بن حنبل وغيرهم.

والذي حصل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ الناس حجبوا عنهم تلك المواقع، فصبروا حتى تكون مصيبتهم في المواقع التي سلبت عنهم خاصّة ولا تكون مصيبتهم فيها وفي الإسلام.

يقول الإمام عليّ عليه السلام في خطبته المعروفة بالشقشقيّة عن هذا الحقّ الذي ضيّعه الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله: **«فرأيت الصبر على هاتا احجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا، ارى تراثي نهبا»** [١].

يقول أمير المؤمنين عليه السلام فيما يرويه الشريف الرضي في نهج البلاغة عنه عليه السلام:

**«فلما مضى صلى الله عليه وآله تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يُلْقى في روعي ولا يخطر ببالي أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته، ولا أنهم مُنَحُّوه عنّي من بعده، فما راعني [٢] إلا انثيال [٣] الناس على فلان [٤] يبايعونه، فأمسكت يدي [٥] حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمّد صلى الله عليه وآله، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلما [٦] أو هدما تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم»** [٧].

---

(١) نهج البلاغة: ١١٨/٣-١١٩ كتاب رقم ٦٣ (من كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها.

(٢) راعني: أي أفزعني.

(٣) انثيال: إقبال وانصباب وتزاحم.

(٤) فلان: الخليفة الأول.

(٥) فأمسكت يدي عن بيعة الخليفة الأول وامتنعت عن مبايعته.

(٦) ثلماً: أي خرقاً.

(٧) نهج البلاغة: كتاب رقم: ٦٢ (من كتاب له عليه السلام إلى مالك الاشتر رضوان الله عليه عامله على مصر).

وسرعان ما لملم آل البيت عليهم السلام جراحهم، وتحركوا في المسيرة الإسلاميّة الكبرى.

ولكن الحقّ الذي ضيّعه الناس لأهل البيت عليهم السلام لم يكن حقّاً شخصيّاً ليسكت عنه أهل البيت عليهم السلام، وإنّما كان حقّاً لأمة رسول الله صلى الله عليه وآله... فقد شاء الله تعالى أن يقترن هدى أهل البيت عليهم السلام بهدى القرآن ولا يفترقا عن بعض، ويرسما معاً صراط الله المستقيم في حياة المسلمين، منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن تقوم الساعة في نهايّة التاريخ، كما ورد هذا المعنى في بعض الفاظ حديث الثقلين:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله «**أنّي قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله تعالى وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض**»[1].

ومعنى هذا النصّ ومغزاه إذا تأمّلنا أنّ حجب أهل البيت عليهم السلام عن موقع الريادة والقيادة والمرجعيّة الفقهيّة والمعرفيّة في الإسلام يؤدّي إلى تشتيت المسلمين إلى مذاهب فقهيّة ومعرفيّة كثيرة في الفروع والأصول، كما حصل بالفعل.

## المحافظة على تواتر النصوص النبويّة في مرجعيّة أهل البيت عليهم السلام

ولهذه الأسباب كان أهل البيت عليهم السلام يحرصون على أن يحافظوا على تواتر النصوص النبويّة الصريحة بمواقع أهل البيت عليهم السلام في هذه الأمّة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، لئلا تضيع هذه النصوص وتفقد استفاضتها وتواترها كما ضاعت الحقوق قبل ذلك.

---

(١) أخرجها الحاكم في المستدرك على الصحيحين: ٣/١١٨ وأخرجه الحافظ ابن كثير في تفسيره: ٤/١١٣ وغيرهم.

ومن أجل ذلك استشهد أمير المؤمنين عليه السلام طائفة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله على بيعة الغدير في رحبة مسجد الكوفة، فناشدهم الله من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غدير خم: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه» فقام اثنا عشر بدرياً وشهدوا بذلك[1].

ومن ذلك احتجاج الإمام الحسن عليه السلام:

أخرج الحافظ أبوالعبّاس بن عقدة: (أنّ الحسن بن عليّ عليه السلام لمّا جمع على صلح معاويّة قام خطيباً وحمد الله، وأثنى عليه وذكر جدّه المصطفى بالرسالة والنبوّة، ثمّ قال: **«إنّا أهل بيت أكرمنا الله بالإسلام واصطفانا، وأذهب عنّا الرجس وطهّرنا تطهيرا. لم تفترق الناس فرقتين إلا جعلنا الله في خيرهما من آدم إلى جدّي محمّد صلى الله عليه وآله.**

**وقد سمعت هذه الأمّة جدّي صلى الله عليه وآله يقول: ما ولّت أمّة رجلاً وفيهم ممن هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم سفالاً حتّى يرجعوا إلى ما تركوه.**

**وسمعوه يقول لأبي: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيّ بعدي.**

**وقد رووه وسمعوه حين أخذ بيد أبي بغدير خم، وقال لهم: من كنت مولاه، فعليّ مولاه، اللهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه. ثمّ أمرهم أن يبلّغ الشاهد الغائب»).**

ذكر شطراً من هذه الخطبة (القندوزي) الحنفي في (ينابيع المودّة)[2].

كما جمع الحسين عليه السلام مَن تبقّى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأولاد الصحابة والتابعين في منى في ملتقى واسع عقده الإمام الحسين عليه السلام في السنين الأخيرة من حكم معاوية، جمعهم في سرادقة، فكانوا زهاء ألف أو أكثر.

---

(١) راجع تفاصيل حديث المناشدة في الغدير: ٣١٤/١-٣٦٦ قال الحلبي في سيرته (٣٠٣/٣): (احتجّ (علي عليه السلام) به بعد أن آلت إليه الخلافة رداً على من نازعه فيها).

(٢) ينابيع المودّة ١٥٠/٣ باب ٩٠.

فخطب فيهم، فقال: إنّ هذا الطاغية (معاوية) قد فعل بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وشيعته ما صنع، إنّه (الحسين عليه السلام) يخاف اندثار فضائل عليّ عليه السلام فذكر لهم طائفة من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله في عليّ بن أبي طالب وطلب منهم أن يشهدوا بصحة الحديث إن كانوا قد سمعوا الحديث، فشهدوا له جميعاً، ثمّ طلب منهم أن يستروا عليه هذا الموقف، وينشروا هذه الأحاديث والنصوص، إذا رجعوا إلى بلادهم، وكان فيما تلاه عليهم نصوصاً في إمامة عليّ عليه السلام[1].

وكان للإمام الباقر عليه السلام جهد توثيقيّ وإعلاميّ نحو ذلك في تثبيت الاستفاضة والتواتر لهذه الأحاديث التي كانت تتعرّض للتعتيم والإنكار من قبل علماء البلاط الأموي من مثل محمّد بن مسلم الزهري وأمثاله ممن خالطوا سلطان بني أمية.

## الإمام عليه السلام يدعو إلى تثبيت مرجعيّة أهل البيت عليهم السلام:

رغم كلّ الإرهاب الأموي الذي كان يعيش معه عليّ بن الحسين عليه السلام كان يسعى لتوثيق وتثبيت مرجعيّة أهل البيت عليهم السلام السياسيّة والفقهيّة والمعرفية.

فهو يصرّح بإمامته وإمامة ذرّيته من بعده. يقول في كلام له يرويه الصدوق في الآمالي والطبرسي في الاحتجاج: **«نحن أئمّة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغرّ المحجّلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان أهل الأرض، كما أنّ النجوم أمان أهل السماء، ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجّة الله فيها، ظاهر مشهود أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجّة الله»**[2].

---

(١) بحار الأنوار: ٣٣/١٨٣.

(٢) أمالي الصدوق: ١١٢ مجلس ٣٤ والاحتجاج: ٣١٧.

وقال نصر بن أوس أبو المنهال الطائي: (قال لي عليّ بن الحسين عليه السلام: «الى من يذهب الناس؟» قال: قلت: يذهبون ها هنا وها هنا. قال: قل لهم يجيئون الي»)[(١)].

وكان يدعو إلى نفسه إماماً للمسلمين وإلى ذرّيته من بعده. قال أبو خالد الكابلي: (يا مولاي أخبرني كم يكون الأئمّة بعدك؟ قال ثمانيه، لأنّ الأئمّة بعد **رسول الله صلى الله عليه وآله إثنا عشر إماماً، عدد الأسباط: ثلاثة من الماضين، وأنا الرابع وثمانيّة من ولدي)**[(٢)].

وكان عليه السلام يقول: **«ما ينقم الناس منّا؟! فنحن والله شجرة النبوّة، وبيت الرحمة، ومعدن العلم، ومختلف الملائكة»**[(٣)].

كما كان الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام يدعو إلى مرجعيته الدينيّة والثقافيّة في عهده ثمّ مرجعيّة ذريّة مَن بعده.

روي عنه عليه السلام: **«إنّ دين الله لا يصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقاييس الفاسدة، لا يصاب إلا بالتسليم، فمن سلم لنا سلم، ومن اقتدى بنا هُدي»**[(٤)].

وروي أنه عليه السلام قال لرجل شاجره في الفقه: **«يا هذا لو صرتَ إلى منازلنا لاريناك آثار جبرئيل في رحالنا، أفيكون أحد أعلم بالسنّة منّا؟»**[(٥)].

عن موسى بن القاسم قال: (قال عليّ بن الحسين عليه السلام: **«إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله كان أمين الله في أرضه، فلمّا قبض محمّد كنّا أهل البيت ورثته، فنحن أمناء الله في**

---

(١) تاريخ دمشق: ٣٦٥/٤١.

(٢) كفاية الأثر: ٢٣٦- ٢٣٧ والصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي النباطي: ١٣١/٢ وبحار الأنوار: ٣٨٨/٣٦.

(٣) الكافي: ٢٢١/١.

(٤) إكمال الدين: ٣٢٤.

(٥) نزهة الناظر للحلواني: ٤٥ وبحار الأنوار: ١٦١/٧٥.

أرضه، عندنا علم المنايا والبلايا وأنساب العرب ومولد الإسلام، وإنّ شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم. نحن النجباء، ونحن أفراط الأنبياء، ونحن أبناء الأوصياء، ونحن المخصوصون في كتاب الله، ونحن أولى الناس بكتاب الله، ونحن أولى الناس بدين الله، نحن الذين شرع الله لنا دينه، وقال في كتابه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى به نُوحاً وَالَّذي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ فقد عُلِّمنا، وبَلَّغنا ما عُلِّمنا، واستودعنا علمهم. نحن ورثة الأنبياء، ونحن أولو العزم من الرسل»[١].

**الدعاء السياسيّ :**

وكان من دعائه عليه السلام يوم الأضحى ويوم الجمعة ما يقول: «اللهمّ إنّ هذا المقام(إمامة العيد والجمعة) لخلفائك وأصفيائك، ومواضع أمنائك في الدرجة الرفيعة التي اختصصتهم بها قد ابتزّوها، وأنت المقدّر لذلك، لا يغالَب أمرك، ولا يجاوَز المحتوم من تدبيرك، كيف شئت وأنّى شئت، ولما أنت أعلم به، غير متّهمٍ على خلقك، ولا لإرادتك، حتى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين، مقهورين، مبتزّين، يرون حكمك مبدّلاً، وكتابك منبوذا، وفرائضك محرّفة عن جهات أشراعك(شرائعك)، وسنن نبيك متروكةً، اللهم العن أعداءهم من الأوّلين والآخرين ومن رَضِيَ بفعالهم وأشياعهم وأتباعهم»[٢].

وكان المعلى بن خنيس إذا كان يوم العيد خرج إلى الصحراء شعثاً مغبراً في زيّ ملهوف، فإذا صعد الخطيب المنبر مدّ يده نحو السماء ثمّ قال: «اللهمّ هذا

---

(١) بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفّار: ٢٩٠ ط ١٤٠٤- ١٣٦٢ هـ. ش طهران- الأعلمي، والكافي للكليني: ١/٢٢٤، وقريباً من هذا النص ما رواه القاضي النعمان المغربي في دعائم الإسلام: ٦٣، ومختصر بصائر الدرجات: ١٧٤.

(٢) من أدعيّة الصحيفة السجّاديّة الكاملة، وهو الدعاء (٤٨) مؤسّسة النشر الإسلاميّ: ص٢٧٧.

مقامِ خلفائك وأصفيائك، ومواضعَ أُمنائك في الدرجة الرفيعة التي اختصصتهم بها، قد ابتزّوها، وأنت المقدّر للأشياء، لا يغالَب قضاؤك، ولا يجاوَز المحتوم من تدبيرك، كيف شئت وأنّى شئت، علمك في إرادتك كعلمك في خلقك، حتّى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزّين، يرون حكمك مبدّلا، وكتابك منبوذا، وفرائضك محرَّفة عن جهات شرائعك، وسنن نبيّك صلواتك عليه وآله متروكة، اللهمّ العن أعداءهم، وأعوانهم، إنّك على كلّ شيء قدير»[(١)] .

وكان من دعائه عليه السلام يومِ عرفه في واد عرفة كما في (الصحيفة السجّاديّة) ص ٢٥٥-٢٥٧.

**«اللهمّ إنّك أيّدت دينك في كلّ أوان بإمام أقمته علماً لعبادك، ومناراً في بلادك، بعد أن وصلت حبله بحبلك، وجعلته الذريعة إلى رضوانك، وافترضت طاعته، وحذّرت (عن) معصيته، وأمرت بامتثال أمره، والانتهاء عند نهيه، وألا يتقدّمه متقدّم، ولا يتأخّر عنه متأخّر، فهو عصمة اللائذين، وكهف المؤمنين، وعروة المتمسكّين، وبهاء العالمين، اللهمّ فأوزع لوليّك شكر ما أنعمت به عليه، وأوزعنا مثله فيه، وآته من لدنك سلطاناً نصيراً، وافتح له فتحا يسيرا، أعنه بركنك الأعز، واشدد أزره، وقوّ عضده، وراعه بعينك، واحمه بحفظك، وانصره بملائكتك، وامدده بجندك الأغلب، وأقم به كتابك وحدودك وشرائعك وسنن رسولك صلى الله عليه وآله، وأحي به ما أماته الظالمون من معالم دينك، وأجلِ به صداء الجور عن طريقتك، وأبن به الضراء من سبيلك، وأزل به النـاكبين عن صراطك، وامحق به بغاة قصدك عوجاً، وألن جانبه لأوليائك، وابسط يده على أعدائك، وهب لنا رأفته ورحمته وتعطّفه وتحنّنه، واجعلنا له سامعين مطيعين، وفي رضاه ساعين، والى نصرته والمدافعة عنه مكنفين، وإليك والى رسولك صلى الله عليه وآله بذلك متقرّبين»[(٢)] .**

---

(١) رجال الكشي: ٢٤٣، بحار الأنوار: ٣٦٣/٤٧.

(٢) الصحيفة السجّاديّة الكاملة مؤسّسة النشر الإسلاميّ قم ١٤٠٤هـ -١٣٦٣ ش.

وليس من شكّ أنّ الإمام عليه السلام لا يقصد بهذا الدعاء طغاة بني أميّة الذين كانوا يهلكون الحرث والنسل، وإنّما يقصد بهذا الدعاء أئمة الحقّ من أهل البيت عليهم السلام أمناء الأمّة وخلفاء رسول الله في أمته والطاهرين المطهّرين الذين أذهب الله عنهم الرجس... وهو عليه السلام في عصره إمام هذه الأمّة الذي ابتز بنو اميّة حقه وموقعه [1].

## الشعر السياسيّ:

في الأدبيّات السياسيّة التي وصلت إلينا عن الإمام زين العابدين عليه السلام نلتقي بالشعر السياسيّ، وهو ظاهرة سياسيّة بارزة في أدبيات أهل البيت عليهم السلام في الإعلان عن الظلم الذي نال أهل البيت عليهم السلام من قبل الحكّام الظالمين وعمّالهم وأذنابهم الذين عاثوا في الأرض فساداً، ونشروا الرعب والإرهاب، وعن الظلم الذي طالهم من قبل علماء البلاط الأموي الذين ابتزّوهم موقع الفتيا والمرجعيّة الدينيّة والمعرفيّة بين المسلمين.

والشعر السياسيّ ينتشر بين الناس بسرعة ويحفظه الناس ويتناقلونه، وقد دأب أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم منذ هذا التاريخ على الاهتمام بالشعر السياسيّ، فكان منهم الفرزدق وكميت والسيد الحميري ودعبل الخزاعي والعبدي الكوفي وغيرهم.

وكان أهل البيت عليه السلام يُرغّبون شيعتهم في هذا النوع من الشعر، ويتّخذونه وسيلة إلى نشر فضائل أهل البيت عليهم السلام واستحقاقاتهم السياسيّة والدينية، وشجب أعدائهم وخصومهم والناصبين لهم العداء.

---

(١) قد يوحي بعض الكلمات الواردة في الدعاء إلى أن الداعي غير المدعو له مثل (وهب لنا رأفته ورحمته) (واوزعنا مثله فيه)، والجواب أنّ هذه الأدعيّة ذوات صفات تعليميّة للناس تعلمهم كيف يدعون لإمام المسلمين يوم عرفة، مثلاً.

وللإمام زين العابدين عليه السلام شعر سياسي يذكره ابن شهر آشوب في المناقب والمجلسي في البحار.

ومحور هذا الشعر الشكوى مما نال أهل البيت عليهم السلام من الظلم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وخاصّة من بني أمية، والتنديد بمن غصب حقوق أهل البيت عليهم السلام ومواقعهم في هذه الأمّة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومن ذلك ما كان ينشده في طريقه من الكوفة إلى الشام وهو أسير بيد زبانيّة بني أمية:

ساد العلوج فما ترضى بذا العرب[1] .

وصــار يقدم رأس الأمّة الذنب

يا للرجـــال لما يأتي الزمان به

من العجيب الذي ما مثله عجب

آل الرسول على الأقتاب عارية

وآل مروان تسري تحتهم نجب[2]

وأيضاً يقول عليه السلام في ذلك الطريق:

هــذا الزمان فما تفنى عجائبه

عــن الكرام ولا تفنى مصائبه

---

(١) العلج: كلّ جاف شديد من الرجال.

(٢) مقتل الحسين لأبي مخنف: ص١٨٦.

فليت شعري إلى كم ذا يحاربنا

بصـــرفه والـــى كم ذا نحاربه

يسري بنا فوق أعياس بلا وطاء

وسائق العيس يحمى عنه عازبه

كأننـــا من بنات الروم بينهم

أو كلّ ما قاله المختار كاذبه[1]

ومن شعره السياسيّ في التشييد بموقع أهل البيت عليهم السلام في الإسلام:

لنحن على الحوض رواده

نـــذود ونسـقي ورّاده

ومـــا فاز من فاز إلا بنا

وما خاب من حبّنا زاده

ومن سرّنا نال منا السرور

ومـــن ساءنا ساء ميلاده

ومـــن كان غاصبنا حقّنا

فيـــوم القيامة ميعاده

(١) مقتل الحسين لأبي مخنف: ص١٨٩، العوالم: ص٤٢٨، بلاغة الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام: ٢٤٥-٢٤٦.

ويروى له عليه السلام:

نحن بنو المصطفى ذوو غصص

يجرّعها في الأنام كاظمنا

عظيمـــــة في الأنام محنتنا

أوّلنـــــا مبتلى وآخرنا

ومن شعره عليه السلام السياسيّ:

ليت شعري هل عاقل في الدياجي

باتمن فجعة الزمان يناجي

أنا نجل الإمام ما بال حقّي

ضائع بين عصبة أعلاج[1] [2].

(١) الأعلاج: جمع علج وهو بمعنى الشديد الغليظ الصلف من الرجال.

(٢) النظريّة السياسيّة لدى الإمام زين العابدين عليه السلام لمحمود البغدادي: ص١٣٠.

## ٦ـ ثقافة التكافل والتواصل الاجتماعي

### الأسس السياسيّة الثلاثة في ثقافة أهل البيت عليهم السلام:

في ظروف الإرهاب الأموي والعبّاسي تستوقفنا في تاريخ أئمّة أهل البيت عليهم السلام السياسيّة ثلاثة أسس يتّفق عليها أهل البيت عليهم السلام من مصرع الحسين عليه السلام إلى الغيبة الصغرى.

وهذه الأسس الثلاثة هي:

١- مقاطعة الحكّام الظلمة من بني أميّة وبني العبّاس.

٢- الحضور الدائم والقوي والفاعل في وسط الأمّة بعرضها العريض، وعدم الانكفاء على الذات.

٣- بناء وتشييد وتوسعة الجماعة الصالحة.

ودونك شرحاً موجزاً لهذه الأسس الثلاثة:

### ١- مقاطعة الحكّام الظلمة:

كان أهل البيت عليهم السلام يؤكّدون على هذه المقاطعة ويصرّحون في كلّ الظروف على حرمة التعاون مع الظلمة، حتى لو كان بمقدار قطّ قلم ومدّة دواة (حبر) أو أن يكي لهم أحد وكاءً:

إلا أن تكون المهمّة التي تناط بهم من المهام التي يحتاج إليها الناس على كلّ حال، وتتوقّف عليها حياتهم، ومن دونها تتعطّل حياة الناس، من قبيل الأمن والتعليم والنظام وأمثال ذلك، دون أن يكون في ذلك دعم وإسناد للظالم. وبين المستثنى (السائغ) والمستثنى منه (المحظور) فرق واضح.

والغايّة من هذا الحظر هو إخلاء أطراف الظالم وعزله سياسياً واجتماعياً، وإبعاد الجمهور عنه، وإشعاره بالعزلة السياسيّة والاجتماعيّة وأنّه حالة منبوذة في وسط المجتمع.

وقد حقّقت هذه التعاليم الكثير من أهدافها في المجتمع الإسلاميّ يومذاك، حتى أصبح العلماء الصالحون يتجنّبون الدخول في أعمال خلفاء بني أميّة وبني العبّاس ويتجنّبون الدخول في قصورهم ومعاشرتهم، ما أمكنهم ذلك.

وقد وردت في هذا المعنى روايات كثيرة نتلو عليكم بعضها:

روى محمّد بن يعقوب الكليني في الكافي بسنده عن أبي حمزة، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام في حديث قال: «**إيّاكم وصحبة العاصين ومعونة الظالمين**».

وروى طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**العامل بالظلم، والمعين له، والراضي به شركاء**».

وروى الكليني أيضاً: عن محمّد بن عذافر، عن أبيه، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا عذافر! نُبّئت أنك تعامل أبا أيّوب والربيع، فما حالك إذا نودي بك في أعوان الظلمة؟ قال: فوجم أبي، فقال له أبو عبد الله عليه السلام لما رأى ما أصابه: أي عذافر! إنّما خوفتك بما خوّفني الله عزّ وجلّ به، قال محمّد: فما زال أبي مغموماً مكروبا حتى مات».

وروى ابن محبوب، عن حريز، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إتّقوا الله، وصونوا دينكم بالورع، وقوّوه بالتقيّة والاستغناء بالله عزّ وجلّ، عن طلب الحوائج إلى صاحب سلطان، إنّه من خضع لصاحب سلطان، ولمن يخالفه على دينه، طلباً لما في يديه من دنياه أخمله الله عزّ وجلّ ومقته عليه، ووكله إليه، فإن هو غلب على شيء من دنياه، فصار إليه منه شيء نزع الله جلّ اسمه البركة منه، ولم يأجره على شيء منه ينفقه في حجّ ولا عتق ولا بر».

روى الكليني عن هشام بن سالم عن أبي بصير، قال: (سألت أبا جعفر عليه السلام عن أعمّالهم فقال لي: «يا أبا محمد! لا ولا مَدّة قلم، إنّ أحدهم لا يصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينه مثله»).

عن جهم بن حميد، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «أما تغشى سلطان هؤلاء؟ قال: قلت: لا، قال: ولم؟ قلت: فراراً بديني، قال: وعزمت على ذلك؟ قلت: نعم، قال لي: الآن سلم لك دينك»[1].

## ٢- الحضور في وسط الأمّة:

من خلال كلمات أهل البيت عليهم السلام نكتشف خيوط مؤامرة واسعة على شيعة أهل البيت عليهم السلام تسعى إلى عزلهم عن الساحة الإسلاميّة الواسعة (الأمة الإسلاميّة)، وحشرهم في زاويّة حرجة، والتضييق عليهم... عندئذ يفقد شيعة أهل البيت عليهم السلام دورهم وتأثيرهم في توعيّة الرأي العامّ في مساحة الأمّة الواسعة، وينقلبون إلى مجموعة منكفئة على نفسها، شأنهم في ذلك شأن الخوارج.

لقد أدرك أئمة أهل البيت عليهم السلام هذه المؤامرة الأمويّة الخبيثة، وكافحوها بالتأكيد على شيعتهم بضرورة الحضور المؤثر القوي في وسط الأمّة، ومنعوهم من الانكفاء على الذات، ووضحوا لهم أنهم إذا خرجوا من بحر الأمّة فسوف يفقدون تأثيرهم ودورهم في تصحيح المسيرة، وفضح السلطان وتعريته للجمهور.

وقد وردت في ذلك روايات كثيرة نذكر طائفة منها هنا، شاهدةً على ما نقول:

وهذه الثقافة هي ثقافة الانفتاح على الأمّة الكبيرة، وصّى بها أهل البيت عليهم السلام شيعتهم...

وشيعة أهل البيت عليهم السلام اليوم في ظروف الفتنة الطائفيّة الحاضرة مدعوّون إلى حالة الانفتاح هذه بشكل قويّ، لإحباط الفتن الطائفيّة التي يثيرها هنا وهناك

(١) استخرجنا الروايات جميعها من وسائل الشيعة: ١٣/١٢٧-١٢٩ ط الإسلاميّة.

عملاء الاستكبار العالمي وأذنابهم بين المسلمين من الشيعة والسنّة في كلّ مكان تقريباً.

وإليك نماذج من أحاديث أهل البيت عليهم السلام في هذا الشأن:

روى محمّد بن يعقوب الكليني بسند صحيح في الكافي عن أبي أسامة زيد الشحّام، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «أقرأ على من ترى أنه يطيعني منهم، ويأخذ بقولي السلام، أوصيكم بتقوى الله عزّ وجلّ، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله.

وأدّوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها برّاً أو فاجراً، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأمر بأداء الخيط والمخيط.

صِلُوا عشائركم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث، وأدّى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفري، فَيسُرنّي ذلك، ويدخل عليّ منه السرور، وقيل هذا أدب جعفر، وإذا كان غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره، وقيل هذا أدب جعفر.

والله لحدّثني أبي عليه السلام أنّ الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة عليّ فيكون زينها، أدّاهم للأمانة، وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، واليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول: من مثل فلان! إنّه أدانا للأمانة وأصدقنا لحديث»[1].

وأيضاً بسند صحيح عن معاويّة بن وهب، قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا، وفيما بيننا وبين

---

(١) وسائل الشيعة: ج٨ ص٣٩٨ كتاب الحجّ آداب أحكام العشرة الباب الأول الحديث الأول.

خلطائنا من الناس؟ قال: فقال عليه السلام: «**تؤدّون الأمانة إليهم، وتقيمون الشهادة لهم وعليهم، وتعودون مرضاهم، وتشهدون جنائزهم**»[(١)].

وأيضاً بسند صحيح عن معاويّة بن وهب، قال: قلت له (الصادق عليه السلام) كيف ينبغي أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس ومن ليسوا على أمرنا فقال:«تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون ما يصنعون. فوالله إنّهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنائزهم، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم ويؤدون الأمانة لهم»[(٢)].

وفي روايّة أخرى للكليني في الكافي بسند صحيح عن حبيب الحنفي، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول:«عليكم بالورع والاجتهاد، واشهدوا الجنائز، وعودوا المرضى، وأحضروا مع قومكم مساجدهم، واحبّوا للناس ما تحبّون لأنفسكم، أما يستحي الرجل منكم أن يعرف جاره حقّه ولا يعرف حقّ جاره»[(٣)].

وبسند صحيح عن مرازم قال: قال أبو عبد الله (الصادق) عليه السلام: «**عليكم بالصلاة في المساجد، وحسن الجوار للناس، وإقامة الشهادة، وحضور الجنائز، إنّه لا بد لكم من الناس، إنّ أحداً لا يستغني عن الناس في حياته، والناس لابدّ لبعضهم من بعض**»[(٤)].

---

(١) وسائل الشيعة: ج٨ ص٣٩٨ كتاب الحجّ آداب أحكام العشرة الباب الأول الحديث الثاني.

(٢) وسائل الشيعة: ج٨ ص٣٩٩ كتاب الحجّ آداب أحكام العشرة الباب الأول الحديث الثالث.

(٣) وسائل الشيعة: ٣٩٩/٨ كتاب الحجّ أبواب أحكام العشرة الحديث الرابع.

(٤) وسائل الشيعة: ج٨ ص٩-٣٩٩ كتاب الحجّ أبواب أحكام العشرة الحديث الخامس.

## ٣- بناء الجماعة الصالحة:

وهو الأساس الثالث في سياسة أهل البيت عليهم السلام وقد وضّحنا أهميّة مشروع الجماعة الصالحة في مواجهة الانحراف الأموي والعبّاسي عن الإسلام النقي الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله من عند الله.

لقد تعرّض دين الله على يد بني أميّة وبني العباس إلى انحرافات كبيرة في الأصول والفروع، وتغير الكثير من أحكام الله تعالى وحدوده. فقد حلّلوا المنكرات التي حرّمها الله تعالى، واستباحوها في قصورهم، وأشاعوها بين المسلمين... وما بالك إن كان الذي يسمي نفسه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله يقارف شرب الخمر علانية، ويعرف الناس منه ذلك، ولا يأبى هو أن يعرف المسلمون منه ذلك، وأشاعوا الظلم والفساد بين المسلمين، وقارفوا من المنكرات والمحرّمات في قصورهم الكثير وأشاعوها بين المسلمين، فاصبح المنكر معروفا والمعروف منكراً.

وكانت خيارات أهل البيت عليهم السلام في حفظ الإسلام وتعاليم الوحي والخطّ الصحيح للإسلام محدودة جداً في ظروف القهر والعنف والإرهاب السياسيّ.

وكان من أهمّ الفرص والخيارات الممكنة لهم: أن يبدأوا في ظروف الإرهاب والقهر السياسيّ والأمني ببناء (الجماعة الصالحة) وهم شيعتهم القريبون منهم، ويربون هذه الجماعة على المنهج الإسلاميّ الصحيح في العلاقة بالله، والالتزام بحدوده وأحكامه، ومكافحة التحريفات الأمويّة العباسيّة وتعريتها وفضحها، والالتزام بالسريّة الشديدة المكثّفة لحفظ هذه الجماعة من تسلّل السلطان وعيونه، والابقاء عليهم، بعيداً عن الضوء، وعن متناول جلاوزة الأنظمة وعمّالهم.

وكان لابد من أن يكون بناء هذه الجماعة بناءً محكماً مقاوماً يقاوم ضغوط النظام والفتن السياسيّة والاجتماعية.

ولتحقيق ذلك كان لابدّ من التواصل والتكافل والتعاون الشديد على البرّ والتقوى داخل الجماعة، وفي نفس الوقت المحافظة على سريّة هذه الجماعة وإبعادهم عن الأضواء للابقاء عليهم بعيداً عن سطوة وضراوة النظام.

ولذلك كان أئمّة أهل البيت عليهم السلام يؤكّدون على أهميّة التواصل والتكافل والتعاون على البر والتقوى بينهم، كما كانوا يؤكّدون في نفس الوقت، على التواصل والتعاون والتكامل في بحر الأمّة العريض.

وكانوا يواجهون أصحابهم بعتاب وانقباض، إذا وجدوا منهم تثاقلاً في مساعدة اخوانهم ومدّ اليد إليهم في ما يواجهونه من المعاناة والعذاب، وعندما يجدون قصوراً من بعضهم في التواصل والتكامل والتعاون داخل الجماعة.

روى إسحاق بن عمّار الصيرفي قال: كنت بالكوفة، فيأتيني إخوان كثيرة، وكرهت الشهرة، فتخوفت أن أشتهر بديني، فأمرت غلامي، كلّما جاءني رجل منهم يطلبني يقول: ليس هو ههنا.

قال فحججت تلك السنة، فلقيت أبا عبد الله عليه السلام، فرأيت منه ثقلا وتغيّرا فيما بيني وبينه. قال قلت جعلت فداك ما الذي غيّرني عندك؟ قال الذي غيّرك للمؤمنين. قلت: جعلت فداك، إنّما تخوفت الشهرة، وقد علم الله شدّة حبّي لهم. فقال: يا إسحاق لا تَمُلَّ زيارة إخوانك، فإنّ المؤمن إذا لقي أخاه المؤمن، فقال مرحباً كتب الله له مرحبا إلى يوم القيامة، فإذا صافحه أنزل الله فيما بين إبهاميهما مائة رحمة، تسعة وتسعين لأشدّهم حبّاً لصاحبه، ثمّ أقبل الله عليهما بوجهه، فكان على أشدّهما حبّاً لصاحبه أشدّ إقبالا، فإذا تعانقا، غمرتهما الرحمة، فإذا لبثا لا يريدان إلا وجهه، لا يريدان غرضاً من أغراض الدنيا، قيل لهما: غفر الله لكما فاستأنفا فإذا أقبلا على المسائلة قالت الملائكة بعضهم لبعض: تنحّوا عنهما فإنّ

لهما سراً وقد ستَر الله عليهما قال إسحاق: قلت له جعلت فداك: ألا يكتب علينا لفظنا، فقد قال الله عزّ وجلّ ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إلا لَدَيْه رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق: ١٨].

قال فتنفس ابن رسول الله صلى الله عليه وآله الصعداء، ثمّ بكى حتى خضبت دموعه لحيته، وقال يا إسحق إنّ الله تبارك وتعالى إنما نادى الملائكة أن يغيبوا عن المؤمنين إذا التقيا إجلالا لهما فإذا كانت الملائكة لا تكتب لفظهما، ولا تعرف كلامهما، فقد عرفه الحافظ عليهما، عالم السرّ وأخفى.

يا إسحق فخف الله كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك، فإن كنت ترى أنّه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنّه يراك، ثمّ استترت عن المخلوقين بالمعاصي وبرزت له بها، فقد جعلته في حد أهون الناظرين إليك[١].

والذي يتابع كلمات أئمّة أهل البيت عليهم السلام من بعد مصرع الإمام الحسين عليه السلام إلى الغيبة الصغرى، وهي الفترة التي تم فيها تشييد الجماعة الصالحة واستقرارها في الأرض، وتَوَسّعت وانتشرت في بلاد واسعة من الأرض في آسيا وافريقيا، يجد تأكيداً بليغاً في الاهتمام ببناء الجماعة الصالحة والتواصل والتكافل والتعاون على البرّ والتقوى داخل هذه الجماعة.

## التواصل والتكافل الاجتماعي في كلمات الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام:

وقدّر الله تعالى: أن يكون الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام هو الذي يضع اللبنات الاولى للجماعة الصالحة، في ظروف صعبة غايّة الصعوبة.

---

(١) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ص١٤٦-١٤٧ ط ١٣٦٨ تحقيق السيد محمّد مهدي الخرسان منشورات الشريف الرضي. والكافي للكليني: ١٨١/٢-١٨٢.

ولكن رغم كلّ الإرهاب الأموي، فقد نجح المشروع على يد زين العابدين عليه السلام نجاحاً باهراً.

وكان للرقيق الذين يشتريهم الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام ويعتقهم في سبيل الله وقد بلغ عددهم الالاف[١] كما يقول المؤرخون دور في إعداد هذه الجماعة.

هؤلاء كانوا في دائرة زين العابدين عليه السلام يربطهم به ولاء العتق.

يقول عبد العزيز سيّد الأهل في كتابه القيّم عن الإمام زين العابدين عليه السلام: وجعل الدولاب يسير، والزمن يمرّ، وزين العابدين يهب الحريّة في كلّ عام وكلّ شهر وكل يوم، وعند كلّ هفوة وغلطة، وكل خطأ حتى صار في المدينة جيش من الموالين الأحرار والحرائر، وكلّهم في ولاء زين العابدين[٢].

فكان إذا تعرّض زين العابدين عليه السلام لأذى أو أساءة وقفوا معه وانتصروا له.

يروي ابن الجوزي في صفة الصفوة عن عبد الغفار بن القاسم الأنصاري قال: كان عليّ بن الحسين خارجاً من المسجد فلقيه رجل فسبّه فثارت إليه العبيد والموالي. فقال عليّ بن الحسين مهلاً عن الرجل، ثمّ أقبل على الرجل، فقال له ما ستر عنك من أمرنا أكثر. ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحى الرجل فالقى عليه خميصة كانت عليه، فكان الرجل يقول بعد ذلك: أشهد أنّك من أولاد الرسول[٣].

ومهما يكن من أمر فقد بدأ عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام في المدينة بأعداد (الجماعة الصالحة) وهم شيعته، يعلّمهم ويثقّفهم في الدين، ويعظهم، ويتولّى أمورهم، ويتفقدّهم، ويأمرهم بالكتمان وحفظ السر، ويمنعهم من الثرثرة والطيش والنزق.

---

(١) راجع بحار الأنوار: ٤٦/١٠٤-١٠٥.

(٢) زين العابدين سيد الأهل: ص٤٧.

(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي: ٢/١٠٠.

فكان يقول عليه السلام: **«وددت والله إنّي افتديت خصلتين في الشيعة لنا ببعض لحم ساعدي: النزق وقلّة الكتمان»**[١].

وقد أعطى الإمام زين العابدين عليه السلام كثيراً من جهده ووقته وإهتمامه لإعداد هذه الجماعة ورعايتها وتثقيفها.

وكان من أهم وجوه تثقيف هذه الجماعة التثقيف بثقافة التواصل والتكافل الاجتماعي والتعاون على البر والتقوى فيما بينهم.

ونحن إذ لا يسعنا الأن أن نجمع نصوص أحاديث الإمام زين العابدين عليه السلام في بناء وتشييد الجماعة الصالحة وتحصينها ضدّ التحدّيات المعاصرة لها، في ظروف الإرهاب الأموي... أحاول هنا أن أضع بين يدي القارئ طائفةً من النصوص المرويّة عن الإمام زين العابدين عليه السلام في التواصل والتكافل الاجتماعي. والتعاون على البرّ والتقوى داخل الجماعة الصالحة، وإليك شواهد ونماذج من هذه النصوص:

## ١- قضاء حوائج المؤمنين:

نقرء في حديث الإمام زين العابدين عليه السلام جملة من النصوص في الترغيب في قضاء حوائج المؤمنين نذكر منها النّصين التاليين:

عن أبي حمزة الثمالي عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: **«من قضى لأخيه حاجة، قضى الله له بها مائة حاجة، في إحداهنّ الجنّة، ومن نَفّسَ عن أخيه كُرْبة، نَفّس الله عنه كربة يوم القيامة، بالغاً ما بلغت، ومن أعانه على ظالم له، أعانه الله على إجازة الصراط عند دحض الاقدام، ومن سعى له في حاجة حتى قضاها له فَسُرّ بقضائها، فكان كإدخال السرور على رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن سقاه من ظمأ سقاه**

---

(١) الكافي: ٢٢١/٢ وبحار الأنوار: ٧٢/٧٥ وخصال الصدوق: ٤٤. النزف: الطيش والخفة وسرعة الانفعال والاستعجال.

الله من الرحيق المختوم، ومن أطعمه من جوع أطعمه الله من ثمار الجنّة، ومن كساه من عرى كساه الله من إستبرق وحرير، ومن كساه من غير عرى لم يزل في ضمان الله ما دام على المكسوّ من الثوب سلك، ومن كفاه بما هو يمتهنه ويكف وجهه ويصل به يديه، يخدمه الولدان، ومن حمله (على) رحله بعثه الله يوم القيامة على ناقة من نوق الجنّة، يباهي به الملائكة، ومن كفنه عند موته، فكأنما كساه يوم ولدته أمه إلى يوم يموت، ومن زوجه زوجة يأنس بها، ويسكن إليها آنسه الله في قبره بصورة أحبّ أهله إليه، ومن عاده عند مرضه حفّته الملائكة تدعو له حتى ينصرف، وتقول طبت وطابت لك الجنة، والله لقضاء حاجته أحب إلى الله من صيام شهرين متتابعين باعتكافهما في الشهر الحرام»[1].

وفي نصّ آخر، يحثّهم الإمام عليه السلام على المواساة والإحسان، والمنافسة فيقول: «شيعتنا! أمّا الجنة فلن تفوتكم، سريعا كان أم بطيئا، ولكن تنافسوا في الدرجات!

واعلموا إنّ أرفعكم درجات، وأحسنكم قصورا، ودورا، وأبنية: أحسنكم إيجاباً بإيجاب المؤمنين، وأكثركم مواساة لفقرائهم.

إنّ الله ليقرب الواحد منكم إلى الجنّة بكلمة يكلّم أخاه المؤمن الفقير، بأكثر من مسيرة ماءة ألف عام في سنة بقدمه، وإن كان من المعذّبين بالنار.فلا تحتقروا الإحسان إلى إخوانكم، فسوف ينفعكم حيث لا يقوم مقام غيره»[2].

## ٢- صلة الرحم:

عن أبي جميلة عن الوصافي، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من سرّه أن يمد الله في عمره وأن يبسط له في رزقه فليصل رحمه،

---

(١) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ص١٤٦، منشورات الشريف الرضي قم ١٣٦٨ش، تحقيق السيد محمّد مهدي الخرسان.

(٢) بحار الأنوار: ٣٠٨/٧١.

**فإنّ الرحم لها لسان يوم القيامة ذلق (بليغ) تقول: يا ربّ صلْ من وصلني واقطع من قطعني، فالرجل ليرى بسبيل خير إذ أتته الرحم التي قطعها فتهوى به إلى أسفل قعر في النار»**[(١)] .

## ٣- شكر الجميل:

روى سفيان بن عيينة عن عمّار الدهني قال: سمعت عليّ بن الحسين عليهما السلام يقول: **«إنّ الله يحبّ كلّ قلب حزين ويحبّ كلّ عبد شكور، ويقول الله تعالى لعبد من عبيده يوم القيامة: أشكرت فلانا فيقول: بل شكرتك يا ربّ فيقول: لم تشكرني إذ لم تشكره، ثمّ قال: أشكركم لله أشكركم للناس»**[(٢)] .

## ٤- قبول الاعتذار من المسيئين:

محمّد بن أبي عبد الله عن موسى بن عمران عن عمه الحسين بن عيسى بن عبد الله عن عليّ بن جعفر عن أخيه أبي الحسن موسى عليه السلام قال: أخذ أبي بيدي ثمّ قال يا بني إن أبي محمّد بن عليّ أخذ بيدي، كما أخذت بيدك وقال إنّ أبي عليّ بن الحسين أخذ بيدي ثمّ قال:**«يا بنيّ افعل الخير إلى كلّ من طلبه منك، فإن كان من أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن من أهله، كنت أنت من أهله وإن شتمك رجل عن يمينك ثمّ تحوّل إلى يسارك فاعتذر إليك فاقبل عذره»**[(٣)] .

## ٥- الرفق:

في كتاب الخصال عن الزهري عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: كان آخر ما أوصى به الخضر، موسى بن عمران عليه السلام أن قال: **«لا تُعَيِّر أحداً بذنب، وإنّ أحب**

---

(١) الكافي للكليني: ١٥٦/٢.

(٢) الكافي: ٩٩/٢ ومنهاج البراعه في شرح نهج البلاغة: ٢٧٤/٢.

(٣) الكافي: ١٥٢/٨ والوافي: ٤٥٠/١٠.

**الأمور إلى الله تعالى ثلاثة: القصد في الشدّة، والعفو في القدرة، والرفق بعباد الله وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله تعالى به يوم القيامة، ورأس الحكمة مخافة الله تبارك وتعالى»** [١].

## ٦- الهدايّة والتثقيف والتعليم:

عن عليّ بن الحسين عليهما السلام: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: **«حبّبني إلى خلقي وحبّب خلقي إليّ.**

قال: يا رب، كيف أفعل؟

قال: **ذكرهم آلائي ونعمائي ليحبوني، فلئن ترد آبقا عن بابي أو ضالا عن فنائي، أفضل لك من عبادة (مائة) سنة صيام نهارها وقيام ليلها.**

قال موسى عليه السلام: ومن هذا العبد الآبق منك؟ قال: **العاصي المتمرد.**

قال: فمن الضال عن فنائك؟

قال: **الجاهل بإمام زمانه تُعَرِّفُه، والغائب عنه بعد ما عرفه، الجاهل بشريعة دينه تعرفه شريعته، وما يعبد به ربه، وتوصل به إلى مرضاته»** [٢].

## ٧- التحذير من ازدراء الناس:

عن أبي بصير، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه أمير المؤمنين عليهم السلام قال: **«إنّ الله تبارك وتعالى أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته فلا تستصغرن شيئا من طاعته، فربما وافق رضاه وأنت لا تعلم. وأخفى سخطه في معصيته فلا تستصغرن شيئاً من معصيته، فربما وافق سخطه معصيته وأنت لا**

---

(١) تفسير نور الثقلين للحويزي: ٣/٢٩١.

(٢) مستدرك الوسائل: ١٧/٣١٩ و١٢/٢٠٤، الجواهر السنيّة للحر العاملي: ٧٧. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري: ٣٤٢.

**تعلم. وأخفى إجابته في دعوته فلا تستصغرن شيئا من دعائه، فربما وافق إجابته وأنت لا تعلم. وأخفى وليه في عباده فلا تستصغرن عبدا من عبيد الله، فربما يكون وليه وأنت لا تعلم»**[1].

## ٨- مقابلة الإساءة بالإحسان:

عن أبي حمزة الثمالي. قال سمعت عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام، يقول:

**«ما من خطوة أحب إلى الله عزّ وجلّ من خطوتين: خطوة يسد بها المؤمن صَفا في سبيل الله، وخطوة إلى ذي رحم قاطع.**

**وما من جرعة أحب إلى الله عزّ وجلّ من جرعتين: جرعة غيظ ردّها مؤمن بحلم، وجرعة مصيبة ردها مؤمن بصبر.**

**وما من قطرة أحب إلى الله عزّ وجلّ من قطرتين: قطرة دم في سبيل الله، وقطرة دمعة في سواد الليل، لا يريد بها عبد إلا الله عزّ وجلّ»**[2].

عن أبي حمزة الثمالي عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: سمعته يقول:**«إذا كان يوم القيامة جمع الله تعالى الأولين والآخرين في صعيد واحد ثمّ ينادي مناد: أين أهل الفضل؟ قال يقوم عنق من الناس فتلقاهم الملائكة فيقولون ما كان فضلكم؟ فيقولون كنا نصل من قطعنا، ونعطي من حرمنا، ونعفو عمن ظلمنا قال: فيقال لهم ادخلوا الجنة»**[3].

---

(١) الخصال للشيخ الصدوق: ٢٠٩-٢١٠.

(٢) الخصال للصدوق: ٥٠

(٣) الكافي: ١٠٧/٢.

### ٩- الدعاء للمؤمنين بظهر الغيب:

عن أبي عبيدة، عن ثوير قال: سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: **«إنّ الملائكة إذا سمعوا المؤمن يدعو لأخيه المؤمن بظهر الغيب أو يذكره بخير قالوا: نعم الأخ لأخيك تدعو له بالخير وهو غائب عنك وتذكره بخير، قد أعطاك الله عزّ وجلّ مثلي ما سألت له وأثنى عليك مثلي ما أثنيت عليه ولك الفضل عليه، وإذا سمعوه يذكر أخاه بسوء، ويدعو عليه قالوا له: بئس الأخ أنت لأخيك كُفَّ أيها المُستَّر على ذنوبه وعورته، وأربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عليك وأعلم أن الله عزّ وجلّ أعلم بعبده منك»**[١].

### ١٠- طيب الأخلاق:

عن أبي حمزة الثمالي عن عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في أخر خطبته: **«طوبى لمن طاب خلقه، وطهرت سجيته، وصلحت سريرته، وحسنت علانيته، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله وأنصف الناس من نفسه»**[٢]

عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق»**[٣].

### ١١- التزاور والتحابب والتواصل في الله:

قال الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام: **«إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم أهل الفضل، فيقوم ناس من الناس فيقال: انطلقوا إلى الجنة، فتتلقّاهم الملائكة، فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنّة، قالوا قبل الحساب؟! قالوا نعم. قالوا:**

---

(١) الكافي: ٢/٥٠٨ ووسائل الشيعة: ٤/١١٦٤.

(٢) جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي: ١٤/٢٩٤-٢٩٥.

(٣) الكافي: ٢/٩٩ ح٢.

ومن أنتم؟ قالوا: أهل الفضل. قالوا: وما كان فضلكم؟ قالوا: كُنّا إذا جهُل علينا حلمنا، وإذا ظلمنا صبرنا، وإذا أسيء إلينا غفرنا. قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين.

ثم يقول: ينادي مناد ليقم أهل الصبر، فيقوم ناس من الناس. فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنّة بغير حساب، فتتلقّاهم الملائكة، فيقال لهم مثل ذلك، فيقولون: نحن أهل الصبر. قالوا: وما كان صبركم؟ قالوا: صبّرنا أنفسنا على طاعة الله، وصبّرناها عن معصيّة الله. قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين.

ثم ينادي مناد: ليقم جيران الله في داره، فيقوم ناس من الناس، وهم قليل، فيقال لهم: إنطلقوا إلى الجنّة، فتتلقّاهم الملائكة فيقال لهم: مثل ذلك. قالوا: وبم جاورتم الله في داره؟ قالوا كنّا نتزاور في الله، ونتجالس في الله، ونتبادل في الله. قالوا: ادخلوا الجنّة فنعم أجر العاملين"[1].

وقال رجل لعلي بن الحسين عليه السلام: إنّي لأحبّك في الله حبّاً شديداً، فنكس رأسه، ثمّ قال: اللهم إني أعوذ بك ان أحَبَّ فيك، وأنت لي مبغض، ثمّ قال أحَبكَ الذي تحبّني فيه»[2].

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ١٣٣/٩، أعيان الشيعة: ٦٢٧/١، كشف الغمة للاربلي: ٣١٥/٢، شرح إحقاق الحقّ للسيد المرعشي: ١١٣/٢٨، بلاغة الإمام عليّ بن الحسين للحائري: ١٧٦.

(٢) أعيان الشيعة: ٦٤٤/١.

## مصادر الكتاب

١-**الاحتجاج على أهل اللجاج**، أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسي (من أعلامِ القرن السادس الهجري).

٢-**الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد**، أبوعبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (ت : ٤١٣ هـ. ق).

٣-**أسد الغابة في معرفة الصحابة**، عليّ بن أبي الكرمِ محمّد بن محمّد بن عبدالكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري (ت: ٦٣٠ هـ. ق).

٤-**الاستيعاب في أسماء الأصحاب**، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمّد بن عبدالبر القرطبي المالكي (ت: ٣٦٣ هـ. ق).

٥-**أصول الكافي (الفروع) و(الروضة)**، أبوجعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت: ٣٢٩ هـ. ق).

٦-**الاعتصام**، قاسم بن محمّد بن عليّ بن الرشيد الزيدي (ت: ١٠٢٩ هـ. ق).

٧-**أعلام الهدايَة (ج٦)(الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام)**، لجنة التأليف في المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

٨-**أعلام الدين في صفات المؤمنين**، الحسن بن أبي الحسن الديلمي (من أعلامِ القرن الثامن الهجري).

٩-**أعيان الشيعة**، محسن بن عبدالكريم الأمين الحسيني العاملي (ت: ١٣٧١ هـ.ق ).

١٠- **الأغاني**، أبو الفرج عليّ بن الحسين القريشي الإصفهاني (ت: ٣٥٦ هـ. ق)، دار الكتب.

١١- **إكمال الدين وإتمام النعمة**، أبوجعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) (ت: ٣٨١ هـ. ق).

١٢- **الإمام زين العابدين** عليه السلام، عبدالرزاق بن محمّد الموسوي المقرم النجفي (ت: ١٣٩١ هـ. ق).

١٣- **الإمامة والسياسة**، أبو محمّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المشهور بـ (ابن قتيبة) (ت: ٢٧٦ هـ. ق).

١٤- **الأمالي**، أبو جعفر محمّد بن الحسين بن عليّ بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) (ت: ٣٨١ هـ. ق).

١٥- **الأمالي**، أبوجعفر محمّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن الطوسي (شيخ الطائفة) (ت: ٤٦٠ هـ. ق).

١٦- **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الطاهرة**، محمّد باقر بن محمّدتقي المجلسي (ت: ١١١١ هـ. ق).

١٧- **البدايّة والنهايّة (تاريخ ابن كثير)** ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المعروف بابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ. ق).

١٨- **بصائر الدرجات**، أبوجعفر محمّد بن الحسن بن فروخ الصفار القمي (ت: ٢٩٠ هـ. ق)، ط ١٤٠٤ الأعلمي ـ طهران.

١٩- **البلد الأمين والدرع الحصين**، إبراهيم بن عليّ بن الحسن العاملي الكفعمي (ت: ٩٥٠ هـ. ق).

٢٠- **بلاغة الإمام عليّ بن الحسين**عليه السلام **(خطب ورسائل وكلمات)**، إعداد وجمع جعفر عباس الحائري (معاصر).

٢١- **تاريخ الخلفاء** ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١ هـ .ق).

٢٢- **تاريخ الطبريّ (تاريخ الأمم والملوك)**، أبوجعفر محمّد بن جرير الطبريّ (ت: ٣١٠ هـ . ق) ط ، ليدن.

٢٣- **تاريخ مدينة دمشق**، أبوالقاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١ هـ . ق).

٢٤- **تاريخ اليعقوبي (تاريخ ابن واضح)**، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت: ٢٨٤ هـ . ق).

٢٥- **تحف العقول**، أبو محمّد الحسن بن عليّ بن الحسين بن شعيب الحراني (من أعلام القرن الرابع).

٢٦- **تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)**، ابن كثير إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ . ق).

٢٧- **التفسير المنسوب إلى الإمام أبي محمّد الحسن العسكري**، قم، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه.

٢٨- **تفسير نور الثقلين**، عبدعلي بن جمعة العروسي الحويزي (ت: ١١١٢ هـ . ق).

٢٩- **تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام)**، الأمير ورام بن ورام بن حمدان بن عيسى أبي فراس المالكي (ت: ٦٠٥ هـ . ق).

٣٠- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، جمال الدين أبو الحجّاج يوسف بن عبدالرحمن المزي (ت: ٧٤٢ هـ . ق).

٣١- **تهذيب التهذيب**، أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ . ق).

٣٢- **الثاقب في المناقب**، عماد الدين أبوجعفر محمّد بن عليّ بن حمزة الطوسي المعروف بن حمزة (من علماء القرن السادس الهجري).

٣٣- **ثواب الأعمال**، أبوجعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي (الصدوق) (ت: ٣٨١ هـ. ق).

٣٤- **جامع أحاديث الشيعة**، السيد حسين الطباطبائي البروجردي (ت: ١٣٨٠ هـ. ق).

٣٥- **جهاد الإمام السجّاد زين العابدين عليه السلام**، محمّدرضا الحسيني الجلالي (معاصر).

٣٦- **جمهرة الخطب**، أحمد زكي صفوت (معاصر).

٣٧- **الجواهر السنيّة في الأحاديث القدسية**، محمّد بن الحسن بن عليّ بن الحسين الحر العاملي (ت: ١١٠٤ هـ. ق).

٣٨- **جواهر الكلام في شرائع الإسلام**، محمّدحسن بن باقر بن عبدالرحيم بن محمّد الصغير الجواهري النجفي (ت: ١٢٦٦ هـ. ق).

٣٩- **الحدائق الناظرة في أحكام العترة الطاهرة**، يوسف بن أحمد بن إبراهيم الدرازي البحراني (ت: ١١٨٦ هـ. ق).

٤٠- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبونعيم أحمد بن عبدالله الإصفهاني (ت: ٤٣٠ هـ. ق).

٤١- **الخرائج والجرائح**، أبوالحسين سعيد بن عبدالله بن الحسين بن هبة الله بن الحسن المشهور بـ(قطب الدين الراوندي) (ت: ٥٧٣ هـ. ق).

٤٢- **الخصال**، الشيخ الصدوق، أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي (ت: ٣٨١ هـ. ق).

٤٣- **دعائم الإسلام**، أبو حنيفة النعمان بن محمّد بن منصور بن أحمد بن حيون

التميمي المغربي (ت: ٣٦٣ هـ. ق).

**٤٤- الدعاء عند أهل البيت**، **محمّد مهدي الآصفي (المؤلف).**

**٤٥- رجال الكشي (اختيار معرفة الرجال)**، أبو جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ. ق).

**٤٦- زين العابدين علىّ بن الحسين**، عبدالعزيز سيد الأهل (معاصر).

**٤٧- السيرة الحلبيّة (إنسان العيون) في سيرة الأمين والمأمون**، **عليّ** بن برهان الدين الحلبي الشافعي (ت: ١٠٤٤ هـ. ق).

**٤٨- شرح إحقاق الحقّ**، شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي (معاصر).

**٤٩- شرح أُصول الكافي**، المولى محمّد صالح المازندراني (ت: ١٠٨١ هـ. ق).

**٥٠- شرح نهج البلاغة**، أبوحامد عزالدين عبدالحميد بن محمّد بن أبي الحديد المعتزلي (ت: ٦٥٦ هـ. ق).

**٥١- الشعر والغناء في مكة والمدينة**، شوقي ضيف (معاصر).

**٥٢- صحيح البخاري**، **محمّد** بن إسماعيل بن إبراهيم بن مغيرة الجعفي البخاري (ت: ٢٥٦ هـ. ق).

**٥٣- صحيح مسلم**، مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١ هـ. ق).

**٥٤- الصحيفة السجّادية**، الإمام السجّاد عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (ت: ٩٤ هـ).

**٥٥- الصراط المستقيم**، أبومحمّد عليّ بن يونس العاملي النباطي البياطي (ت: ٨٧٧ هـ. ق).

**٥٦- صفة الصفوة**، أبو الفرج عبدالرحمن بن عليّ بن محمّد التيمي البغدادي الحنبلي

المعروف بابن الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ. ق).

٥٧- **الصواعق المحرقة**، أحمد بن حجر الهيتمي المكي (ت: ٩٧٤ هـ. ق).

٥٨- **عيون الأخبار**، أبو محمّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦ هـ. ق).

٥٩- **العقد الفريد**، أحمد بن محمّد بن عبدربّه الأندلسي (ت: ٣٢٨ هـ. ق) (المكتبة الشاملة).

٦٠- **الغارات أو (الاستنفار والغارات)**، أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن سعيد بن هلال الثقفي الكوفي (ت: ٢٨٣ هـ. ق).

٦١- **الغدير في الكتاب والسنّة**، عبدالحسين بن أحمد الأميني التبريزي النجفي (ت: ١٣٩٠ هـ. ق).

٦٢- **غرر الحكم ودرر الكلم (من حكم أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام)**، جمع وإعداد عبدالواحد بن محمّد بن عبدالواحد الآمدي التميمي (ت: ٥١٠ هـ. ق).

٦٣- **العوالم العلوم والمعارف والأحوال (الإمام الحسين عليه السلام)**، عبدالله بن نور الله البحراني الإصفهاني (ت: ١١٣٠ هـ. ق).

٦٤- **الفتوح (كتاب الفتوح)**، أبو محمّد أحمد بن أعثم الكوفي (ت: ٣١٤ هـ. ق)، ط حيدر آباد.

٦٥- **فرحة الغري**، ابن طاووس السيد غياث الدين عبدالكريم بن أحمد بن طاووس (ت: ٦٩٣ هـ. ق).

٦٦- **في رحاب القرآن**، محمّد مهدي الآصفي (المؤلف).

٦٧- **قرب الإسناد**، أبوالعباس عبدالله بن جعفر الحميري (من أعلام القرن الثالث).

٦٨- **الكامل في التاريخ**، عليّ بن محمّد بن محمّد بن عبدالكريم الشيباني المعروف

بابن الأثير الجزري (ت: ٦٣٠ هـ. ق).

**٦٩- كتاب سُليم بن قيس،** سليم بن قيس الهلالي العامري (ت: ٧٦ هـ. ق).

**٧٠- كشف الغمة في معرفة الأئمة**، أبوالحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي (ت: ٦٩٢ هـ. ق).

**٧١- الكشكول،** محمّد بن الحسين بن عبدالصمد الحارثي العاملي الجبعي المشهور بالشيخ البهائي (ت: ١٠٣١ هـ. ق).

**٧٢- كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الاثني عشر،** أبوالقاسم عليّ بن محمّد بن عليّ الخزاز القمي الرازي (من أعلام القرن الرابع الهجري).

**٧٣- كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال،** علاء الدين عليّ المتقي حسام الدين الهندي (ت: ٩٧٥ هـ. ق).

**٧٤- اللهوف على قتلى الطفوف،** ابن طاووس عليّ بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني (ت: ٦٦٤ هـ. ق).

**٧٥- مثير الأحزان ،** محمّد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما الحلي (ت: ٦٤٥ هـ. ق).

**٧٦- مجموعة ورّام،** الأمير ورّام بن أبي فراس المالكي التستري (ت: ٦٠٥ هـ. ق).

**٧٧- المختار الثقفي،** أحمد الدجيلي (معاصر).

**٧٨- مختصر بصائر الدرجات،** أبومحمّد الحسن بن سليمان بن محمّد الحلي (من علماء القرن التاسع الهجري).

**٧٩- مختصر تاريخ دمشق،** ابن منظور ، محمّد بن مكرم بن عليّ بن أحمد الأنصاري الإفريقي المصري (ت: ٧١١ هـ. ق).

٨٠- **مدينة المعاجز (معاجز الأئمّة الاثني عشر الحجج على البشر)**، هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسيني التوبلي الكتكاني (ت: ١١٠٩ هـ. ق).

٨١- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، أبوالحسن عليّ بن الحسين المسعودي (ت: ٣٤٦ هـ. ق).

٨٢- **مستدرك سفينة البحار**، عليّ النمازي الشاهرودي (ت: ١٤٠٥ هـ. ق).

٨٣- **المستدرك على الصحيحين**، محمّد بن عبدالله الحاكم الحسكاني النيسابوري (ت: ٤٠٥ هـ. ق).

٨٤- **مستدرك الوسائل ومستنبط الوسائل**، ميرزا حسين نوري الطبرسي (ت: ١٣٢٠ هـ. ق).

٨٥- **المسند**، أبوعبدالله أحمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١ هـ. ق).

٨٦- **مشكاة الأنوار في غرر الأخبار**، أبوالفضل عليّ بن الحسن بن الفضل بن الحسن الطبرسي (المتوفّى أوائل القرن السابع).

٨٧- **مصباح الشريعة (المنسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام)**، جعفر بن محمّد بن علي عليه السلام (ت: ١٤٨ هـ. ق).

٨٨- **معالم المدرستين**، مرتضى العسكري (ت: ١٤٢٨ هـ. ق).

٨٩- **معرفة علوم الحديث**، أبوعبدالله محمّد بن عبدالله بن محمّد الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥ هـ. ق).

٩٠- **مقتل الحسين عليه السلام**، أبومخنف لوط بن يحيى الأزدي الغامدي الكوفي (ت: ١٥٧ هـ. ق).

٩١- **مكارم الأخلاق**، أبو نصر الحسن بن فضل الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ. ق).

**٩٢- مناقب آل أبي طالب**ﷺ، **محمّد** بن عليّ بن شهرآشوب السروي المازندراني (ت: ٥٨٨ هـ. ق).

**٩٣- من لا يحضره الفقيه**، الشيخ الصدوق أبي جعفر محمّد بن عليّ (ت: ٣٨١ هـ. ق).

**٩٤- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة**، قطب الدين أبوالحسين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت: ٥٧٣ هـ. ق).

**٩٥- ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، أبوعبدالله محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ. ق).

**٩٦- ميزان الحكمة**، **محمّد** محمّدي الريشهري (معاصر).

**٩٧- الميزان في تفسير القرآن**، **محمّد** حسين الطباطبائي (ت: ١٤٠١ هـ. ق).

**٩٨- نزهة الناظر وتنبيه الخاطر**، حسين بن محمّد بن الحسن الحلواني (من أعلام القرن الخامس).

**٩٩- النصائح الكافيّة لمن يتولّى معاوية**، **محمّد** بن عقيل بن عبدالله بن عمر بن يحيى العلوي (ت: ١٣٥٠ هـ. ق).

**١٠٠- النظريّة السياسيّة لدى الإمام زين العابدين**ﷺ، السيّد محمود البغدادي (معاصر).

**١٠١- نهج البلاغة (خطب ، رسائل ، كلمات الإمام علي**ﷺ)، إعداد وجمع أبي الحسن الشريف الرضي محمّد بن الحسين الموسوي (ت: ٤٠٦ هـ. ق) تحقيق محمّد عبده.

**١٠٢- الوافي في جمع أحاديث الكتب الأربعة**، **محمّد** بن مرتضى المشهور بـ (الملا محسن الفيض الكاشاني) (ت: ١٠٩١ هـ. ق).

١٠٣- **وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة**، محمّد بن الحسن الحر العاملي (ت: ١١٠٤ هـ. ق).

١٠٤- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء آخر الزمان**، أبوالعباس أحمد بن محمّد بن أبي بكر ابن خلّكان (ت: ٦٨١ هـ. ق).

١٠٥- **ينابيع المودّة لذوي القربى**، سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (ت: ١٢٩٤ هـ. ق).

## الفهرس